رابطة الأدب الإسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية
(٣٣)

# نوبة قلبية

## (مجموعة قصصية)

(قصص قصيرة)

نقلها عن الأردية وقدم لها
د. سمير عبد الحميد إبراهيم
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

مجموعة قصصية مترجمة عن الأردية فازت بالجائزة الثانية في المسابقة الأدبية التي أعلنتها رابطة الأدب الإسلامي لترجمة النصوص الإبداعية لآداب الشعوب الإسلامية

العبيكان
Obeikan

ح مكتبة العبيكان، ١٤٣٠هـ

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

إبراهيم، سمير عبدالحميد

نوبة قلبية./ سمير عبدالحميد إبراهيم.- الرياض، ١٤٣٠هـ

٢١٤ ص؛ ١٤ × ١٢سم

ردمك: ٧-٧٤٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

١- القصص القصيرة الأردية

أ- العنوان

ديوي ٨٩١,٣٤٩ ١٤٣٠/ ٣٤١١

رقم الإيداع: ١٤٣٠ / ٣٤١١

ردمك: ٧-٧٤٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

**الطبعة الأولى**

**١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م**

**حقوق الطباعة محفوظة للناشر**

العبيكان Obeikan

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

العبيكان Obeikan التوزيع: مكتبة

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

# المحتويات


- تقديم، (بقلم المترجم) ..... ٧
- القصة القصيرة في الأدب الأردي (بقلم المترجم) ... ١٥
- الصدمة الثانية!، زكية بلكرامي ..... ٢٩
- أين أذهب؟، ظفر حبيب ..... ٥٣
- شعاع الشمس الأخير، غافر شهزاد ..... ٦١
- شوكة في بستانك الجديد، عقيلة كاظمي ..... ٦٧
- جني القمقم، أ. س. حميد ..... ٨٧
- نوبة قلبية، ظفر إقبال ..... ٩٩
- ساحة العرض، نجم الحسن رضوي ..... ١٠٧
- الوصية، ستار طاهر ..... ١١٣

- كرب، سلمى ياسين ........................................ ١٢٣

- الابن والابنة، شمس نعمان ........................................ ١٣٣

- ثمن الحرية، عقيلة كاظمي ........................................ ١٤٣

- تفاهم، محمد سعيد شيخ ........................................ ١٥٥

- الماضي والمستقبل، ممتاز مفتي ........................................ ١٦٩

- كشف، بانو قدسية ........................................ ١٧٩

- وخز، أحمد نديم قاسمي ........................................ ١٩٩

# تقديم

هذه مجموعة من القصص القصيرة اُختيرت بدقة وعناية؛ حتى تمثل اتجاهات القصة القصيرة المعاصرة في الأدب الأردي، والعناوين التي وردت هنا ترجمة دقيقة لعناوين القصص الأردية، وينطبق هذا أيضاً على ترجمة محتوى كل قصة، فقد توخيت الدقة والأمانة ولم تحذف عبارة وردت في الأصل، كما لم أعمد إلى أي زيادة، وإن حدث – وهوأمر نادر– وضعت الكلمة أوالعبارة بين قوسين.

تضمنت هذه المجموعة القصصية قصصًا قصيرة لأدباء لهم مكانتهم في الأدب الأردي مثل: أحمد نديم قاسمي، وممتاز مفتي وبانوقدسية وأي حميد وشبان أدباء احتلوا أيضاً مكانتهم في الأدب الأردي، وبخاصة في فن القصة القصيرة ومنهم: عقيلة كاظمي، زكية بلكرامي، ستار طاهر، ظفر إقبال، غافر شهزاد، شمس نعمان، سلمى ياسمين، محمد سعيد شيخ ونجم الحسن رضوي.

وقد اُختيرت هذه المجموعة القصصية بعد قراءة متأنية لأكثر من خمسين قصة قصيرة نشرت في مجلات أدبية متفرقة وضمن مجموعات قصصية لأدباء من شبه القارة الهندية الباكستانية،

وهذه القصص تمثل فـي معظمها الاتجاه الواقعي، وهي قصص تتسم بالصـدق في نقل صورة المجتمع في شبـه القارة وفيها عمق، فالأفكار جديدة ونبيلة واللغة معبرة وشخصياتها مرسومة بدقة.

وفـي معظـم القصـص المختـارة هنا نـرى الأحـداث ذات طابع اجتماعـي، دينـي، سياسـي وأحيانًا فلسفـي وأخلاقـي، فالأدباء هنا يرصـدون الواقـع كيفما تسنى لهـم، ويختارون من الأحـداث ما يخدم الغرض.. وسوف يطالع القارئ قصصًا تعالج أحداثًا مختلفة في أزمنة مختلفة، وفي أمكنة مختلفة.

أمـا لغة هـذه القصص في مجموعها، فهي فـي الحقيقة لغة الحياة اليومية، ولغة التفاهم المستخدمة بين الناس كل يوم، وقد أشار إلى هذا بوضـوح الأديب ممتاز مفتـي، إلا أن بعض القصـص تضمنت لغة سمت قليـلاً عـن لغة الحديـث التي أشار إليهـا ممتاز مفتـي، ولا يعني هذا أن اللغـة التي أشار إليها ممتاز مفتي لغة مبتذلة.. لا.. إنه يعني التعبير عن المشاعر بالمصطلح الذي يجد صداه لدى الطرف الآخر، فيؤثر فيه.

ولا بد مـن الإشارة هنا إلى أن الترجمـة العربية للقصص الأردية حافظـت بقـدر الإمكان علـى روح النصـ الأصلي وروح العبـارة وروح الجملـة، وما تتركـه الألفاظ من ظلال على المعانـي، وقد تمّ هذا دون الخروج على النص الأصلي.

وهـذه القصـص القصيرة التـي نقـدم ترجمتها للقـارئ العربي، لـم يقتصـر مؤلفوها على تصوير المجتمع فقط، بـل تغلغلوا في النفس

البشريـة، وأوضحـوا أثر الأحداث في الأفـراد والجماعات.. ولما كانت القصة تحتاج إلى الحوار في بعض أجزائها، فقد اهتم بهذا أدباء الأردية الذيـن كتبوا القصـة القصيرة، وضمن هـذه المجموعة نلاحظ أجزاء تضمنت حوارًا بيـن الشخصيات، والحوار له أهميته كما هومعروف في السمـو بفن القصة القصيرة؛ لأنه يبين الشخصية، ويضيف حيوية إلى الحدث، ثم هوعامل أساسي ومهم يبين كيف تفكر الشخصية من ناحية، ثـم يوضح نوعيتها التي تظهر طريقة التفكيـر ونوعية الحوار من ناحية أخـرى، ويمكن أن نلاحظ هذا بوضوح في قصـة «الماضي والمستقبل» للأديب ممتاز مفتي، وكذلك في قصة «الابن والابنة والله» للأديب شمس نعمان و«كرب» للأديبة سلمى ياسمين و«كشف» للأديبة بانوقدسية.

وقد اُختِيرت قصص هذه المجموعة؛ ليتم التعامل مع كل منها على حـدة بوصفه وحدة فنية داخـل إطار فكرة المعنـى والحبكة والأسلوب والسيـاق والتراكيب اللغويـة والمفردات ذات الدلالـة وثقافة المتلقي، والأمـر الأخير هو الأهم؛ لأن المتلقي هنا هوالقارئ العربي، وما يتلقاه مترجم عن لغة أخرى لقصص وضعت لقارئ آخر هوالمتلقي لها وبيئته مختلفـة إلا أن العامـل المشتـرك هنـا هوالإسلام وثقافتـه وحضارته والبيئة التي يفرضها، ومن هنا كان التنازع أحيانًا داخل هذه القصص بين البيئة التي تمثل مثالية الكاتب، وهي البيئة الإسلامية، والبيئة التي تؤثـر لا شعوريًّا في شخصيات القصص، وهي بيئة شبه القارة الهندية بموروثها القديم، هـذا بالإضافة إلى أن المتلقي في شبه القارة يعرف تاريخـه، ويعرف تقاليد مجتمعه، وأحيانًا يجد المترجم نفسه مضطرًا إلـى شرح بعض النقاط غير الواضحة فـي أثناء الترجمة مما يقلل من

ثـم الناحية الفنية للقصـة المترجمة، ولهذا حرصـت كل الحرص في اختيـاري لهذه المجموعة القصصيـة أن تكون من النوع الذي لا يحتاج إلى شرح في أثناء الترجمة.

أما مـن ناحية اللغة، فالترجمة هنا تنقـل المعنى إلى العربية مع المحافظـة على ما يسمـى فنيًّا بالتكنيك الموجود فـي القصة بلغتها الأصليـة أي الأرديـة، وقـد حاولت قدر جهـدي الحفـاظ على جمال الأسلوب والسياق ونقل التراكيب الأردية إلى العربية، وكذا الصور.

وأهـم ما تجب الإشـارة إليه هنا هوأن أدبـاء الأردية في معظمهم يعالجون قضايا تهمّ المجتمع الإسلامي، واتجاههم في أسلوب المعالجة اتجـاه إسلامي خالص، وهذا باختصار يعبـر عن روح الأدب الهادف، وبعبـارة أخرى يعبر عن مفهوم «الأدب الإسلامـي».. ويتضح هذا جليًّا حين نستعرض قصص هـذه المجموعة التي تمثل بحق الاتجاه الغالب في فن القصة القصيرة في الأدب الأردي.

- القصة الأولى في هذه المجموعـة «الصدمة الثانية» للأديبة ذكية بلكرامـي تتناول قضية تتعلق بالإنسان المسلم الذي يصيبه الغرور والكبر ويكفر -والعياذ بـالله- بنعم الله -عز وجل- وتضع الكاتبة لقصتها نهاية هي عبرة لكل متكبر مغرور جاحد بأنعم ربه، وترسم الكاتبـة بطريقـة ضمنيـة صورة واضحـة لما يجـب أن يكون عليه المجتمع المسلم في علاقاته الفردية والجماعية.

- وقصـة الأديـب ظفـر حبيب «أيـن أذهب» تتنـاول موضـوع الفتنة الطائفيـة، أومـا يطلق عليـه بالأردية «فسـادات» في شبـه القارة

الهنديـة ويرسم الأديب صورة واقعية لوضـع المسلمين في الهند، واستعمل الرمز، فكشف عـن الحقيقة بوضوح، ورسم صورة وضح مـن خلالها تسامـح المسلمين مع غيرهم مـن جيرانهم ومدى ما يتعرضون له من بطش وقهر، ومدى ما تتعرض له ملامح الحضارة الإسلاميـة في الهند من هدم وتخريـب على أيدي غير المسلمين، يعضدهـم في هـذا السلطات الرسميـة، ويخاطـب الأديب ضمير العالم على لسان بطل قصته قائلاً: أين أذهب؟

- قصــة «شعاع الشمس الأخير» للأديـب غافر شهزاد قصة التقطها الأديـب من أحـد شوارع مدينة لاهـور الباكستانيـة؛ ليبين للقارئ الانتقـام الإلهـي، فبطل القصة سائـق «تاكسي» يعـود بالدواء إلى بيتـه فيجد فلـذة كبده، ابنه الوحيـد قد فارق الحيـاة.. ومن بعيد تناهى إلـى سمعه صوت الأذان.. وكان سائق التاكسي قد تأخر في إيصـال طفلة مريضة إلى المستشفى، وراح يسير بالسيارة مسافة أطـول؛ لينال أجرًا أكبر، مما نتـج عنه وفاة الطفلة؛ لأنها لن تصل في الوقت المناسب، وقد أبدع الكاتب تصوير شخصية بطل قصته الذي وصل إلى بيته مع آخر شعاع لشمس الغروب..

- قصة «شوكة» لعقيلة كاظمي تناقش ما يدور من صراع داخل الأسرة الواحدة، فالثروة حطت فجأة فغيرت من شخصية الإنسان.. حتى أصبـح يتمادى هذا الإنسان في بطشه إلى أن يأتي اليوم الذي ينال فيه جزاء غروره.. وهكذا أصيبت «سعدية» بالجنون.. ابنها وزوجته أخواته وإخوتها.. حتى بناتها قلّ أن يذكروها، وقلّ أن يزوروها حيث تقضي أيامها الأخيرة في مستشفى الأمراض العقلية.

- قصة «جني القمقم» للأديب أ.س حميد قصة فيها دعابة وسخرية، فيهـا رمز وإسقـاط والهدف الأساسي الذي يريـد الكاتب إيصاله إلى الذهن هو بيان ما يقوم به بعض الناس من خداع الآخرين عن طريـق إقامة المزارات والقباب واستجـلاب النذور، وما إلى ذلك من تقديس القبور.

- قصة الأديب ظفر إقبال «نوبة قلبية» تعالج قضية الغربة والمغتربين وما ينتج عنها من مشكلات أسرية بين الزوج وزوجه.. فالزوج مغترب يعانـي الوحدة والشقاء والزوجة تعاني وحدها داخل بيت أسرته، ولا تجـد أي فرصة للانفـراد به حتى خلال إجازتـه القصيرة كل عام، فتقـرر أن تشرح لـه معاناتها، وحين يقرأ رسالتهـا يدرك الحقيقة، ويصعب عليه تحمل مرارتها، فيصاب لأول مرة بنوبة قلبية.

- قصـة «ساحة العرض» للأديب نجـم الحسن رضوي تعالج موضوع الغربة أيضاً، لكن بأسلوب آخر وفي اتجاه آخر، فالمغترب هنا صبي صغير في ميدان سباق الهجن يصاب ويحمل إلى المستشفى، وأبوه برغـم هذا يود أن يسلم الأخ الأصغر إلـى حلبة السباق مرة أخرى فيعتصـر الصبي الألـم وهومشدود داخل الأربطـة والأنابيب على سريـر المستشفـى، وقد تراءت لـه المشاهد المحيطة بـه وكأنها ساحة لعرض المأساة التي لا يريد لأخيه الأصغر الوقوع فيها.

- قصة «كرب» تعالج قضية المغتربين المسلمين، وبخاصة في أوروبا، فهؤلاء يذوبون في المجتمعـات الغربية فينسون دينهم وعقيدتهم، والقصـة تصيـب القارئ فعـلاً بالكـرب، وقد نجحـت الكاتبة في إيصال رسالتها إلى القراء بوضوح.

- وللمغتربيـن حكايـة أخرى قدمهـا شمس نعمان فـي قصته «الابن والابنة والله»، وهي حكاية يمكن أن نجدها في باكستان وفي مصر أوالسـودان أوفي الشـام أوفي غيرهـا والأديب يريـد أن يقول: إن حب الثـروة إذا تغلغل بداخل الإنسان، فسيغلب على صلات الدم.. صلات الرحم، وتكون المأساة.

- وإلى غربة من نوع آخـر، غربة داخلية، فالمسلمون في وطنهم كشمير يعيشـون كالغربـاء، لكنهـم لا يخضعـون ولا يخنعون.. بـل يجاهدون ويناضلـون.. وثمن الحرية في كشمير ثمن باهظ، والحكاية على لسان فتاة من كشمير جعلتها الأديبة عقيلة كاظمي تحكيها لأبيها، وقد نشرت القصة في أبريل من عام ١٩٩٤م خلال تعرض أهالي كشمير لهجمات الجنـود الهنادكـة الشرسـة، وسيطرتهم علـى دور العبـادة وهدمهم وحرقهم لبيوت المسلمين واغتصابهم للنساء وقتلهم للشبان.

- قصـة «تفاهـم» للأديـب محمد سعيد شيـخ تصور حيـاة المجتمع المسلـم فـي شبه القـارة الهندية والقلـق الذي يصيب أفـراده إذا مـا تعرضوا لمـا يمس سمعتهـم بوصفهـم مسلمين شرفـاء، حتى لـوكان الأمر مجـرد إشاعة.. تـرى كيف تتم معالجة هـذه القضية إذا مـا حدثت..؟! هذا مـا كتبه لنا الأديب وهويرسـم صورة رائعة لشخصياتـه؛ لتعبر بصدق عما يعاني منه المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية الباكستانية.

- وموضوع قصة «الماضي والمستقبل» يتشابه إلى حد ما مع موضوع القصـة السابقة، فقد عبر الأديب ممتاز مفتي عن روح الشباب في

المجتمع الإسلامي، وكيف يصر هؤلاء الشباب على أن يمضوا على طريق الإسلام بوعي على الدرب الصحيح.

- قصة الأديبة الكبيرة بانوقدسية «كشف» تناولت الحياة الاجتماعية داخل حارة صغيرة، وهي تتعاطف مع شخصياتها، وتود أن تساعدها لاتخاذ قراراتها بنفسها، وذلك عن طريق كشف الحقيقة بوضوح، وعن طريق الكشف عن المشاعر الصادقة.

- أما القصة الأخيرة هنا وهي «وخز» للأديب الشهير أحمد نديم قاسمي، فهي تعالج موضوع الأضرحة والنذور، وما يروج له في منطقة ريف البنجاب من خرافات وخزعبلات وبدع تتنافى مع تعاليم الإسلام، وقد عالج الأديب هذه الفكرة بأسلوب رائع ممتع.

كانت هذه نبذة موجزة عن هذه المجموعة القصصية التي تقدم للطبع أول مرة من خلال رابطة الأدب الإسلامي العالمية.. وهي كما يلاحظ في مجموعها تعبر بكل وضوح عن الاتجاه الإسلامي في واحد من أهم أنماط الأدب الأردي، وهو فن القصة القصيرة.

والله أدعو أن أكون قد وفقت في اختيار هذه النماذج، وفي ترجمتها والتقديم لها.. وأدعو الله أن يوفقني لاختيار المزيد من النماذج الأدبية الأخرى، وترجمتها إلى العربية.

د. سمير عبد الحميد إبراهيم

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض – غرة رجب – ١٤١٤هـ

# القصة القصيرة في الأدب الأردني

بقلم: د. سمير عبد الحميد إبراهيم

على الرغم من أن بعضهم يؤرخ لبداية فن القصة القصيرة في الأدب الأردي مع بداية القرن العشرين الميلادي، إلا أن إرهاصات هذا الفن ظهرت في الأدب الأردي منذ مدة سابقة، لكن المحاولات الأولى كانت محاولات ناقصة.

ومن الجدير بالذكر أن المرأة قد شاركت الرجل منذ البداية كتابة فن القصة، وكان سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة الإسلامية قد دعا إلى ضرورة إعطاء المرأة قسطاً من التعليم، يتناسب مع إمكانياتها، ولا يتعارض مع ظروفها بوصفها امرأة مسلمة، وظهرت عدة مجلات مثل «تهذيب نسوان» و«شريف بي بي» مما أوجد فرصة لدى بعض النساء الموهوبات لكتابة القصص والروايات، ومن هؤلاء: رشيدة النساء بيغم التي كتبت رواية بعنوان «إصلاح النساء» وذلك سنة ١٨٨١م تناولت فيها موضوع العادات والتقاليد التي تسيطر على النساء في الهند، وما تتعرض له الأسر العريقة من دمار وفساد وأسباب ذلك. وتعد رشيدة النساء أول أديبة كتبت الرواية الأردية.

كان للمجلات الأدبية الأردية التي ظهرت في الحقبة اللاحقة لحركة سيد أحمد خان أثرها الإيجابي في تطور القصة الأردية، فقد بدأت نماذج القصة الأردية تنشر في مجلة «مخزن» و«زمانه» وغيرها، وكان من مشاهير الأدباء الذين كتبوا في المجلات الأدبية: راشد الخيري، وسجاد حيدر يلدرم، وسلطان حيدر جوش، ومنشي بريم تشند. وهؤلاء جميعًا كتبوا في فن القصة القصيرة، وقام سجاد حيدر يلدرم بترجمة القصص القصيرة من اللغة التركية إلى الأردية، واستفاد منها، إلا أنه أبدع بعد ذلك في كتابة فن القصة القصيرة الأردية.

تطور فن القصة القصيرة في العقدين الأولين من القرن العشرين الميلادي بسرعة وشهدت هذه الحقبة يقظة جديدة في إحساس أهالي شبه القارة، بالإضافة إلى الإحساس بالحزن نتيجة لضياع الحرية وسيطرة الإنجليز على مقاليد الحكم في البلاد، وظهرت عاطفة جياشة في قلوب الجميع من أجل الحصول على الحرية، وظهرت حركات اليقظة السياسية في عموم البلاد، وبخاصة بين المسلمين.. وقام بعض الأدباء في قصصهم بالإبداع الفني، بالإضافة إلى وضع هدف لرواياتهم وقصصهم. فها هو راشد الخيري يتمنى خلال قصصه أن يتخلص المجتمع المسلم من العادات والتقاليد السيئة التي سيطرت على النساء، وهي تقاليد وعادات كانت تتعارض مع تعاليم الإسلام.. ونلاحظ هذا في قصصه: فرشته بيوي (الزوجة الملاك) ومامتا (حنان الأم) وغيرها من روايات عبر فيها عن مأساة المرأة في المجتمع نتيجة سيطرة العادات والتقاليد المستمدة من عادات الهنادكة.. أما يلدرم فكان صاحب اتجاه رومانسي، فغلب هذا

علـى أدبه فـي وقت اتجه فيه بريـم تشند (وهوأديب غيـر مسلم) إلى الواقعيـة، لكنه أساء فهم المجتمع المسلم، ولم يتعمق فيه وأخذ معظم أفكاره من بيئته الهندوكية ومما كان يسمعه من حكايات عن المسلمين تحكى بين الهنادكة.

مضـى علـى طريق الاتجـاه الرومنسـي أدباء مثل نيـاز فتحبوري، ومجنـون كوركه بوري، ول. أحمـد، وحجاب امتياز علـي، وقاضي عبد الغفور، ومن بعدهم الأديـب الشهير ميرزا أديب. هذا، بينما اتجه إلى الأدب الواقعـي أدبـاء من أمثـال علي عباس حسينـي، وأعظم كريوي، وأختـر أورينـوي، وسهيل عظيـم أبادي. وبينمـا اتجه أدبـاء إلى كتابة القصـة للمتعة فقط دون وضـع هدف معين أمامهـم، ويمكن تصنيف هؤلاء في خانة أصحاب مذهب «الفن للفن»، ومن هؤلاء: عاشق حسين بتالـوي، وسيد عابـد علي عابد، وفياض محمـود خليقي دهلوي، وظفر واسطي، وآي رام نكري، ورئيس أحمد جعفري، وأبومحمد إمام الدين، وايم سليـم، وعابدي وغيرهم..وتطور فن القصـة القصيرة وانتشرت وزاد عدد قرائها..

وعـودة إلـى أوائـل القـرن العشرين.. فقـد شهدت هـذه الحقبة نهضـة نسائية، وبدأت حركة تهدف إلى ترك العادات البالية، واشترك مـع راشد الخيري شيـخ عبد القادر وشيخ محمد إكـرام، وصدرت من مدينة «دهلـي» سنة ١٩٠٨م مجلة «عصمـت»، وكان هدف شيخ محمد إكـرام وراشد الخيـري تعليم النسـاء، والحفاظ علـى حقوقهن داخل المجتمع، ومن العجيب أن يقوم راشد الخيري بكتابة عدة مقالات وبعض القصـص القصيرة بأسماء وهمية لبعض النساء، مما أدى بدوره إلى

تشجيع المرأة على الدخول في ميدان كتابة القصة القصيرة، فظهرت أسمــاء فعلية لأديبات جنبًا إلى جنب مع أسماء الأدباء المشهورين على صفحات مجلة «عصمت».

ومــن الضروري الإشارة إلى أن فــن القصة القصيرة قد تأخر عن الروايــة، فقد ظهــر هذا الفن في أواخــر القرن العشريــن، كما ذكرنا في مجلات مثــل «مخزن» و«زمانه» على يد سجــاد حيدر يلدرم وراشد الخيــري وسلطان حيدر جوشــ وغيرهم ممن يعــدون رواد هذا النمط الأدبــي، وفي هذه المدة شاركت المــرأة في هذا الفن، وكانت الكتابات النسائيــة ذات طابــع إصلاحــي تبليغي. وبــدأت الأديبــات يتخذن من القصــة وسيلــة لتحقيق أهــداف إصلاحية، ومن بيــن الأديبات اللاتي كتبــن في هذا الفن: محمدي بيغم، وعباســي بيغم، ونذر سجاد حيدر، وطيبة بيغم، وبيغم شاه نواز، وصفري همايون مرزا. واتجهن في الغالب إلى كتابة الرواية بدلاً مــن القصة القصيرة، وركزن على تعليم المرأة وحقوق المرأة.

لم يكن الأديب (مولانا) راشد الخيري هوالوحيد الذي كتب بأسماء نسائية مستعارة ليشجع المرأة على دخول ميدان الأدب، فقد كتب فضل حــق قريشي قصصًا قصيرة بتوقيع طاهــرة بيغم شيرازي، وكتب نياز فتحبوري قصصًا باســم مريم زماني بيغم، وكان في قصص الأديبين روح الدعابة والشقــاوة.. إلا أن الأديبات:عباسي بيغم، وخاتون إكرام، وأمة الوحي، وراحت آرا بيغم، وشائسته أختر سهروري أخذن مكانتهن في مصــاف الأدباء، وكانت أفكارهن في قصصهــن أفكارًا نيرة، فقد انتميــن إلى أســرٍ فاضلة تهتم بالعلم والعلمــاء والأدب والأدباء، وكانت

لأسرهـن مكانة عالية في المجتمع، وقد اتخذن قضايا المرأة موضوعًا وأبدعـن قصصًا هادفة، وكانت خاتون أكرم من أشهر الأديبات اللاتي كتبن القصة القصيرة في مجلة «عصمت»، وكان ذلك بين سنة ١٩١٨م وسنة ١٩٣٤م، ومن أهم قصصها «انقلاب زمانه» ثورة العصر، و«بيكر وفا» مجسم الوفاء، و«بجهري بيتي» أي الابنة التي فارقتني. ونالت هذه الأديبـة شهرة واسعة، ونشرت مجموعة قصصها تحت عنوان «كلستان خاتـون»، وكانت خاتون أكرم أول أديبـة تنال شرف الأديبة صاحبة أول كتاب ينشر ويتضمن مجموعة قصصها القصيرة.

وصـدرت عدة مجلات فيما بعد.. من لكهنو مجلة نكار، ومن لاهور مجلـة همايـون ونيرنك خيال وأدبـي دنيا، ومن دهلـي ساقي وغيرها، وكان لهذه المجلات دور عظيم في تطور القصة القصيرة..

ثم كان عصر الترجمة..

زادت حركـة ترجمـة القصـص القصيرة مـن اللغـات الأجنبية إلى الأرديـة، وكان لهذه الحركة أثرها فـي اطلاع كتاب القصة القصيرة على المستوى الفني الذي وصلت إليه القصة على المستوى العالمي، كما عرضت نمـاذج مختلفة مـن القصص. وممن قـادوا حركة الترجمـة وتزعموها: منصـور أحمد، حامد علي خان، بروفسور محمـد مجيب، خواجه منظور حسين، ظفر علي خـان، نياز فتحبوري، جليل أحمد قدوائي، وعبد القادر سـروري. ومن الجيل الجديد ظفر قريشي، وشاهد أحمد دهلوي، وصادق الخيري، وعطـاء الله كليم، وفضل حق قريشي، وسعادت حسن منتو، وقد أسهم هؤلاء أيضاً في كتابة القصة الأردية القصيرة.

وتعـد سنــة ١٩٣٦م منعطفًا مهمًــا في تاريخ القصــة القصيرة في الأدب الأردي، فقد تأسست جمعية المؤلفين التقدميين، وشكل أصحابها اتجاهًــا أدبيًّــا أومدرسة أدبيــة عرفت باسم «ترقي بسنــد تحريك» أي حركــة الأدباء التقدميين، وأصدر هــؤلاء مجموعة من القصص كانت بالنسبــة للقــراء غير مقبولــة، نظرًا لمــا فيها من فحش وهجوم على الحضارة الهندوكية من جهة والحضارة الإسلامية من جهة، مما جعل الحكومة الهندية تلجأ إلى مصادرة هذه المجموعة القصصية؛ حفاظاً على الأمن العام، ولهذا نالت هذه المجموعة القصصية أهمية تاريخية برغم أنها كانت في معظمها قصصًا ضعيفة من الناحية الفنية.

يــرى نقــاد الأدب الأردي أن الحقبة التي أعقبت عــام ١٩٣٦م هي الحقبة الذهبية للقصة القصيرة في الأدب الأردي؛ نظرًا لتأثير حركة الأدبــاء التقدمييــن، وقد ظهــرت جماعة أخــرى تسمى «حلقــة أرباب ذوق»، وظهرت جماعة ثالثة روجت لفكرة الأدب من أجل المتعة أوالفن للفن، ومن هؤلاء عظيم بك تشغتائي، وشوكت تهانوي، وقد نالوا شهرة عظيمــة. ومن الأدبــاء الذين اتجهوا لفن الدعابــة والمزاح فرحت الله بيك ورشيد أحمد صديقي وشفيق الرحمن وبطرس بخاري.

كان اتجاه أدباء الحركة التقدمية يرمي إلى تطوير القصة على أسس واقعيــة، ونذكر من بيــن الأدباء النشطيــن حيات الله أنصــاري، وعلي ســردار جعفري، واحتشام حسين، وأختر حسيــن رائبوري، وقد تضمن أدبهم الصراع الطبقي في المجتمع كأساس. والحقيقة أن حركة الأدباء التقدمييــن قد نهلت من منبــع الأدب الروسي إلا أنها اتجهت في مرحلة لاحقــة إلى الأدباء الإنجليز، وخاصــة عام ١٩٣٥م وما بعدها كما تأثروا من ناحية أخرى بكتاب الروايات الجنسية، حتى في الأدب الفرنسي.

وإذا وضعنا في أذهاننا الاعتبارات الفنية، فإن حيات الله أنصاري لـه مكانة من حيث الإبـداع القصصـي، ومن روائعه «آخـري كوشش» المحاولة الأخيرة، و«أنهوكي مصيبـت» المصيبة الفريدة، و«مان بيتا» الأم والابن، وغيرها.

أمـا سعـادت حسـن منتو فقـد تربى في حضـن القصــة الروسية والفرنسيــة، ثـم اتجه بعـد ترجمته للعديـد من القصص إلـى الإبداع القصصي، فكتب قصصًا رائعــة في موضوعات مختلفة لم يكتب فيها من قبل فــي فن القصة الأرديــة القصيرة.. وهو عــادة يصور العلاقة بيــن المرأة والرجل، وقد يجـذب إليه القارئ، فيستغـرق في القراءة، ثـم ينتهي إلى الحيرة لا أكثر ويظل حائـرًا.. وقد كتب عدة قصص لم يتقبلهــا المجتمع، بـل أدت به إلى قاعات المحاكـم، إلا أن القضاء برّأ ساحته من «تهمة الفحش».

ومــن مشاهيـر الأدباء الذيـن تربوا فــي أحضان القصــة الغربية القصيرة نذكـر الأديب غلام عباس الذي كتب قصــة بعنوان «الحمرا كافسانــة» أي حكاية الحمراء، ونالت شهرة واسعة، ومن القصص التي تعبر عن اتجاهه الأدبي نذكر: «حمام مين» في الحمام، و«ناك كاتنـوالا» أي جادع الأنف، و«نواب صاحبه كا بنكله» أي فيلا الهانم.

ومن الأدبــاء التقدميين نذكر خواجه أحمد عباس الذي كان ينشر الشيوعيــة من خــلال قصصــه، فكانت قصصــه كــ «المانيفستو» أي كالمنشور.

ومـن الأدبـاء المعتدليـن الذين نالـوا الشهـرة في عالـم القصة القصيرة نذكـر «ممتاز مفتي» وهوأديب لا يـزال على قيد الحياة يهتم بالتحليـل النفسي للإنسان، وبداخـل الأديب شخصية سائح لا تكل من الحركـة والمشاهـدة والتدوين. أما غـلام الثقلين، وجميلـة هاشمي، وصادق حسين، وأحمد نديم قاسمي، فقد صوروا في قصصهم الريف في شبه القارة الهندية إلا أن لكل منهم صورة تصدر من زاوية مختلفة، ونشيـر هنا إلـى أن غلام الثقليـن نقوي عبر في قصصـه الرائعة عن القيم الإنسانية من وجهة نظر رومانسية.

ولا يفوتنـا أن نذكر أنه في تلك المدة وفي باكستان الشرقية سابقًا (بنغلاديش الآن) ظهر أدباء كتبوا بالأردية من أمثال أحمد زين الدين، وأم عمـارة، وغلام محمد وأي خيام، وأحمد سعدي، وعلي حيدر ملك، وأيـوب جوهر وغيرهم، فقدموا من خلال قصصهم القصيرة بالأردية المجتمع وقضاياه في منطقة البنغال.

وكمـا كان لعصـر الترجمة أثره في الأدباء مـن الرجال، فقد كان لـه أيضاً أثره على الأديبات من النساء؛ نظـرا لأن الاتجاه الرومانسي في القصة جـذب إليه المرأة، واشتهر مـن أديبات تلك المدة حجاب إسماعيـل التـي عرفـت فيما بعد باسـم حجاب امتياز علـي، ولا تزال تكتـب قصصهـا التي تتميـز بالإبـداع والرومانسية، والأديبـة الثانية مسـز عبدالقـادر التـي أعطـت القصـة الأرديـة مكانة وحـددت لها اتجاهات واضحة، ويشير النقاد عادة إلى تأثرها بروايات «إدجار ألن بـو» الرومانسيـة، وعنصر الرعب والخوف ظاهر فـي قصصها، ومن عناوينها، مثلاً «لاشون كا شهر» مدينة الجثث، و«صداء جرس» صلصلة

الجرس، و«راهبة» أي الراهبة، وقد برعت الأديبة في استخلاص نتائج ميتافيزيقيـة رومانسية من الأحداث الواقعيـة، وأبدعت هذا الفن في الأردية.

وكان لكتابـات رشيـد جهـان أثرها فـي قصص وروايـات أديبات الأردية: عصمـت تشغتائي، وهاجرة مسرور، وخديجة مستور، وواجدة تبسم، وقد اشتهرت من بين هؤلاء الأديبة عصمت تشغتائي التي تناولت فـي أدبها موضوع الجنـس؛ لتعبر عما يدور في المجتمع، وقد حملت ما يدور داخل الحجب إلى خارج الحجب وعرضته بلذة فكرية وجدت قبولاً أحيانًـا ورفضًـا أحيانًا، فالناقد عزيز أحمد يـرى أن عصمت تشغتائي أديبة ذات اتجاهات مريضة، ويعود فيقول: لكن أحدًا لا يمكنه أن ينكر قدرتها على البيان؟.

أمـا خديجة مسـرور، وهاجـرة مسرور فقـد نحتا منحـى الأدباء التقدمييـن، وحاولتـا رؤيـة الحياة من خـلال التعبير عـن إحساسات المرأة الرقيقة وعواطفها، ووصلتا إلى درجة عالية من التعبير الفني من خـلال عرض الصراع بين الخيـر والشر لإخراج صورة مؤثرة لعلاقات الصداقـة الإنسانيـة.. وعبرت الكاتبة صديقة بيغـم في قصصها عن ملامـح الحياة الاجتماعية للأسرة المسلمـة، بينما كتبت زينب سجاد قصصًـا رائعة صورت فيها بيئة إمـارة حيدر آباد الدكن بكل ملامحها الاجتماعيـة والسياسيـة، وعن طريق القصة قامـت بتشريح المجتمع، ونجحت في ذلك إلى حد كبير.

ويـرى النقاد أن عصمـت تشغتائي هي الأديبـة التي احتلت مكانة

ثابتة بين الأدباء التقدميين، بينما كانت بقية الأديبات كاليراعات يحلقن.. يبرقن.. ثم ينتهين.

واتجه الأدباء قبل تقسيم شبه القارة الهندية إلى تصوير المجتمع بكل تعقيداته وبكل مشكلاته.

ومن الأدباء الذين شاعت شهرتهم قبل التقسيم نذكر شوكت صديقي، وقرة العين حيدر، وخديجة مسرور، وهاجرة مسرور، وقدرت الله شهاب، وبروين سرور، وآي حميد، وسيد أنور، وممتاز شيرين، ومحمد أحسن فاروقي، وقاضي عبد الستار، وتسنيم سليم تشهتاري.

بعد التقسيم برز أدباء إلى الصف الأول منهم إشفاق أحمد، وانتظار حسين، وغلام الثقلين نقوي، وبانوقدسية، وإلطاف فاطمة، ونثار فاطمة، وخليل أحمد، وغيرهم.. اتجه إشفاق أحمد إلى تصوير الواقعة الصغيرة في قصة؛ ليركز بها على هدف معين، وقد نالت قصته «كدريا» أي الراعي شهرة كبيرة، ومن قصصه «توبة» أي التوبة، و«تلاش» أي البحث، و«أمي»، و«شب خون» أي الغارة ليلاً.

أما انتظار حسين فقد ركز على الماضي؛ ليصل إلى الحاضر، ثم يعود مرة أخرى إلى الماضي، وهويستخدم الرمز وأسلوب الرواية الأسطورية. وقد وفق من الناحية الفنية في العرض القصصي.

ومن الأديبات نذكر فرخندة لودهي التي ركزت على الريف، فهي من الريف وأقدامها متصلة بالأرض والفلاحة.. وقد قدمت إلى المدينة، فجمعت بداخلها ألوان الحيرة والدهشة، ومن قصصها «شرابي» أي

السكير، و«معجزة» أي المعجزة.. هذا بينما ركزت الأديبة ألطاف فاطمة على الجانب النفسي في شخصيات قصصها.

هناك مجموعة من الأديبات لم ترتبط بجماعة الأدباء التقدميين نذكر منهن الأديبة القديرة قرة العين حيدر التي لا تزال تعطي الأدب الأردي من مداد قلمها ثروة أدبية عظيمة، وقد نالت شهرتها قبل التقسيم وبعده، وهاجرت إلى باكستان، ثم عادت مؤخرًا إلى الهند، ونالت أكبر الجوائز الأدبية في عموم الهند منذ شهر (نوفمبر ١٩٩٤م) ونشأت في بيت أدب وعلم، فوالدتها هي الأديبة نذر سجاد حيدر ووالدها هو سجاد حيدر يلدرم، وكلاهما من كتاب القصة كما أشرنا.

حاولت قرة العين حيدر جمع أشواك الحياة في حضنها، وراحت تكتب عنها، وهي تشعر بالجراح، والألم الذي ابتلي به المجتمع الإنساني كله، وقد احتلت مكانة فريدة لما لها من حس ثقافي وحضاري واجتماعي وتاريخي.. ولا يزال فنها القصصي يرقى ويتطور حتى كتابة هذه السطور..

أما ممتاز شيرين فقد حاولت أن ترقى بالقصة الأردية القصيرة إلى المستوى الغربي، وكتبت قصصًا رائعة مثل «كفارة»، وتمتاز قصصها بسلاسة البيان وروعة العرض. ويرى بعض النقاد أنها ربما تكون الأديبة الوحيدة من بين كتاب القصة التي لها إدراك عميق بالتجربة الفنية و«التكتيكية»، ولهذا نالت شرف كونها أول ناقد من نقاد القصة الأردية.

بالإضافة إلى قرة العين حيدر وممتاز شيرين نذكر سحاب قزلباش، وتسنيم سليم جهتاري، وعائشة دراني، وشائسته أختر، وصالحة عابد حسين، وبروين سرور، وحميدة سلطاني، وزهرة جبين، وشفيق بانو، وسيدة أشرف وغيرهن، وبرغم أنهن لم ينلن اهتمام النقاد إلا أنهن نِلْنَ اهتمام القراء. فقد ظلت مثلاً قصص سحاب قزلباش مدة تثير التساؤلات وتنال الاهتمام على صفحات صحيفة «جمنستان» في دهلي، ولا يزال صدى قصتها «آك كل رهي تهي» كانت النار مستعرة يسمع حتى اليوم. كما نشرت بعض قصصها في مجلة «آج كل». ومن قصصها «بهوكا هـ بنكال» أي البنغال الجائع، و«توت كيا ايك تاره» نجمة تحطمت.

وكتبت صالحة عابد روايات وقصصًا اجتماعية إنسانية، وعبرت بروين مسرور عن البربرية التي حدثت في أثناء التقسيم، كما عبرت أيضاً عن سقوط دهاكة، ولا تزال هذه الموضوعات ومثلها هي عصب قصصها.

في العقد السادس من القرن العشرين الميلادي مرت القصة الأردية بمنعطف جديد اتجهت فيه إلى أسلوب التجريد والرمز، ويقال: إنه في سنة ١٩٥٨ م بعد تطبيق قانون الطوارئ بدأ أصحاب الأقلام في البحث عن طريق جديدة للتعبير عما بداخلهم، فاتجهوا إلى الرمز والاستعارة والتجريد في قصصهم، وساعدهم على هذا اكتمال فن القصة القصيرة واتجاه النقاد إلى الرغبة في مطالعة قصص من نوعية جديدة.. وقد كتب هذا النوع رشيد أمجد، بلراج منير، أنور سجاد، أحمد جاويد، قمر إحسان، علي حيدر ملك، سجاد نقزي،

وخالـدة حسيـن، وكمارباشـي يوسف تشودهـري، ونيلم أحمـد بشير، وشمس نعمان، وظفر إقبال، وأسد محمد خان، وزاهدة حنا التي تكتب في جريدة أردونيوز التي تصدر في المملكة العربية السعودية..

ومنـذ سنـة ١٩٨٠م، وما بعدها بـدأ عصر الإبداع فـي فن القصة القصيـرة فـي الأدب الأردي علـى يـد أدباء كبـار ورد ذكـر بعضهم، ومنهـم: ممتاز مفتي، وميرزا أديب، وأحمد نديـم قاسم. وكذلك أنوار أحمد ،ومرزا أطهر بيك، ومحمود أحمد قاضي، وعقيلة كاظمي، وكلزار جاويـد.. كما حققت بعض الأديبـات شهرة واسعة ونذكر منهن: نيلوفر إقبـال، نكهت سيمـا، عطية سيد، شمـع خالد، فريدة حفيـظ، شكيلة رفيق، رفعت مرتضى، وخالدة شفيع، ونسرين قريشي، وبروين عاطف، وسلمـى ياسمين نجمي، وشمع خالـد، وفرزانة رباب، وسلمى صديقي، وذكية بلكرامي وغيرهن كثيرات..

وتضم قائمة القصة القصيرة اليوم أسماء عديدة يصعب حصرها فـي الهند وباكستـان، نذكر منهم هنا بالإضافة إلـى من ذكرناهم في السطـور السابقة على سبيل المثال لا الحصر: جميل أحمد آفاقي، آغا قزلباش، عرفان علي، إعجاز أحمد فاروقي، كلزار جاويد، ستار طاهر، ظفـر حبيب، وغافـر شهرزاد، وفـاروق خالد، برزين عاطـف، وسلمى أعوان، وعقيلة كاظمي، وغيرهم كثيرون..

# الصدمة الثانية

للأديبة: زكية بلكرامي

الأديبة ذكية بلكرامي تكتب القصة القصيرة وتعبر بصدق عن روح الأدب النسائي، وهو أدب في معظمه هادف يعالج قضايا مهمة داخل المجتمع النسائي بصفة خاصة. وقصتها الصدمة الثانية فيها عبرة لكل فتاة وكل امرأة يغرها جمالها ودلالها، فقد تعرضت بطلة القصة لصدمتين كانت الصدمة الأولى بلا شك أشد، فقد فقدت فيها أمها وأباها وإحدى رجليها، ومع هذا فقد تحملتها.. إلا أن الصدمة الثانية كانت من الشدة، بحيث لم تستطع أن تتحملها!

## الصدمة الثانية:

كنت أعرف جيدًّا أنني على قدر كبير من الجمال.. بياض تخالطه حمرة وردية، جسم متناسق كله نشاط وحيوية، وشعر أسود فاحم مسترسل.. وكما تقول صديقاتي: كنت أبدو «حلوة جداً» حين أضحك.

كنت الابنة الوحيدة لأبويّ وكان لي أخ يكبرني قليلاً، وكانوا جميعاً – أبي وأمي وأخي – يقومون على خدمتي ويفتدونني بأرواحهم، إذ

كانــوا يــرون أن من واجبهم تلبيــة جميع مطالبي وتحقيــق رغباتي كلها والرضوخ لعنادي.. كان لنا بيت جميل، نعيش فيه حياة كلها راحة ودعة، فالله وهبنا كل شيء، وكان يجب علي أن أسجد لله شكرًا على نعمه هذه، وأن أسبــح بحمد الله على مــا وهبنا إياه، لكن سلوكي كان على عكس ما ينبغي، فقد ركبني شيطان الغرور والكبر، وفي نشوة الإحساس بالعظمة لــم أكن أعمــل حسابًــا لأيّ كان، كنت أغتــر بجمالي وأشعــر أنني فقت جميع نساء العالم جمالاً، حتى إنني كنت أجلس أمام المرآة وأتطلع إلى وجهي وأتخيل أميرًا وسيمًا بهي الطلعة سيأتي من بلاد الحور، ويحملني معــه ويطير، كان هــذا هوالسبب في أن أحدًا من أبنــاء الأسرة لم يشد انتباهــي، أوكما نقول نحن الفتيات: «لم يمــلأ عيني»، والأدهى من هذا أننــي رحت أسخر منهم جميعًا، وكانت عماتي وخالاتي جميعهن يرغبن فــي أن يخطبننــي لأحد أبنائهــن، لكني كنــت دائمًا – أمــام أبي وأمي – أسخر من أبناء أقاربي سخرية فاضحة: ماذا يعني لو صار «إعجاز» ابــن عمتي طبيبًا؟! قامته قصيرة.. قزم كيف أقبله زوجًا؟! وابن خالتي «أسعد» صار مهندسًا إلا أن لون بشرته أسود.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. لو حدث وتزوجته لصرنا معًا كالكشري المليء بالعدس.

أما ابن عمي «وقار» فقد حصل على الماجستير، ويعمل في وظيفة طيبــة، إنسان طيب إلا أن شعر رأســه قد اختفى ولو أن شكله مقبول إلا أن «صلعته» لا تعجبني.. وهكذا عارضت الارتباط بأي شاب من أسرتي، وحاولت أمي أكثر من مرة أن تفهمني:

«نائلــة! يــا بنيتي، هذا أمر مشين أن تسخــري من شكل وصورة كل إنسان من حولك وتعدّيه أقل منك، يجب أن تتوبي وتستغفري الله؛ حتى لا يغضب عليك بسبب غرورك هذا».

لكنــي كنــت أسمــع كلام أمــي مــن «أذن» وأخرجــه مــن «الأذن الأخرى»..

فــي الكليــة عقدت صداقات مــع بنات كل صنــف، إلا أن كلاًّ منهن كان فيهــا عيب ما، فكنت أشير إلى هذا العيب بطريقة أوبأخرى وكانت البنات يحملن بداخلهن كراهية لي، ومع ذلك بقين على صداقاتهن لي، إذ كانت معظمهن يستفدن مني.. مثلاً لما كنت آخذ دروسًا خصوصية، فقــد كان عندي إجابات جميع الأسئلة، فكــن يحصلن عليها مني، هذا بالإضافة إلى أنني كنت أنفق كثيرًا من المال في مقصف الكلية، وكنت أغــدق عليهن، وفي مقابل ذلك كــن يتحملن غروري واعتدادي بنفسي، وحتى سخريتي منهن..

وهكذا حصلــت ذات يوم على البكالوريوس، وأعلنت وقتها أنني لن أواصل دراستي أكثر من هذه المرحلة، وأقام والدي وليمة ضخمة بهذه المناسبــة، دعا إليهــا جميع أفراد العائلة، وبعدهــا بدأت عروض طلب الــزواج تنهال علي. وكانت العروض من الأقارب ومن غيرهم أيضًا، إلا أننــي رفضت مناقشة هذا الأمر جملة وتفصيلاً.. ومرت الأيام، وكانت أمي قلقة جدًّا لأمري، وعنفتني ذات يوم فعارضتها، قائلة:

«يــا أمي، لمــاذا تنسين أني جميلــة؟! ومن حقي الــزواج من رجل وسيم، وإذا كان كل رجل في هذه الدنيا يبحث عن فتاة جميلة أليس لي الحــق أنا أيضاً في أن أفعــل ذلك، وأبحث عمن يعجبني؟!.. فإذا رفض أهــل الشاب أن يزوجوه من فتاة قبيحة، ويرون من حقهم هذا الرفض، فلمــاذا لا تعيبيــن عليهم هذا الفعــل؟ ولماذا أنا التي تتــزوج من أصلع

أو قصيـر القامـة أوأسود؟! لا يمكن.. إذا لم يكـن في أي عيب، فلماذا أتـزوج من فيه عيب؟ رجل أسود يتجرأ ويطلب الزواج من فتاة جميلة.. تبًا له.. على أمثاله اللعنة..».

أفرغـت كل ما في قلبي ورحت أصب جام الغضب على أمثال هؤلاء الرجـال، ولم تنطق أمي بشيء ردًّا على هـذه الخطبة التي ألقيتها على سمعها، ومضت في صمت وتركتني..

وذات يـوم اختاروا لأخي فتـاة.. كان أخي يكبرنـي بسنوات، وكان والـداي يرغبان في أن يكون زواجه بعد زواجـي، إلا أنهم اضطروا إلى التفكيـر في طريقة أخرى بعد رفضي للزواج، وخطبت أمي له «نوشين» إحدى بنات صديقاتها القدامى، وقد التقيت بها وأعجبتني كثيرًا، ولأن بين الأسرتيـن «معرفة» قديمة، فلم تكن هناك حاجـة لتأخير الزواج، وهكـذا وبسرعـة أصبحت نوشين زوجـة أخي وجـاءت لتعيش معنا في بيتنـا، وفي أيام قليلة اعتـادت زوجة أخي عَليَّ، وعلـى أهل بيتي، لكني شعـرت أنها لم تستحسن أفكاري ولم تعجبها عاداتي.. وذات يوم قالت لي بكل اتزان:

«نائلـة.. يجـب عليـك أن تفكري فـي مستقبلك، وتتخـذي قرارك بسرعـة؛ كي لا يفلت الوقت من يدك ويمر قطـار الزواج، فهو لا ينتظر طويـلاً والرجل ليس بصورته، ولكنـه بسيرته، ولا يعيبه شكله إذا كانت أخلاقـه حميدة، فانظـري بلا شك إلى تعليمه، وإلـى أصله أي أسرته، أنـا لا أقول لـك: تزوجي من رجل قبيـح الخلقة.. ولكـن الطريقة التي ترفضين بها الزواج ممن تقدموا لك طريقة غير لائقة!».

«يا زوجة أخي.. أنا لا أريد أن أعيش حياتي على عكس ما أهوى وأريد، ثم لماذا أنت قلقة عَلَيَّ، وماذا يفيدك التفكير في حالي.. أمي وأبي لا يزالان على قيد الحياة وبخير، دعيك من هذا القلق واتركيه على كاهلهما، فهما أحق بتحمله منك».

أصابها ردي بالامتعاض، فسكتت على مضض..

كان جلوسي في البيت بعد ذلك مدعاة لأن يتغير مظهري فرحت أحيك ملبوساتي على مختلف أشكال «الموضة» ورحت أرتديها بحب ورغبة، وكان جميع شباب العائلة الذين رشحوا قبلاً للزواج مني قد تزوجوا، بينما صار أخي أبا لابن صغير...

مرت ثلاث سنوات على حصولي على البكالوريوس إلا أنني كنت – حتى ذلك الوقت – لا أزال واقفة في المكان نفسه على مفترق طريق الحياة.. ولم يأتِ حتى ذلك الوقت أمير أحلامي.. وهكذا راح الوقت يمضي والأيام تمر والعجيب أن يزداد غروري أكثر وأكثر، ويزداد شعوري بالتعالي على الآخرين.. وربما سبب لي عدم تقدم عريس وسيم يطلب يدي، شيئًا من الغضب بطريقة لا شعورية.. لا يهم فكم كان عمري؟! ثلاثة وعشرون، لم يكن هذا الأمر يصيبني باليأس، فقد كنت على يقين من أنني سأحصل على ما أتمناه: شاب وسيم يأتي إِليَّ يومًا ما، وسيرى العالم كله هذا، وسيقول الناس: زوجان كالشمس والقمر..

كانت الحياة بالنسبة لي جميلة رائعة.. لم يحدث أن تألمت أو أصابني ما يشعرني بالحزن أو الأسى، لم أكن أعرف ماذا يعني

الحزن أو على أي شيء يطلق هذا الاسم، ولكن ذات يوم انتهى فجأة كل ما هو جميل في حياتي.

كنـا في مشـوار بالسيارة أنا وأبي وأمـي.. وإذا بسيارة نقل ضخمة تصدمنـا.. توفـي أبي مع أمي في الحال، وتوفـي السائق أيضاً ولم ينجُ من هذا الحادث الأليم سواي..

حيـن عدت إلى البيت بعد خروجي من المستشفى أدركت أن رجلي اليمنى قطعت، وتحت ذراعي اليمنى عدد من الغرز خاطوا بها جراحي، ورحـت أتطلع إلى المرآة خائفة مرتعـدة.. آه لم يحدث شيء لوجهي.. كان لا يزال على عهدي به جميلاً وكان شعري الأسود الطويل أيضاً كما هو.. أما أنا فلم أعد كما كنت.. صرت فتاة يتيمة معوقة..

ظل أخي وزوجتـه يحاولان مواساتي ويجبـران بخاطري.. وجاءت العائلة كلهـا فرادى وجماعات لأداء واجب العـزاء.. وانتهى الأمر لكن بالنسبـة لـكل من حولي، أما أنـا فقد أظلمت الدنيا فـي وجهي.. فأمي التي لم أكن أفكر ولو للحظة أن تبتعد عني قد ابتعدت عني إلى الأبد.

كان مولـد طفـل لأخي مدعـاة لأن تنشغل زوجة أخـي أكثر فأكثر، فكانـت كل بضعـة أيام تذهـب بالأطفال إلى بيـت أسرتهـا، وأبقى أنا وحيـدة في البيت، أدور حول نفسي، أقطع الوقت الذي صار يمر بطيئًا، لقـد اعتادت زوجة أخي الذهـاب إلى بيت أسرتها، لكـن ذلك كان في وقـت كانت أمي موجودة في البيت، وأبـي أيضاً، فلم أكن وحدها أشعر بالوحدة، إلا أن الوضع مختلف الآن، فقد صارت الوحدة قدري.

تقوقعت على نفسي، وانتهت زيارات صديقاتي لي، فقد تزوجن.. ولم يعد لي صديقة واحدة.. تمرغ غروري وكبريائي الكاذب في التراب، كان الناس ينظرون إلي فيخافون ويرتعدون ويوجهون لي عبارات التعاطف والمواساة التي كانت تصل إلى قلبي، فتخزه كشوكة تدميه.. وراحت العجائز من عائلتي يثرثرن:

«لو كانت نائلة تزوجت من أحد أفراد العائلة لكان الجميع عونًا لها، لكن من يسأل عنها في حالتها هذه؟!».

كان شباب العائلة الذين رفضتهم قبلاً يبدون تعاطفًا تجاهي، كانوا يعيشون حياتهم العادية كما هم مع أهل بيتهم في اطمئنان وسعادة، بينما كان قلبي يدمع دماً.. أين راحت أيام السعادة؟! من سلبني اللحظات المليئة بالسرور والهناء؟! وصدقت زوجة أخي فيما قالته لي من قبل.. لقد أفلت الوقت من يدي وتركني القطار، ومضى دون انتظار.. وراح «عكازي» هذا يقلقها كلما تحركت هنا أوهناك، وكنت كلما تحركت ناحية الثلاجة لأحضر الماء، أو كلما تحركت من غرفة لأخرى لأحضر شيئًا ما كان صوت عكازي، وهو يدق على الأرض يقلق الأطفال، فيستيقظون من نومهم.. كم من مرة قالت لي زوجة أخي:

«نائلة، اطلبي الماء أحضره لك.. الأطفال الصغار يستيقظون بسبب الإزعاج وإعادتهم إلى النوم ثانية أمر شاق».

كانت كلماتها سهامًا تصيب كبدي.. كان هذا صحيحًا.. كنت معوقة.. وكان صوت «عكازي». يسبب إزعاجًا للآخرين.. لكن ماذا

يمكــن أن أفعــل؟ وأين؟ بل كيــف أخفي مكان رجلــي التي قطعت؟ كنت أعــرف أن علــي أن أقضــي بقية حياتي فــي هذا البيــت، كان هذا أمرًا مقــررًا ومفهومًا لدى زوجة أخي، ولهذا كنت أسكت، ولا أرد ولو بحرف علــى ما تقولــه، وتناسيت، بل أقلعت عن التفكير فــي كل ما كنت أرغب فيه وأتمناه، ومع هذا فقد كانت زوجة أخي دائمة الشكوى مني، وراحت أحيانًــا تذكرني بتقصيري وبأخطائي في الماضي، مما جعلني عصبية سريعــة الغضب، وزاد هذا من ثم من توتــري، وأما أخي فقد رزقه الله الكثيــر مــن الأولاد.. واحدًا تلوالآخر ممــا جعله أكثر انشغــالاً وانفعالاً أيضًــا، وكانــت زوجته تعرف أن أخي سيتحمــل مسؤوليتي طوال العمر، ولم تكن هي على استعداد ذهني لتقبل هذه الفكرة..

ذات يوم، وبعد أن ذهبت زوجة أخي إلى بيت أهلها خرجت مستندة على «عكازي» إلى حديقة بيتنا.. حديقة جميلة برغم مساحتها الضيقة، تملؤهــا الورود الزاهرة من كل نوع، لكن ماذا حدث؟ ألوانها صارت في عينــي باهتة، وعبيرها لم يعد له تأثيــره السحري القديم الذي اعتدت عليــه من قبل.. جلست على أحد الكراســي الموجودة بالحديقة ورحت أفكر في تلك الأيام التي مضت.. هل تعود؟! ومن بعيد شاهدت «جمال» أحد أقاربنا قادمًا، وجمال كان يكبرني بعدة سنوات، ولم يكن قد تزوج بعــد.. لقــد اقتربــت الآن من الثلاثين ونظــرًا لجمالي الفتــان كان من الصعب ملاحظة كبر السن في ملامحي..

كان جمــال مــن ناحية الشكل والصــورة إنسانًا عاديًــا بوجه عام، وكان بطبيعتــه إنسانًا شريفًا عزيزًا وابنًا مطيعًا لوالديه، وكان في زمن مضــى يسرح شعــره بالزيت، ويرتدي ملابس زاهيــة الألوان فضفاضة

لا يهتم بكيها أو ترتيبها ويروح يتجول هنا وهناك، لكنه الآن يرتدي ملابس يبدو منها هندامه واضحًا كما يلبس حذاءه الذي يلمع دائمًا؛ نظرًا لمسحه «بالورنيش» وبصفة عامة لم يحدث أن دار بيني وبينه أي حديث، لكنه وبعد مدة طويلة، وفي ذلك الوقت بالذات يأتي إلى بيتي.. وفي غير وجود زوجة أخي، فلم يكن هناك بدّ من الترحيب به..

جلس جمال على الكرسي المواجه لي، وسألته – وكالعادة – عن أحوال والديه وبعد حديث استمر مدة ليست بالطويلة إذا به يقول:

«نائلة! عندي لك كلام»..

«نعم، هل هناك شيء.. تفضل قل» قلت هذا بمنتهى الرزانة والاتزان.

«لا.. لا شيء بالتحديد، لكن لدي اقتراح»..

«أنا لا أفهم» ولم أفهم حقيقة ما قال.

«في الواقع إنني أتألم وأنا أراك هكذا وحيدة، وإنني قلق في معظم الأحيان من أجلك».

«أخي جمال.. هذا هو القدر المكتوب».

«نائلة! أود.. أعني.. أقصد أنني أريد طلب يدك.. ولا اعتراض عندي على...».

سمعــت كلام جمال، فشبت النار في جســدي، وسرت في عروقي، هــذا الشخص الذي لم أكن حتــى أميل إلى أن أبادلــه أي كلمة.. يأتي اليوم.. يعطف علي.. يطلب يدي، فقلت، وأنا أخفي غضبي بداخلي:

«أتدري ماذا تقول؟».

«نعم، نائلة» وصار أكثر حساسية وانفعالاً واستطرد، قائلاً:

«فكــرت دائمًا فيــك.. أحببتك لكني لــم أجرؤ أبدًا علــى الإفصاح بذلك، فقد اعتبرت نفســي غير جدير بك، وبعد هذه الحادثة أيضاً لم أجــرؤ على التحدث إليــك؛ لأن وظيفتي كانت متواضعــة، أما الآن فقد رقيــت إلى وظيفة أحسن، وتحسنت ظروفي المادية، وأنت الآن وحيدة، ولذلــك فقد جئت اليوم حاملاً أمنياتي الكامنــة في قلبي منذ سنوات، فإن رضيت، وقبلت حدثت أمي في الأمر»..

يا لزماني!.. إنسان مسكين كالح الوجه يعطف علي، فيطلب يدي.. لــم أدرِ كيف سيطرت على أعصابي، وكتمــت غيظي وغضبي على غير العادة، فقلت له:

«أخــي جمــال! لا أود سمــاع هذا الــكلام الفارغ، إننــي أتعجب، بل أجدنــي في حيرة كيــف واتتك هذه الجرأة.. مــن الأفضل على أي حال أن تغــادر قبل أن تأتي زوجة أخــي، وإلا فإن ما بي سيفيض، ولا يمكننــي أن أتمالك أعصابي».

لــم يكن جمــال يتوقع أن يصدر عنــي هذا الرد، فنظــر إلي دهشًا متحيرًا، وقال:

«نائلة، فكري مـرة أخرى.. كان في قلبي لك حب طاهر، ولا يزال، وسوف يبقى».

وتحاملت علـى نفسي، وأخذت «عـكازي» واندفعـت لأدخل البيت، وجعلنـي الغضب في حالة يرثى لها، ورأى جمال أنه ليس من اللائق أن يظل جالسًا فنهض وعاد من حيث شاء.

فـي تلك الليلة رحـت أذرف الدمع غزيرًا، هكـذا كتب علي قدري، ورحـت أنال جـزاء غروري، وأتجـرع الألـم علقمًا، لم أكـن قد فكرت أبـدًا فـي الوجه الآخر للحياة، لكن لماذا كل هـذا يحدث لي، على وجه البسيطة آلاف وآلاف من الناس ارتكبوا أيضاً أخطاء وأغلاطاً بطريقة أو بأخـرى، ولـم يأتِ يـوم حسابهم أبـدًا، فلا يزالون ينعمـون وينالون نصيبهم من السعادة ولا يزال حبل سعادتهم ممتدًا، لكن حبل سعادتي انقطع فسقطت من علياء السماء إلى الدرك الأسفل من هذه الأرض، ثم إننـي قرأت في الكتب: إن الله يبتلي عباده الصالحين وإنه ينعم عليهم برحمته بعد هذا البلاء، فهل أنا يا ترى من عباد الله الصالحين؟! هل أنـا الآن في مرحلة البلاء والاختبار؟! ومتـى تنزل علي رحمة الله؟!... بـدأت هذه التساؤلات تدور في عقلي، وهي تساؤلات لم توجد لها إجابة واضحـة عندي، ومضت أيام شعرت خلالها بـأن حديثًا جادًّا يدور بين أخي وزوجته يتعلق بالتأكيد بأمر يهمني؛ لأنني كنت كلما اقتربت منهما انقطعـت سلسلة الحديث، لم تكن لدي رغبة بأي موضوع يتحدثان فيه، فقـد كنت أعرف أن أميـر أحلامي لن يأتي أبدًا كما لـم أكن أبدًا على استعـداد – ذهنيًّـا – لقبول شخصـ مثل جمال، فقـررت من داخلي قـرارًا لا رجعة فيه، وهوأن أعيـش حيـاتـي وحيدة، فلا ضرورة مطلقًا

للــزواج، وكم مــن الفتيات يقضين حياتهن هكذا مــن دون زواج فلأكن واحدة منهن.. إلا أن جميــع أفكاري ونظرياتي وقراراتي ذابت، بعد أن أجلسني أخي، وحضرت زوجته بالقرب منه، ثم قال:

«نائلــة! لقد رتبنا لك أمرًا من أجــل مستقبل طيب، وكان الله معنا وأعاننــا على هذا الأمر.. «نعيم» إنسان طيب، فهل لديك اعتراض على قبول الزواج منه؟!».

لفني صمت أخرجني منه ما قالته زوجة أخي:

«نعيم ابن عمي إنسان شريف عزيز، كما أنه رآك مرة أيضاً..».

رفعــت ناظري تجاه زوجــة أخي، كانت في نظراتــي إليها تساؤلات تمــوج في صمــت.. فنهضت واقتربت مني وجلســت بجواري، ثم راحت تربت على ظهري، قائلة:

«لا تقلقــي نعيم يعرف مأساتــك، أنت من ناحية الشــكل والصورة جميلة.. وافقي على مقابلته».

«لكــن يــا زوجة أخــي.. لا بد أن يكــون هناك سبب مــا يجعله يقبل الزواج من فتاة معوقة مثلي...» وكان نطقي بكلمة فتاة قد جعلني أتلعثم فسكت، ولم أكمل عبارتي، فعاجلتني زوجة أخي بقولها:

«لا تقلقي نفسك، ولا تفكري بشيء فقط قابليه..».

«لا.. أريد أولاً معرفة أصل الحكاية.. ماذا قلتم له؟».

راح أخـي وزوجته يتطلعـان إلى بعضهما، وكأنهمـا يحاولان إخفاء أمر ما لا يريان أي داعٍ لإخفائه وعدم الإفصاح عنه.. فقلت:

«يا زوجة أخي.. يجب أن تكون الأمور واضحة تمامًا.. أنا لست بهذا الضعف، ثم إن الزواج ليس بالأمر الضروري أيضاً».

«الزواج أمر ضروري جدًّا يا نائلة.. أنت لا تدرين حالة أخيك، وكم هو قلق من أجلك!».

«لهذا رحتـم تبحثون لي عن أمثال نعيم.. لكـن على أي شرط! إذا لـم تخبرانـي بالحقيقة، فلن أستمـع لكما» قلت هـذا وحملت «عكازي» وشرعت أترك المكان إلا أن أخي استوقفني، قائلاً:

«اجلسي يا نائلة.. سأخبـرك.. ما سأقوله لك صحيح مئة بالمئة.. نعيم إنسان شريف له محل تجاري، تعيش معه أمه وأختاه، وهو مسؤول عـن إعالتهـن، وحدث أن تعرضـ متجره للسرقة، وهـوالآن في ضائقة ماليـة شديـدة، وهو لم يتزوج حتى الآن، كانت أمـه تبحث له عن فتاة، ثم حدث ما حـدث لمتجره، فتوقف التفكير في مسألة زواجه، لكنه إذا وجد عونًـا ماليًّا وتحسن وضعه التجاري والمالـي، فلن يكون هناك أي مانع في التفكير في مسألة الزواج من جديد.. نائلة لا حرج ولا مضايقة فـي هذا الأمر، سوف نساعده ماديًّـا فتتحسن أوضاعه التجارية، وأنت سوف تذهبين، وتعيشين في بيت رجل شريف».

«هكـذا الأمـر.. جعلتموني سلعة تقيمونها فـي البورصة» وتحطمت بداخلي أشياء، فقلت وأنا أحاول إخفاء ما بداخلي من مشاعر:

«كم المبلغ الذي اتفقتم عليه؟».

«سوف نعطيه مئتي ألف».

وقالت زوجة أخي بسرعة:

«هذا هوالمبلغ الموجود في حساب المرحوم الوالد».

«اسمعي يا زوجة أخي.. أنا لا أوافق على هذا الزواج».

«لكن لماذا...؟».

«أنتم تبيعونني بمئتي ألف روبية.. هذا هو قدر محبتكم لي؟ أنا لست سلعة تباع بمال، ولن أسمح لأن أكون كذلك وزواجي لن يكون لقاء أي مبلغ مهما كان».

«نائلة! لا تأخذي الأمر بهذه الحساسية الشديدة». قال أخي هذا وهو يحاول إفهامي:

«نعيم رجل شريف لن يجلب لك سوى السعادة على الدوام».

«أخي على الأقل أنت لا تكرهني إلى هذه الدرجة، فلا تجعلني لا أرى أمامي سوى الموت».

اغرورقت عيناي بالدموع، واستراح أخي لرفض هذا الزواج إلا أن معاملة زوجته لي تغيرت منذ ذلك اليوم، كانت دائمًا تقدح في حقي، قاعدة قائمة، ذاهبة عائدة، ولم يكن أمامي من سبيل إلا الصمت..

وبعـد مدة عرفـت أن نعيمًا تزوج من أرملة غنيــة، وأنهما يعيشان حياة هادئــة مطمئنة، ولم يكن لهذه الأخبار أي أثر يذكر في نفسي، وخاصة حين كانت زوجة أخي تعمد إلى سرد حكاياتهما أمامي.

فــي تلك الأيــام سافر أخــي إلى ألمانيــا مدة سنــة، وكانت زوجته تقضي معظم وقتها في بيت أهلها وفي بيتنا في الركن الخاص بالخدم قدمــت أســرة؛ لتقيم فيه، فاطمأنت زوجة أخــي، إذ لم أكن وحيدة في البيت.. لكــن الوحدة كانت قدري المكتوب، لم يكن لدي سوى ذكريات الأيــام الخوالي أجترها بين حين وآخــر.. ماذا كنت؟ وكيف صرت إلى مــا أنا فيه؟!.. الظلمة من حولي، أبحث عن شعاع من نور وسط الظلمة الحالكة.. فلا أجد.. لكن.. فجأة.. وجدت أشعة النور تتجمع.. وتنقشع سحب الظلام!

فــي ذلك اليــوم وكعادتها دائمًا أخذت زوجة أخــي الأولاد، وذهبت إلى بيت أهلهــا، وكعادتي أخذت «عكازي» واتجهــت إلى حديقة البيت، ورحت أتفحص تلك الورود التي كانت بالنسبة لي حياتي واهتماماتي.. وإذا بي أرفع نظري إلى البيت المقابل لبيتنا.. فتحت نافذة في الطابق العلــوي.. وخلفها وقف رجــل غريب عن الحي، بدا وكأنه يحلق من بعيد في السمــاء، وشاهدت السحب، وكأنها تغطي وجهه حينًا، وتكشف عنه حينًــا آخر.. كنت أعرف أن بعض النــاس قد استأجروا هذا البيت منذ أيام، لكني لم أعرف عنهم شيئًا على الإطلاق..

نعم كان هذا الوجه الذي طالما تصورته في مخيلتي وطالما تخيلته فــي أحلامي، كان هذا وجه الأمير القادم من موطن الحور الذي طالما

حلمت بالتحليق معه في السماوات.. انتابتني الحيرة ولفتني الدهشة.. هـل يصـل الخيال في العالم إلى هـذه الدرجة، فأرى مـا أتخيله هكذا أمامي في النافذة؟!

لكن الأمور تتغير مع الأيام، لم أعد أنا التي كنت.. ولعله أيضاً وجد بغيته.. وغرقت في بحر الحيرة، وأنا أطيل النظر ناحيته حتى وقع نظره علـي، بينما كنت أقف متكئة على «عكازي» وشعري الطويل ينساب على كتفـي يصل إلى أردافي، على وجهـه الحزين ارتسمت علامات الحيرة للمحـة، ثـم ارتسمت فجـأة على شفتيـه ابتسامـة ساحـرة.. فتراجع عـن النافـذة، أما أنا فعـدت إلى داخـل البيت أحـاول أن أتمالك قلبي المضطرب الذي تسارعت دقاته.

رحـت أفكر مدة في هذا الأمير الغريب، لكن ذهني اضطرب.. كم تمنيت أن أعرف عنه شيئًا.

في اليـوم المقبل رحت أطيل النظر مرات ومـرات ناحية النافذة، لكني لم أرَ أحدًا وعندها أدركت حماقتي.. كيف يظهر في النهار؟ لكني كنـت كمجنونة تنظر ناحية النافذة، وحين جـاء المساء شاهدته خلف النافـذة.. كانت عيناه لا تتجهان ناحية السحـاب في السماء، بل كانت تتجه نحـوي.. راح ينظر إلي.. في نظراته شوق وهيام.. بدا لي مختلفًا عـن بقية البشـر.. على وجهه ارتسمت بـراءة الملائكة وازدادت دقات قلبي، لـم أستطع الوقوف طويلاً في الحديقـة، فتحاملت على عكازي، ودخلت البيت.

بـدأت لعبـة «الاستغماية» هذه بيننا في صمت، لـم أكن أعرف عنه شيئًا، وأعتقد أنه أيضاً لم يكن يعرف عني أي شيء، وبرغم هذا شعرت وكأنني قابلته منذ سنوات طوال.. كان يسكن في قلبي، وكان هو من تصورته في أحلامي، وبدأت أهتم بملابسي وبمظهري، وخاصة وقت المساء رحت أخرج ثيابي التي خزنت في «دولاب» الملابس مدة طويلة أردت أن أزين بها جسمي.. فقد كنت أشعر أنه ينتظرني كل مساء، وكانت أزهار السرور تتفتح فوق وجهه الحزين إذا ما رآني أخرج إلى الحديقة.. لكن لماذا هذا الحزن المرتسم على وجهه دائمًا؟ لماذا يبدو الألم على وجه هذا الرجل الجميل؟ لم أدرِ حقيقة الأمر إلا أن السعادة عرفت طريقها إلي في تلك الأيام، وصارت الحياة جميلة في عيني، وعادت البهجة إلى روحي.. وحين رجعت زوجة أخي من بيت أهلها توقفت عن الخروج إلى الحديقة في المساء من باب الاحتياط والحذر.

ومرت عدة أيام لم أرَه فيها، لم أكن أدري هل ينتظرني على أحر من الجمر أم لا.. لكني بنفسي كنت متوترة أتوق شوقًا إليه.

لم أعد أتبادل الحديث مع زوجة أخي إلا نادرًا، خاصة بعد أن رفضت الزواج من نعيم قريبها، فقد أثر هذا فيها، وكان جرحًا في صدرها سيستمر على ما يبدو طول العمر. على كل حال، وفي ذلك اليوم دقت باب بيتنا فتاة جميلة جاءت من البيت المقابل لبيتنا؛ بهدف التعرف إلينا، فجلست زوجة أخي معنا، كان اسمها «روبي» وكانت جميلة جداً عمرها على أكثر تقدير عشرون عامًا، ذكرني شكلها بالأيام الماضية، حين كنت في مثل عمرها، أخبرتنا أنها انتهت من توها من امتحان البكالوريوس، وبدأت الإجازة، ولهذا فكرت في زيارتنا للتعرف علينا.

عرفت كل شيء عن جيراننا من روبي، فهي تعيش مع أخيها الأكبر «نديم» الذي فقد زوجته في أثناء وضعها طفلها الثاني، وكان لهذه الحادثة وقعها السيئ على روبي ونديم، والآن عمر بلال ثلاث سنوات وبلغ الطفل عامه الأول.. عرفت من روبي أيضاً أن أخاها نديم لم يخرج من هذا الحزن أبدًا..

سمعت أحوال هؤلاء الناس وحزنت كثيرًا، إذ عرفت سر الحزن الواضح على وجه نديم... بعد أن أدت زوجة أخي واجب الضيافة لروبي، وراحت تتحدث معها مدة، ثم تركتنا وذهبت، وإذا بروبي تقول لي:

«يا أختاه، إنك جميلة جداً، كنت أراك من النافذة، أعجبت بك كثيرًا، وأخي أيضاً يمتدحك كثيراً.. معذرة فربما كان هو أيضًا يشاهدك من النافذة».

سمعت كلام روبي، فراح قلبي يخفق ويدق بسرعة، وراحت تذكر لي مدى إعجاب أخيها بي، ولم تقل شيئًا غير ذلك، ووعدت بأن تزورنا ثانية.

جاءت روبي ثانية، كان معها بلال والطفل، كانا ما شاء الله جميلين، حملت الطفل إلى صدري، فالتصق بي في حنان، وبرغم أن بلالاً كان في الثالثة من عمره إلا أنه قليل الكلام، فقد جعلته وفاة الأم المبكرة من النوع الذي لا يتكلم كثيرًا.. راحت روبي في ذلك اليوم تختلق الأسباب؛ لتمتدح أخاها: وسامته.. ذكاءه.. أحاديثه عن الحياة السعيدة، ثم قالت:

«يا ليت هناك من تأخذ بزمامه، فتحول حزنه إلى مسرات..».

بعد ذهابها بقيت ساعات أفكر في نديم وبلال والطفل، كانت زوجة أخي تجلس معنا أحيانًا، ثم تتركنا وتذهب، وقامت روبي بطريقة لا شعورية بالتقريب بيني وبين نديم، كانت تحدثني أحاديث لا حصر لها عن نديم، ولم أكن أدري ماذا كانت تقول عني لنديم، فقد أخبرتني أنها تحدثه عني.

وفي يوم من الأيام حملت «ألبوم» الصور الخاص بهم، وجاءت كعادتها لزيارتنا، لم تكن زوجة أخي في البيت آنذاك شاهدت كل الصور: صورة والديها وصورة زوجة نديم رحمة الله عليها.. كانت امرأة جميلة، لكنها لم تكن بمثل جمالي وشاهدت صورًا كثيرة لنديم.. شخصية جذابة.. طلعة بهية وعيناه تشعان بالذكاء.. كان هو النموذج الذي أتمناه في فتى أحلامي، كان وجهه هو الوجه الذي طالما حلمت بصاحبه، لقد وهبني الله قربًا ممن كنت أحلم به.. وفهمت جيدًا مرام روبي والهدف من كلامها معي، فقد كانت تود أن أقترن بأخيها، وأن أمنح ولديه الحب والعاطفة، وذلك لأن موعد زواج روبي نفسها قد تحدد، وبعد ذهابها من البيت لن يكون هناك من يرعى بلالاً والطفل الصغير.. وقبلت هذه الصفقة التي تمت في صمت ودون إعلان.. قبلتها وتمنيتها من كل قلبي، فنديم لم يكن لديه أي اعتراض على «عكازي» هذا، ولماذا لا أشرف على رعاية أولاده؟! كان نديم ثريًّا وله مكانته في المجتمع، يملك مصنعًا يديره بنفسه، لم يكن ينقصه شيء من أمور الحياة ومستلزماتها.. وشعرت أن هذا من حسن حظي.. أن تأتي إلى بيتي المحبة والثروة والجمال...

لكني كنت أريد تطبيقًا عمليًّا لكل هذه الأفكار، فلم أكن قادرة على أن أفصــح عما في داخلي.. وحين تأكدت روبــي أنني لن أرفض أخاها زوجًا لي تحدثت مع زوجة أخي، وأحضرت معها صورة لنديم.

لــم أعرف ما دار من حديث بين روبي وزوجة أخي، لكن بعد ذهاب روبي جاءتني زوجة أخي:

«نائلــة! اليوم بلغتك روبي رسالــة أخيها، هؤلاء الناس يريدون عقد الــزواج فورًا، لكني رأيت أنــه ليس من المناســب إعطاؤهم الرد الآن، فأخوك ليس هنا وهوالذي يمكنه اتخاذ القرار».

«يا زوجة أخي، أنا لست طفلة» هكذا كان ردي عليها فورًا، بل تابعت كلامي:

«فأنا بنفسي أستطيع أن أتخذ قرارًا يتعلق بي».

سمعت زوجة أخي حديثي، ونظرت إلي بتهكم، وقالت:

«نائلة! إنك تعدّينني عدوة لك بينما كنت دائمًا – والله شاهد على مــا أقول – حريصة على سعادتك، كان فــي زواجك من نعيم سعادتك لكنك رفضت، وهــوالآن يعيش مع زوجته حياة نموذجية، ونعيم لم يكن على الأقل متزوجًا من قبل ولم يكن له أولاد».

وفار الدم بداخلي:

«لــم يكن بلا شــك متزوجًا، لكنــه كان إنسانًا قبيــح الخلقة، وأنت تعرفين أنني أفضل في هذه الدنيا كل جميل».

«لم يكن قبيح الخلقة يا نائلة..» نطقت هذه العبارة بلهجة فيها عنف شديد «لك أن تقولي ما تشائين.. كان قبيح الصورة وطماعاً.. كان يريد أن يشتري عجزي مقابل مئتي ألف روبية».

«هذا هو تفكيرك يا نائلة.. على كل حال أنا أقوم بواجبي.. لن أقول شيئًا ضد رغبة أخيك».

«لا، بالله عليك يا زوجة أخي.. لن تفعلي هذا.. لن ترفضي زواجي من نديم.. لوكان عنده أولاد، فهو رجل جميل الوجه جذاب.. لقد رأيت صورته» ولم أخبرها أنني كنت أشاهده عدة أيام.

«إذًا هذا يعني أنك اتخذت قرارك».

«نعم، افهمي الأمر هكذا».

«إذًا اذهبي، وأنهي أمر زواجك بنفسك، لن أتدخل في هذا الأمر».

قالت هذا، ونهضت من جانبي، وبقيت أبكي مدة طويلة، ورأت زوجة أخي عيني الحمراوتين، فقالت:

«حاولي أن تفهمي الأمر، إنه يتحدث في أمر الزواج السريع يريد أن يتمم الزواج خلال أسبوع، وفي صمت دون احتفال، فكيف لي أن أتحمل هذه المسؤولية، بينما أخوك غير موجود هنا؟!».

«لا تتحملي هذه المسؤولية أبدًا يا امرأة أخي.. أنا مستعدة لتحمل هذه المسؤولية.. سوف أتحمل مسؤولية أي أمر سيئ قد يحدث.. فقط أتمنى أن تتعطفي علي وتتكرمي بالموافقة.. فقط كلمة واحدة.. نعم».

تراجعت زوجة أخي أمام إلحاحي، فأبلغت روبي بالموافقة، وتحدد يوم الخميس المقبل للزواج..

وبدا الأمر عجيبًا بالنسبة لي.. الحلم الذي رأيته طوال حياتي يتحقق.. يصبح حقيقة بعد أن كان خيالاً.. وأمير بلاد الحور سيصبح من نصيبي.. الأمير الذي أعجب بي برغم عجزي برغم عكازي، ثم إني فتحت أبواب قلبي لولديه، وبدأت أشعر بحب جارف تجاههما، شعرت كأنهما ولداي، ولداي من رحمي، كانا يظلان بجواري ساعات، فأضمهما إلى صدري أطفئ بهما ظمأ قلبي.. وكانت السعادة تغمر روبي في تلك الأيام، فراحت تسمعني حكايات السعادة التي تغمر نديمًا أخاها.. فقد كانت تقوم بعمل الوسيط بيننا..

لا ينبغي أن أنتظر أكثر من هذا.. وحل يوم الخميس السعيد.. اشترك في عقد القران بعض الأقارب وبعض أهل الحي.. جعلوا مني عروسًا بحق -وكما قال الناس- كان جمالي فتانًا، وكان عرسي عرضًا لجمال الحوريات.. وجليت في «الكوشة» مدة، ثم صعدت لأجلس على الكرسي المعد لي بجوار نديم بين باقات الورد.. التقطوا لنا الكثير من الصور التذكارية، وفي أثناء ذلك سمعت عبارة:

«القمر مع الشمس لكن..»

وقرأت الفاتحة على مأتم عقلية الناس الذين لا يعرفون كيف يتغاضون عن مواطن العجز لدى الآخرين.. ماذا لو فقدت رجلي اليمنى.. وماذا لوكانت لنديم زوجة سابقة توفاها الله.. وماذا لو كان عنده طفلان..

انتقلت بعد ذلك إلى غرفتي، فتناولت طعامي، ولما كان ذهابي إلى بيت العريس لن يكلفني الكثير، إذ سأنتقل إلى البيت المقابل لبيتنا، لهذا لم يكن الأمر مقلقًا أو متعبًا بالنسبة لي، فقد انتقلت ماشية من بيتنا إلى بيته مع روبي وزوجة أخي.. مشينا بخطوات وئيدة، أمسكت روبي وزوجة أخي «بفستان الفرح» أقصد ثوب الزفاف.. ثم تركتني زوجة أخي في غرفة نديم، وذهبت..

تحدثت معي روبي مدة، ثم أغلقت الباب، وذهبت هي الأخرى..

رفعت عيني أنظر إلى الغرفة التي أجلس فيها.. كم كانت رائعة.. الأثاث الفخم.. آه هذه الستائر الجميلة.. كم هي جميلة هذه الغرفة.. غرفتي تتوسطها السجادة الكشميرية الرائعة بنقوشها المنمنمة الدقيقة، ثم الزخرفة التي زينت الجدران.. عشت لحظة سحرية ورحت أغبط نفسي على ما أنا فيه من سعادة وحظ.

وجاء نديم..

فأخفيت وجهي بين ركبتي.. إلا أنني وجدت نفسي أرفع وجهي على الفور..! لقد وصل إلى أذني وقع دقات عكازين، فأذهلني ذلك.. ونظرت فرأيت تحت إبطي نديم عكازين، وهو يقف أمامي برجليه الاصطناعيتين..!!

كانت الصدمة الأولى صدمة شديدة بالتأكيد، فقدت فيها أمي وأبي وفقدت فيها رجلي اليمنى.. لكنها كانت برغم ذلك صدمة تحملتها.. أما الصدمة الثانية، فقد كانت من الشدة، بحيث ربما لا يمكنني تحملها...

أعــرف أن روبــي كانــت ستتــزوج خــلال أيــام، وستذهــب، وأنني ســوف أقضي بقية عمري في بيت إنســان حسن الطلعة عاجز.. ناقص الأعضاء.. أرعى أطفاله..

أين ذهب الحب الذي ملأ قلبي لبلال والطفل؟!

لماذا لم أعد أشعر بجمال طلعة نديم؟!

لماذا صارت الدنيا فجأة قبيحة في نظري؟!

راحــت هذه الأسئلة، وعديــد من الأسئلة الأخرى تــدور، وتدور في ذهنــي.. لكني لم أجد جوابًــا لأي منها، فقد اضطرب عقلي وأحاطتني الظلمة من كل جانب، ورحت أغرق في بحر من الظلمات سحيق!!

# أيه أذهب؟!

للأديب: ظفر حبيب

الأديب ظفر حبيب من الأدباء المعاصرين، وتمتاز كتابته بالسهولة والإمتـاع، وهو من مدرسة الأدب للحياة، فهو يعبر بما يكتبه عن قضايا المجتمع، ويصور الصراع الذي يختلج بداخل المسلمين في شبه القارة الهندية الباكستانيـة بأسلوب الرمز فيه أكثر تعبيراً عن الحقيقة، وفي قصتـه أين أذهب يوضح مدى تسامـح المسلمين مع جيرانهم من غير المسلميـن، ويصور ببراعة ما قد يتعرض له المسلمون يومياً في الهند مـن جراء التعصـب الهندوسي، ويثير في نهاية قصتـه تساؤلاً يستحق الاهتمـام بعـد أن شعـر باستحالة التعايش مع مثل هـؤلاء الجيران.. وتساءل: أين أذهب؟!

فالقصة حكاية مؤلمة للفتنة الطائفية...

## أين أذهب؟!

نهضـت زوجتـي التي كانت تجلس على الكرسي منـذ مدة وراحت تتفـرج مـن فتحة طاق فـي الجدار على مـا يجري في الشـارع، وفجأة انطلقت صرخة عالية، ثم جلست، وأسندت رأسها إلى راحة يديها...

منــذ أيام وهي في كآبة، وقــد أصابها الوهن، لم تكن تنال نصيبها مــن النوم الهــادئ طوال الليل، وكنت طوال الوقــت أراقب حالتها تلك، فاعتقــدت أنها سقطت من على الكرســي، وفقدت الوعي، فنهضت من السريــر بسرعــة.. وقبل أن أرفع قدمي لأخطــو أول خطوة رأيتها تترك رأسهــا التي كانت قد أسندتها إلى راحــة يديها وتثبت الكرسي وتجلس عليه.. فتنهدت وقلت في نفسي:

«حسنًا.. مر أمر ما حدث اليوم بسلام».

ولهــذا عــدت لأتمدد فــوق السرير، وبــدأت استكمال قــراءة مقال بعنــوان «مسألــة تحقيق الأمن فــي العالم» كان المقال طويــلاً إلى حد مــا، وكنت قــد استغرقت في قراءته حين حدث مــا حدث من مداخلة، فاضطــرب العقل مدة، والعقل عــادة يمضي على وتيــرة واحدة إذا لم يعكــر صفوه أحد ما، لهذا رحت أرتب أفكاري من جديد، وبدأت أحاول جاهدًا أن أغرق في دنيا هذا المقال.. إلا أن الأولاد من بعد أمهم راحوا يحيلون بيني وبين تنظيم أفكاري، والحقيقة أنهم سمعوا صرخة أمهم، ورأوهــا تمسك برأسها وتجلس، فتجمعوا مــن حولها واحدًا بعد الآخر، وراحوا يمطرونها بالأسئلة.

ولــم يكن أمر إقلاق الأطفال لي سهــلاً.. فوددت أن تنهض زوجتي مــن هذا المكان وتذهب إلى مــكان آخر؛ لأتمكن من إكمال هذا المقال الــذي لم أكمله.. لهذا كنت أحياناً أود أن أزجر الأطفال، وأنهرهم عما يفعلون، كمــا كنت أود أحياناً أخرى أن أنصــح زوجتي، ولكن الضرورة في ذلك الوقت كانت تستلزم أن أشحذ هممهم جميعاً وأن ألقنهم درس الهمة والشجاعة..

يقـع بيتي تمامًا على ناصية شارع المدينة المشهور باسم «دين ديال أباديها رود» الشارع نفسه الذي كان يسمى قبلاً «جامع مسجد رود» فبعد الاستقلال بعشريـن سنة تغير اسم الشارع برغم وجود المسجد الجامع فيه... وكان هذا السؤال في محله.. لماذا كانت هناك ضرورة لتغيير اسم الشـارع؟ وهل تغيير الاسم يدل على تغيير الإحساس الذهني أو الفكري، ومـن ثم الإحساس التاريخي؟!.. على جانبـي هذا الطريق عاش سنوات وسنـوات أناس من كل فرقة وكل طائفة، ومن كل مذهب ومن كل عقيدة، ويتجه الشارع ناحية الجنوب، وعلى ناصيته يقع المسجد، وحول المسجد يوجد حي يقطنه أتباع هذا المسجد، وفي هذا الحي يوجد بيتي.

بعـد تغيير اسم هذا الشارع بعـدة أشهر جاء إلى الناحية الشمالية منه أسرة من جماعة السيخ وسكنت هناك، وربما كان قرارهم بالإقامة هنا يرجع إلى أن الناس في هذه المنطقة يجنحون إلى السلم، ويعشقون الأمن والهدوء، وتغيير الاسم لن يؤدي إلى حدوث شغب أو إثارة ضجة أو فتنة... في مختلف أنحاء البلاد، وفي أوقات مختلفة حدثت اضطرابات ووقـع شغب من كل نوع، لكن هـذا الجو الساخن المشحـون بالكراهية لـم يتمكن مـن الوصول إلـى ديارنا، ومـع أن الناس مختلـف والمزاج فيمـا يتعلق بمـا يقرؤون وما يكتبون وما يأكلون ومـا يشربون إلا أن روح التصـادم لم تتمكن من الوصول إليهـم، فكل شيء هنا يمضي بطريقة صحيحة... هذا الحي يطلق عليه في المدينة اسم «بوش كالوني» والناس الذيـن يقطنونه هم جميعًا ممـن يجلسون على كراسـي لها قيمتها في مكتـب أو إدارة، أو أنهـم مـن التجار النشيطين، والنسـاء هنا في هذا الحـي مشغولات في قضـاء أوقاتهن، يتبادلـن الأحاديث عن (موضة)

الملابس، وبخاصة «الساري» وأحجام «التليفزيونات» المختلفة وألوان السيارات والدراجات البخارية وزخرفة المباني، وكل ما هو جديد في عالم المفروشات وغيرها.. ثم يناقشن بعد ذلك هذه الموضوعات مع أزواجهن، وخلال المناقشة يعرضن مطالبهن.. كانت هذه هي الهواية المفضلة لديهن.. أما طبيعة الأطفال هنا فتختلف عما هي عليه عند بقية أطفال الدنيا: في الصباح طاولة الدروس، وفي المساء الجري في الشوارع، والحديث عن الموضة الجديدة، وصور المجلات ثم في أيام الإجازة الذهاب إلى النزهة أوالسفر بقصد السياحة..

ثم كانت هذه الحادثة التي جاءت من سمت الغيب.. فأحرقت روضة السرور بأكملها، كانت حادثة عادية جدًّا بالنسبة لأهل الحي، لكنها بالنسبة لزوجتي حادثة عجيبة بصفة خاصة، كانت تصر على أن نخرج من هذا المكان حين يخف حظر التجول، كان اليوم هوالرابع منذ أن فرض حظر التجول، وفرض هذا الحظر من الصباح حتى المساء، ومن المساء حتى الصباح بشكل متواصل، وعم السكون، وخيم الهدوء على كل مكان وصار النهار كالليل مفزعًا وشنيعًا يتخلله صوت الأذان أحيانًا وأحيانًا أخرى صوت إطلاق العيارات النارية أوالانفجارات.. كانت هذه الأصوات المتمايزة في نوعها رفيقنا وجليسنا منذ أربعة أيام.. وكلما توقفت هذه الأصوات راحت زوجتي تكرر إصرارها بأن نغادر هذا الحي.

حاولت باستمرار إفهامها أن ما يجري هنا ليس موجهًا ضدها، لكنها لم تكن على استعداد لقبول تفسيري بأن ما يدور ليس موجهًا ضدها، كانت فقط تقول:

«إن ما حدث حدث مرة، ويمكن أن يتوالى حدوثه مرات ومرات وإذا كان ما حدث قد أصاب بيوت الآخرين، فيمكن أن يصيب بيتنا أيضاً».

وسألتها:

«أي مكان ذلك الذي يمكن أن نصل إليه، فنجد الأمن والهدوء؟! إن البلاد كلها الآن فريسة في قبضة الفتنة والفوضى، قد تختلف الأسباب هنا وهناك إلا أن نوعية الفتنة واحدة، فالأسلحة هي لغة العصر الحاضر، وأصوات هذه اللغة الانفجارات ونغماتها تعزف في كل لحظة نغمة الأجل، والجنس البشري كله يدخل دائرة اختيار هذا العفريت».

فإذا بها تقول:

«إن من تدمر بيوتهم وتخرب اليوم سوف يفكرون غدًا في ارتكاب الشيء نفسه ولكن أليس من الممكن أن يفكروا اليوم في هذا؟!».

أردت أن أفهمها أنه لا يوجد أي مكان آمن يمكن اللجوء إليه، وهذه المسألة لا يحلها تغيير السكن، بل حلها يكون بتغيير العقلية، والعقلية التي أمكنها أن تعبر المسافة بين «مسجد رود» و«أبادهيا رود» يمكنها أن تقوم بمراجعة ما يدور.. فتدل هؤلاء المتناحرين على طهارة «مسجد رود».. لكن كلامي لم يعجبها، فراحت تقول:

«سوف تظل طوال العمر تتحدث عن تغيير العقلية وتغيير الذهن، بينما النار تشتعل في هذا البيت حينًا، وفي ذاك البيت حينًا آخر».

وبرغم الموافقة على مصداقية ردها إلا أنني بقيت غير موفق في تغيير طريقة تفكيري، أي أن التغيير الذهني هوالحل الأمثل لجميع القضايا، فإذا تمتع الذهن بالصلاحية، وإذا ما عمَّ الحب بين الناس، انتهت جميع الاضطرابات والفتن.. فالأمن في الأصل ضرورة إنسانية والقتال لا يمكن أن يطول، بينما الأمن يمكن أن يستمر ويستتب..

كان ما حدث منعطفًا جديداً لما كان يدور بيننا من حديث منذ عدة أيام، كان صرخة جديدة أحالت بيتي إلى بوتقة من الغضب، وأشعلت لهيب النزاع والعراك بداخله، فقد أصيب أطفالي الصغار بالخوف والرهبة، وراحوا يسألون أمهم دون توقف عما رأته، بينما رحت أنا أحاول للمرة الثانية أن أقرأ عن «قضية قيام الأمن في العالم» إذ هي ضرورة من أشد ضرورات الوقت الراهن، ومن ناحية أخرى بقيت زوجتي.. لم تتحرك من مكانها قيد أنملة، ولم تنطق بحرف، فاضطررت إلى القيام والتوجه إليها؛ لأسألها عما حدث:

«ماذا رأيت من طاق الجدار..؟».

لم تتكلم في البداية وبعد إلحاح مني، قالت: إن الناس الذين يسكنون في البيت المقابل لبيتنا، قام جيرانهم باقتحام بيتهم، وقاموا بجرجرة ابنتهم البالغة من العمر أربع عشرة سنة، وأخرجوها من البيت (وراحوا يهتكون عرضها).

بدا لي كلامها متناقضاً غير مترابط، فرحت أستفسر منها عن حقيقة ما حدث وقلت لها: إن هؤلاء الناس ينتمون إلى طائفة واحدة

وحياتهم المعيشية واحدة، حتى تجارتهم أيضاً، وبينهم صداقة متينة والطفلة دائمًا تنادي عليهم، تقول يا أعمامي، ويا أخوالي، لا بد أن نظرك أخطأ وتخيلت عيناك أشياء... إلا أن زوجتي قاطعتني وأعادت على سمعي ما قالته من قبل، وأصرت على أن ما رأته وقع فعلاً، وأن نظرها بخير والحمد لله، ومع هذا سألتها سؤالاً آخر يتعلق بالسلاح الذي استخدم مع الفتاة، فأصرت على قولها وقالت: شاهدت هذا السلاح في يد هؤلاء الناس الذين تظن أن وجودهم يعني وجود الأمن والذي تظن أن وجودهم يعني أنك في مأمن كامل.

في تلك الأثناء تناهى إلى سمعنا صوت صفارة الإنذار، فاندفعت إلى طاق الحائط أنظر وأستكشف بنفسي حقيقة الأمر، وفعلاً شاهدت بأم رأسي الطفلة البريئة ذات الأربعة عشر ربيعًا التي تسكن في البيت المواجه لبيتنا، وهي ممددة ترتعد وسط الشارع.. وبقيت أشاهد ما يدور.. جاءت عدة سيارات شرطة وتوقفت ونزل منها أناس يرتدون أزياء مختلفة، تدل على أنهم ينتمون إلى جهات مختلفة، دخلوا البيت المقابل لبيتنا وراحوا يسحبون جثث الموتى من جيراننا، ويجمعونها على جانب الطريق، ثم بدؤوا يطرقون باب جيراننا الآخرين الذين تحدثت عنهم زوجتي، وراحوا يوجهون إليهم بعض الأسئلة ووقفت أشاهد من طاق الجدار هذه التمثيلية المفزعة الرهيبة.. شاهدت هؤلاء الجيران يشيرون إلى ناحية بيتي، وفجأة بدأ جرس الباب يدق، فخرجت.. بدأ هؤلاء الناس يحيطون بي، وراحوا يبحثون عن بقع دم على ملابسي.. واقتحم بعضهم بيتي، فارتعدت وفوضت أمري، وأمر بيتي لله وحده، وعاد هؤلاء الناس دون أن يجدوا ما يبحثون عنه،

وتجمعوا حولـي... وأمامي كان أولئك الناس الذين اعتاد أولادهم على الذهـاب إلى المدرسة مع أولادي والذين كانت تربط زوجاتهم بزوجتي علاقات حميمة، راحوا يقولون للمفتشين في آن واحد ويشيرون مؤكدين إلـى وجود بقع دم على ملابسـي.. أصابني الذهول.. رحت أتحدث عن نفسي أخبرهم بأنني معلـم ومربٍّ فاضل للنشء وأديب أكتب الروايات والقصصـ.. وكنت غارقًا فـي القراءة قبل أن أسمـع صفارة الإنذار.. لكن الأصابع كلها راحت تشير إلي..

بـدأت عملية اعتقالي تأخذ حيز التنفيذ، وبدأت لهجة خشنة تظهر فـي صـوت المفتشين، وفجـأة دبت الحركـة في جسد الفتـاة الجميلة البريئـة التي خيّـم عليها قبلاً سكون رهيب مـدة، شاهدها المفتشون، فساعدوهـا على الجلوس، ثم قدموا لهـا كوبًا من الماء لم تكد قطرات الماء تبلل حلقها الجاف حتى بدا الارتعاش على لسانها، وبدأت تنطق.. قالـت: إن جميع أهل بيتها قتلوا بخناجر هؤلاء الجيران الذين يشيرون بأصابعهـم.. وقالت عني وعن أهلي: إننـا طيبون شرفاء وإنها تعرضت لمـا تعرضت له من قبل هؤلاء الجيران الذين كانوا يشيرون إلي.. وقبل أن تكمل الفتاة كلماتها وجدتني أضمها إلي.. وانفجرت باكيًا.. شعرت، وكأنهـا ابنتي التي تعرضت لهذا العمل الوحشـي.. وانحدر رأس الفتاة البريئة ليستقر بيـن أحضاني، وبدأت أفكر: هل الأمان موجود حقًّا في حينا.. في حي «بوش كالوني» وفي شارع «بادهيا رود» أعني شارع «جامع مسجد رود» سابقاً؟!.

# شعاع الشمس الأخير

للأديب: غافر شهزاد

غافر شهزاد من الأدباء الشبان الذين يحملون فوق أكتافهم هموم الشيوخ، في رأسه عدة عيون، ويمكن أن يرى الجهات الأربع دون أن يدير رأسه، ويمكن أن يشعر بالحقائق دون أن يراها، وقصة شعاع الشمس الأخير برغم أنها تبدو قصة تتعلق بالضرورات الإنسانية إلا أنها على مستوى آخر توضح الانتقام الرباني.

والقصة حكاية التقطها الأديب من أحد شوارع مدينة لاهور الباكستانية ووضعها في سيارة أجرة، ووصل بها حتى «عقب» باب البيت، وهي مأساة.. لكن مأساة من؟ هل هي مأساة الكاتب؟ هل هي مأساة القارئ؟ أم مأساتي أنا المترجم، أم هي مأساة المجتمع كله؟ لا بد أن المؤلف برع في سبك هذه القصة القصيرة، فتأثيرها يظل في ذهن القارئ مدة طويلة.

## شعاع الشمس الأخير:

دار مع منحنى الشارع، واستقام «التاكسي» ومضى يقطع الشارع بسرعة، كان يمضي بسرعة، وهو يتطلع إلى مدى البصر، لكن وعلى البعد لم يلمح أي «زبون».

كان الوقت قبيـل العصر، الساعة الثالثة والنصف، وفي شهر يونيه عـادة ما تكون الشمس على ارتفاع ذراع وربع الذراع إلا أنها اليوم تبدو، وقد تدنت أكثر من هذا، وصار من الصعب أن يفتح الإنسان عينيه لينظر أمامه وسط هذه الحرارة المحرقة، توقف عند الإشارة الحمراء، فرأى على بعـد أقدام بعض الأطفـال، نظر إلى هؤلاء الأطفـال الذين ارتدوا ملابسـ غطتها الوساخة والقاذورات من فـوق صدورهم، ومضى خلف «أمجي» كان «أمجي» ولده الوحيد، اسمه أمجد، لكنه حين بدأ النطق في طفولته كان يقول لأمه: «أمجي» وهكذا لصق به هذا الاسم «أمجي».

رقد أمجي في الفراش منذ خمسة أيام، وخلال الأيام الخمسة تلك مد والده قدميه أكثر من قدر لحافه، وعالجه من المرض الذي ألمّ به، لكـن الطفل كان مصابًـا بالحمى التي لم تتركه أبـدًا، وكانت الحرارة إذا مـا خفت شدتها قليلاً مدة بسيطـة فتح أمجي عينيه، فتعود الحياة والبريق إلى عيني أمه وأبيه.. أضعفت حمى الأيام الخمسة أمجد، جعلته كالقشـة، لم يكن بصحة جيدة قبلاً، لكنه برغم هذا كان يجري ويمرح هنـا وهناك، وكان يحيـل البيت إلى بهجة وسـرور بشقاوته، ولكن منذ الأيام الخمسة الماضية بدا البيت، وكأن ثعبانًا لدغه، لفه صمت رهيب لدرجة أن صوت أنفاس أمجد كانت تسمع واضحة.. وعمت الكآبة، وران الصمـت على جدران البيت، وحتـى على أبوابـه، وكأن عفاريت الغابة حلت بـه وسكنته، وخلال الأيام الخمسة فقـد الوالد كل طاقة بداخله، ووسـط هذا الاضطراب والقلق ونظـرًا لمشاغله ليل نهار لم يتمكن من الخـروج بالتاكسـي، ولو مرة واحـدة.. ذات يوم أخـذ التاكسي وخرج، وقبل أن يصل إلى الشارع العمومي دقّ قلبه وازدادت دقاته، ولم يتمكن من المضي لأمتار، فعاد بالتاكسي وأوقفه ثانية بجوار بيته.. كما كان.

اليـوم هواليوم الخامس، خـلا جيبه تمامًا من النقود.. لم يبقَ معه ولا روبية ليشتري الدواء الذي كتبه له الطبيب، تشجع وخرج بالتاكسي، فـي ذلك الوقت كان «أمجي» في حالة نصف إغماء، أو ربما كان نائمًا، لكن كان هنـاك نوع من الاطمئنان، فأنفاسه مـا زالت تتردد بداخله.. في ذلك الوقت كانت الطيور تأوي إلى أعشاشها وتحتمي بعضها بأوراق الشجـر.. تشجع وقاد التاكسـي إلى الشارع العمومـي.. كانت الكلمات المطمئنـة التي قالتها «أم أمجي» قد تراءت له حروفًا أمام عينيه، لكن فـي هذا الجوالحار لم يكن في الإمـكان وجود «زبون» يركب التاكسي.. في ذلك الوقـت تمنى أن يجد راكبًا يذهب به خارج المدينة إلى مدينة أخـرى، حتى يحصل منه على أجـرة معقولة، وحين راودته هذه الفكرة حـول اتجـاه التاكسـي ناحية طريق المطـار، لم يكن يـدري هل هناك طائرات قادمة أم لا..؟ لكنه عقد الأمل على هذه الفكرة، ففي لحظات اليأس القاتل يتصرف الإنسان هكذا..

عبـر «جسر شيرباؤ» ودخل منطقة «الكامـب» القريبة من المطار، وحين اتجـه إلى الشارع المقابل، وقعت عيناه مـن بعيد على صبي راح يشيـر إليه بعـد أن رأى التاكسي، وساوره الشـك أولاً، لكنه حين أوقف التاكسي وعاد إلـى الخلف رأى صبيًّا في الثالثة عشرة أوالرابعة عشرة من عمره، يجري بسرعة..

لقـد كان يأمل في وجود زبـون يأخذه إلى خارج المدينة؛ لينال منه مبلغًـا كبيـرًا، لكن هذا الصبي! لم يدر كيـف تراجع عن فكرة الذهاب إلـى المطار، وفي لمحـة أو أخرى وصل الصبـي، كادت أنفاسه تتقطع وبلله العرق كأنه خـارج من حمام، ومن كلماته المتقطعة نتيجة تلاحق

أنفاسه فُهم منه أن الدم خرج من فم أخته وأنفها، ولم ينقطع حتى الآن، ويود الذهاب بها إلى مستشفى الشيخ زايد..

كان مستشفى الشيخ زايد على بعد كيلومترات.. ماذا سيعطيه هؤلاء الناس؟ عشرون.. ثلاثون روبية، لكن دواء ابنه أمجي يحتاج إلى أكثر من هذا المبلغ، وقبل أن يضغط على «دواسة البنزين» لينطلق بالتاكسي نظر إلى الصبي، فطوقته سلاسل المسكنة المرسومة على وجه الصبي، فلم يتمكن من الحركة.. ولم يتمكن من الانطلاق إلى المطار..

البنت التي كانت في الغالب أخت هذا الصبي كانت في حالة سيئة.. كان الدم يندفع من فمها وأنفها دون توقف وبسرعة، فأركب البنت وأمها في المقعد الخلفي وهرول الصبي إلى المقعد الأمامي، ثبت عداد التاكسي وانطلق، عبر جسر شيرباؤ، ووصل إلى طريق السجن، وبدلاً من أن يمضي مع الشارع الموازي للنهر (وهوالطريق الأسرع) وجد نفسه دون أن يدري ينحرف إلى الاتجاه المعاكس، وفي مدة بسيطة كان شارع القائد الأعظم.

انشغلت الأم بمحاولاتها مسح الدماء المتدفقة من أنف ابنتها بقطعة من القماش، كانت على يقين من أن الصبي الجالس في المقعد الأمامي لا يعرف الطريق إلى مستشفى الشيخ زايد، وأمام بيت المحافظ وحين عرج على منطقة «شادمان» نظر في المرآة للخلف ليطمئن على أن السيدة لا تنظر إليه.. إلا أنه سمع الصبي يقول له: عمي، أسرع قليلاً يا عمي، فالدماء تسيل بسرعة، من فضلك يا عمي،

أسـرع.. ومن شادمان وصل إلى طريق «فيروز بور» ثم اتجه إلى طريق النهر.

كانت السيارة تنطلـق بأقصى سرعة إلا أن أم الفتاة لم تتمكن من الشعـور بمسافة الذهاب التي طالت، مرة كانت تود أن تقول شيئًا، لكن وجههـا اتجه إلـى عيني الفتاة المفتوحتين نصـف فتحة وراحت تنادي عليها وراحت تصرخ وتصيح: «افتحي عينيك.. افتحي عينيك» لكن في تلك اللحظـات كان التاكسي قد خلـف وراءه المدينة الجامعية وانطلق من شـارع النهر إلى طريق الوحدة، حيث يقـع مستشفى الشيخ زايد.. وحيـن توقف التاكسـي أمام «عنبـر» الإسعاف كانت الفتـاة في نصف غيبوبـة ولكن السائـق كان ينظر إلى عـداد التاكسـي: خمسة وثلاثون كيلومتـرًا، أي مئة وستـون روبية.. حملت الفتاة إلـى حجرة الإسعاف، أعطت السيدة السائق عنوانًا وأرسلت معه الصبي وأخبرته بأن يحضر والـده بأسرع ما يمكن من المكتـب ويأتي به وأخبرته أيضاً: أن يقول له بـأن يعمـل حسابه على ترتيب نقل الدم، فلا بـد أن البنت ستحتاج إلى نقل دم بعد كل ما حدث.

لقـد مشى التاكسي مسافة لإحضار والـد الفتاة وترتيب كمية الدم المطلوبة جعلت الاطمئنان يبدوعلى سائق التاكسي، وهويقف في نهاية المطـاف أمام «عنبـر» الإسعاف.. كان الدخان منتشـرًا في كل مكان، وكان صـوت المـؤذن لصـلاة العصر يسمع مـن بعيد، ورؤيـة الطريق وسـط هذا الدخان الكثيف متعـذرة، ومع هذا اتجه إلى الشارع المؤدي إلـى بيته وانطلق بأقصى سرعة.. وفـي الطريق لم يدرِ من أين اشترى الـدواء، اكتشف ذلك فقط حيـن أوقف التاكسي في شـارع واسع وراح

يهـرول بنفسه متجهًا إلى حارة باتســاع ثلاثة أذرع، وبعدها بأمتار كان أمـام البيت، وكان قد تعـود أن يوقف التاكسي خلـف الحارة المواجهة لبيتـه، لكنه شعـر أن ذلك سيستغرق منه وقتًا أكثـر.. كان يود أن يوفر دقيقة، وحتـى لحظة.. فالمسافة بين الشـارع الواسع والحارة الضيقة تستغرق فقط ثلاث أو أربع دقائق.

حين فتح باب البيت وجد البيت كله، وقد لفه الدخان، ولم يدرِ من أين جاء كل هذا الدخان، ووسط الدخان وقعت عيناه على وجه زوجته، ثـم على أمجد الـذي كان راقـدًا وعلى وجهـه مسحة مـن الاطمئنان، وبجواره تراءت له تلك الفتـاة ترقد على السرير المجاور، كان السرير ملطخًا بالدم الأحمـر القاني، بينما قطرات الدماء تتساقط واحدة تلو الأخرى على الأرض، وجاءت سحابة من دخان، فحمل الاثنين معًا في حضنـه.. ومن بعيد تناهى إلـى سمعه صـوت الأذان.. ولحظة من بعد أخرى لفت الظلمة كل شيء.

# شوكة في بستانك الجديد

للأديبة: عقيلة كاظمي

إذا كانت الأديبة عصمت تشغتائي قد عبرت في قصصها المليئة بالأسرار عن المشاعر الجياشة للشباب في تفتح براعمه الأولى، وكذا عن ثورة هذه المشاعر، فإن الأديبة عقيلة كاظمي قد مزجت في قصصها بين الصراع الداخلي لأفراد الأسرة داخل البيت الواحد من ناحية وخارجه من ناحية أخرى، فهي تشعر – وشعورها صحيح – أن القرارات التي تصدر عن العواطف كثيرًا ما تشعل نيران الفتنة والفساد في ساحات البيوت، وهي نيران إذا ما اشتعلت، فلن تنطفئ.

ومن هنا كتبت عقيلة كاظمي قصصها القصيرة؛ لتعبر عن حياة الأسرة بأكملها، بدلاً من عرض الصور الفردية للمرأة، كما فعلت عصمت تشغتائي. وقصتها «شوكة في بستانك الجديد» تعبر عن الصراع العاطفي داخل أسرة حطت عليها الثروة فجأة، وتعكس بعدها النتائج المفزعة والشنيعة التي تظل في ذاكرتنا على الدوام.

## شوكة في بستانك الجديد:

كانت سعدية أختي الشقيقة؛ لذا فأنا أعرفها وأفهمها جيداً، وكانت بحكم كونها الصغـرى في البيت محببة مدللة من الجميع، فارقت الأم الدنيـا، ولما تكمل سعدية عامها الأول، فأعطاها الأب من رعايته وحبه مـا حـاول به أن يعوضها عـن فقدان الأم، لكن ربمـا لا يمكن للآباء أن يعوضوا فقدان الأمهات مهما فعلوا... فالأمهات مهما كن، فهن يعوضن احتياجاتهن بفيضانات من المحبة لا نهاية لها.

ولـم تكد سعدية تصل إلى الصف الرابع في المدرسة حتى حرمت مـن ظل أبيهـا، فواجهت زوجة الأب، وكان من خيـر الجميع أن الله لم يرزقهـا «بالخلفـة» من ناحية، ومـن ناحية أخرى أنهـا كانت ابنة خالة أبينـا، فكان قلبهـا مملوءًا بالحـب والرحمة، وهكذا تربـت سعدية في حضن «ناصرة بيغم» وكانت أحيانًا تنال ضربًا وتأنيبًا منها.

عشق الجميع شكل سعدية الساذج، عينيها الزرقاوين، ولون بشرتها الفاتح وشعرها الأسود الفاحم المجعد(*)، وقدها الممشوق، ولما كانت نحيفـة القوام فقـد بدت للجميع كأنها «عروس دميـة».. كانت تدور في الحـواري شعلة من النشاط، تعشق اللعـب، تقلد هذا وذاك، وهي تقفز هنا وهناك.

أمـا عن حكايـة تحفيظها القـرآن الكريم، فهي حكايـة لا تنسى.. حدثت مشكلات لا حصر لها.. يا إلهي، فبينما يأتي «الفقيه» الذي يقوم

(*) الشعر المجعد رمز للجمال في شبه القارة الهندية.

علـى تحفيظها القرآن تغيـب سعدية، ويبدأ الصيـاح والصراخ للبحث عنهـا، ويجـري أطفـال الحي هنـا وهنـاك يبحثون عن سـعدية، ولكن لا أثـر لهـا.. وهكـذا كانت تغيـب عن الدرس عـدة مرات فـي الأسبوع الواحـد. وفي نحـو سنتين مرت أيامهـا طويلة. ختمـت سعدية القرآن الكريـم، وكان هذا الفخر من نصيب ناصرة بيغم التي علمتها الصلاة والصوم، وكل ما يتعلق بالتربية الدينية بكل معانيها..

وظلـت سعديـة تتدلل على الجميـع، في الصباح تنهض من نومها دائمًـا متأخرة، يعلو الصراخ ويستمـر دقائق، تمر كالساعات، وسعدية تغلق «أذنًا من طين وأخرى من عجين»، وفي وقت الذهاب إلى المدرسة تنهـض قبلها بعشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة، فتغسل يديها ووجهها وكأنهـا تعبث بالمـاء بيديها وتمشـط شعر رأسها من أعـلاه فقط، ثم ترتـدي زي المدرسة وتنطلق من البيت.. لكـن كان هناك شيء واحد، فبرغـم كل هذه الفوضى فيهـا إلا أنها كانت تبدو لكل مـن ينظر إليها نظيفة طاهرة، وكانت بطبيعتها سريعة البديهة ذكية تلتقط كل ما يتعلق «بالموضـة»: فهي تطيل أظافرهـا، وتأخذ المقص مـن البيت وتقصر شعرهـا، ثم تعقصـه وتنزل بعض الشعيرات علـى جبهتها، فيزيد هذا مـن جاذبيتها، ويبرز ملامح شقاوتها.. كم من مـرة أنّبتْها المدرسات على هذا ولكنها لم تتراجع..

ومـرت الأيـام وكبـرت سعدية.. صـارت شابـة ناضـرة، وبدا في عينيهـا الزرقاوين مزيد من اللمعان، ومزيد من العمق، وزاد اهتمامها «بالموضـة» أكثر فأكثر، وكـم كانت تود أن تزيد من اهتمامها، ولكن ما باليد حيلة، لم يكـن لديها السبيل إلى هذا لضيق ذات اليد، فبعد وفاة

الوالد عمل الأخوان.. كل واحد في وظيفة على قدر حاله. وكانا يقاسيان شظف العيش، إلا أن أحدهما ظل يتلقى تعليمه، بالإضافة إلى وظيفته. زاهد الذي أحب سعدية حبًّا لا حد له، كان إذا أحضر طعامًا للبيت سلمه لسعدية، وكان إذا أراد المزاح أو الضحك ضحك مع سعدية، المهم أن تمييزًا وتفضيلاً حدث بين الأختين في البيت الواحد.. نعم الأخ الأكبر شاهد غير متحيز لأحد منهما، كان «درويشا» يعيش في حاله إلا أنه كان يحسن السلوك مع الجميع على حد سواء ولهذا لم يحدث أن اشتكى منه أحد أبدًا.

كانت سعدية ذكية شقية، وكما تقول ناصرة بيغم عنها دائمًا: «إنك تراها أمامك وفي لمحة تنشق الأرض وتبتلعها» أما أختها شاذية فهي «بنت دوغري» على طول لا تعرف اللف أوالدوران، وهي دائمًا موضع نقد سعدية، كانت شاذية تمضي طوال يومها غارقة في الكتب، تنتحي جانبًا ويلفه الصمت، وهكذا تعيش حياتها، لكنها في نظر أهل بيتها فتاة حمقاء من الدرجة الأولى، لا وزن لرأي تقوله، بل تؤمر بالسكوت قبل أن تنطق بلفظ واحد.. لكن الوضع بالنسبة لسعدية مختلف فهي مقبولة لدى الجميع، ربما لأنها دائمًا تتولى أعمال المنزل ولديها شوق ورغبة في الحياكة وأشغال الإبرة والتطريز.. لا شك في أنها بالنسبة للدراسة حصلت على درجات متدنية في امتحانات الثانوية، ومع هذا فقد فرحت كثيرًا، إذ وجدت ذريعة للتخلص من الذهاب إلى المدرسة.. لا كتاب ولا مجلة ولا جريدة! فلم يكن لديها اهتمام بمثل هذه الأشياء.

اعتاد معظّم ابن جيراننا أن يأتي إلى بيتنا، كان على درجة عالية من الذكاء، كثيرًا ما كان يستغل سعدية مداعبًا إياها، كما كان يقوم

بمساعدة ابنة خالته بدفعها على الأرجوحة إلى أقصى ارتفاع يمكن أن تصل إليه، كانت ابنة خالته صديقة لسعدية وأمينة أسرارها، فكانت تحكي لها قصصًا عن «معظّم» تثير غضب سعدية إلا أن سعدية كانت تتحمل قولها وتكتم غيظها، ولا تبيح به لفاطمة.

في البيت وقع يدهم على خطاب لسعدية، لكن أحدًا لم يناقش الأمر، «إنها طفلة» قالوا هذا لإغلاق ملف الحديث عن هذا الموضوع، وكان هذا من حسن حظها، وإلا فأسرة سعدية محافظة جدًّا، ولا تتهاون في مثل هذه الأمور، كما أن سعدية من ناحية أخرى لم تكن مثل البنات اللاتي يجعلن من الحب الأول مرضًا يعشن به طوال حياتهن، أو من البنات اللاتي يهوين ذرف الدموع على ما فات، فهي من النوع القائل: «إذا لم يوجد الآن فليكن فيما بعد وإلا فليكن بعد ذلك»... وحدث أن ولد في بيت الأخت الكبرى طفل، ثم توفي على الأثر، وذهبت سعدية إلى أختها في كراتشي، وهناك مال قلبها إلى ابن عمها «برويز»، وكان برويز شابًّا عاطفيًّا حساسًّا، في طبيعته شيء قليل من الجنون، وكان إذا رأى سعدية الشقية المرحة تنظر إليه حاول التفاني في استمالتها، فعمد إلى التعريج على بيت أختها كل يوم، واستمر في محاولته.. كان والده من الأثرياء الكبار، ومع هذا فقد كان يتصرف تجاه سعدية كخادم مسكين؛ ليدخل السرور إلى قلبها، بينما كانت سعدية تمطره بعبارات المزاح والدعابة الممزوجة أحيانًا بالسخرية: «إيه يا برويز، لماذا تتأخر هنا كثيرًا؟ يا «دلوعة البيت»، اذهب، هيا، سيضربك أبوك» ويظل برويز المسكين جالسًا يفور من الغيظ، وعيناه تقدحان بالشرر، وأحيانًا يثور، ويقول:

«والله.. انظري يا أختاه – موجهًا حديثه إلى الأخت الكبرى – كيف تسخر مني سعدية، على كل حال أدعو الله أن يعطيني الثروة والمال وأن أكون مدللاً؛ حتى يمكن لسعدية أن تسخر مني حقاً».

وتقاطعه سعدية: «لا، لا، لماذا.. أحوِّر الكلام.. اذهب.. اجلس في حضن أمك وأبيك، من هنا يهتم بمثل هؤلاء الناس؟».

تحفزت سعدية كقطة شرسة، فأصابت برويز بإحساس ساوره كأنها تقول له: أمثالك كثيرون، ولكنها في الوقت نفسه غيرت طريقتها وسقته من عينيها كأس المحبة... وكانت هكذا دائمًا مرة تمنحه نظرة من عينيها، ومرة تناوله منديلاً أو «أزرار» قميص، ومرة أخرى تعد له بيدها فنجان شاي ساخن، وتقدم له بعض الرقائق المقلية.. وذات يوم وضع برويز في إصبع سعدية خاتمًا من الفضة، وضعه في إصبعها وهو غارق في مشاعر عاطفية جياشة، وقبلت سعدية الخاتم، وهي تظهر له تدللاً شديداً.. فوعدها برويز، قائلاً: إنه سيحطم حواجز الثروة، وسيعلن العصيان وسيجبر والديه على قبول زواجه منها.. لم تدرِ الأخت الكبرى شيئًا مما كان يدور، أما سعدية فقد عادت إلى لاهور بعد أن قضت شهرين في سعادة وهناء.

أخذت ناصرة بيغم الفتاتين في زيارة لقريتها، كانت هذه أول مرة تشاهد فيها سعدية وشاذية حياة الريف، قضت الأختان وقتًا ممتعًا وتأثرت جميع بنات القرية بهاتين الفتاتين القادمتين من المدينة. وفي القرية نفسها كان لسجاد حسين أحد ملاك الأراضي أربعة أولاد أصغرهم أنهى دراسة الماجستير في الأدب الإنجليزي، وكانت أمنيته

أن يتـزوج من فتـاة متعلمة من المدينـة، وكانت سعديـة فطنة للأمر، فبـدأت تضـع يدها في يـد أخت شاهـد الكبرى، راحـت تتقرب منها حينًـا وتظهر لها الخجـل حينًا آخر، وتقدم لها «بلوفـر» أوبعض أعمال «الكروشيـه»، أمـا صفية فلم تكن بقـادرة على البقاء بعيـدًا عن تأثير سعدية.. وفي البيت ذاع صيت سعدية وراح الكل يمتدحها، ويتحدث عن صفاتهـا الطيبة، وكانت هي بطريقـة أو بأخرى تظهر على شاهد. وفي النهاية أعلنت خطوبة سعدية وشاهد، وأرسلت برقية إلى أخيها وبدأت سعديـة تشعـر بإحساس النصـر فرحة مسرورة. بينمـا راحت ناصرة بيغم تعاكس شاذية وتثيرها وتستحثها في الوقت نفسه: «انظري ها هي سعديـة ستذهب إلى «بيت عدَلِها» حيث ستعيش في سعادة وراحة ورغد العيش، وأنتِ أنتِ لن يسأل عنك أحد، ولن ينظر أحد في وجهك».

كنـت أفور من داخلي، أبكـي بدل الدموع دمًا، وقمـت بالامتناع عن أعمال البيت احتجاجًا، وأغلقت على نفسي الغرفة، وبقيت ليل نهار قابعة فـي سريري أضع رأسي بيـن كفي كالمجانين أو أغـرق نفسي في قراءة الكتـب. في تلك المـدة اهتمت بي سعدية كثيـرًا... كانت تقوم بإحضار الطعـام إلى غرفتـي، تغسل ملابسي، إلا أنها لم تكـن تجبر بخاطري أو تواسينـي بكلمـة واحدة، ولم تكن تعيرني أي انتبـاه، كنت أود من صميم قلبـي أن تحدثني أو تواسينـي ولكنها كانت تمضي إلى حـال سبيلها ليل نهار، هاشة باشة ضاحكة، تترنم بألحان أغنية أو تدندن بكلماتها.. وفي اليوم الثالث أو الرابع حضر خطيبها إلى البيت أيضاً، فأعدت سعدية ما لذ وطاب من ألوان الطعام، لم تخلع سعدية خاتم برويز الذي أهداه إليها قبلاً، وحين عرف برويز ذلك حضر وعلى وجهه أمارات الحزن، حتى كاد

يبكي، ولكن سعدية ومن دون خجل راحت تُسمعه كلامًا مهينًا: «أمك هذه لـم تكلف خاطرها وتأتي لترينـا وجهها، ولو مرة واحـدة وحتى لو كانت رضيت بزواجنا إلا أنها ستظل كما هي، إنكم تخيفوننا بثروتكم وغناكم! أمـا هؤلاء الناس الذين ارتبطت أنا بهم فهم من القرية، وأنا قادرة على أن أخيفهم دائماً» وبرويز المسكين لا يدري ما يقول، فيصمت..

في تلك الأيام تم زواجي على شاب فقير أمّيّ لم يذهب إلى مدرسة، ولا حتـى إلى كتّاب، وبعد زواجي بسنـة تزوجت سعدية من شاهد وكان الذهاب إلـى القرية للزفاف، وبعد أسبوع استأجـر زوجها بيتًا في حي راقٍ بلاهور، وبـدأت سعدية تعيش حياة هانئـة سعيدة تحررت خلالها مـن كل تفكير أو هـم، كان أهل زوجها قد بـدؤوا يخشونها فعلاً، وبدأ زوجها يلبي كل طلباتها وبدأت النقود تطير من يدها هنا وهناك.

كانـت سعدية فـي البداية صاحبـة مزاج، كانت مغرمـة بكل شيء ومولعة بكل ما ترى، والآن وجـدت متنفسًا لتحقيق كل رغباتها، فالمال وافر والزوج مطيع، فأظهرت ما كان بداخلها من رغبات، وراحت تعيش حيـاة تحقق فيهـا كل ما تصبوإليـه: الملابس.. أحـدث «الموديلات»، الذهـب والمجوهـرات، وكل مـا يمكن أن تفكـر فيه امـرأة من مباهج الحيـاة.. كانت سعدية كما هـي دائمًا لا مبالية، معتدة بنفسها، سلمت البيـت كلـه للخدم، بعد سنة وهبها الله طفـلاً، والآن ثبتت أقدامها في بيتها وبين أسرة زوجها..

أمـا أنـا، فكنت أشعـر أمامهـا بالإحساس بالنقـص، فلم يرزقني الله الولد، ولم يهبنـي الثراء الذي تتمتع به سعدية، وكنت دائمًا أذهب

إليها، وأنا مغلوبة على أمري كالمستضعفة، وسعدية كانت على قدر كبير من الذكاء والدهاء أيضًا، فقد كانت تقوم على خدمة زوجها بنفسها وتظهر له حبها وتستميله بدلالها، ولكنها إذا ما كانت تراني أخدم زوجي بأسلوبها نفسه توجه الحديث إلى زوجها، قائلة: «انظر كيف تعمل كالخادمات، إنه لا يعيرها أي اهتمام وهذه المسكينة في سبيلها إلى الموت، آه لو نفسه كنت في مكانها لطلقته بالثلاث وانفصلت عن مثل هذا الزوج! «وشاهد المسكين شابًّا قرويًّا بسيطاً كان يسمع هذه الانتقادات، فيصاب بالذعر... والحقيقة أن سعدية أصبحت سيدة طيبة من داخلها تحب كل من حولها إلا أن نقطة الضعف الوحيدة عندها كانت محاولتها إثبات مكانتها في أي مكان حلت به، وهي تريد أن تعلن للجميع أنها تنتمي إلى أسرة ثرية، وربما لهذا السبب وفّقت في حياتها حتى الآن وعاشت ثرية، فالناس دائمًا ومنذ صغرها كانوا يأخذون بيدها ويساعدونها، وبعد الزواج عاشت حياة ناعمة، وهذا لا يحدث مع كل فتاة في مجتمعنا، فأنا نفسي أختها ومضيت في حياتي على الصراط المستقيم، فنجاحاتها أوجدت بداخلها الإحساس بالعظمة.

بدأت مراسم زواج أخي، وبرغم أن سعدية هي الصغرى بيننا إلا أنها كانت دائمًا في المقدمة، الأخت الكبرى وأنا، كنا من الناحية المالية فقراء لهذا كان نجم سعدية يعلو في الأسرة، المجوهرات تُشترى بمشورة سعدية، الملابس تحاك طبقًا لرأي سعدية، وكل شيء يتم بناء على رغبة سعدية، وناصرة بيغم أيضاً وضعت على الرف! لم يعد أحد يهتم بها والمسكينة تلقي علينا نحن الأختين الكبريين بسهام سخريتها، فتقول:

«إيه.. شاذية! أسمعت؟ سعدية اشترت للأخ هداياه التي سيقدمها لعروسه، أوه! اشترت طقمًا ذهبيًّا رائعًا.. هل رأيته؟».

«لا يا أماه.. لا علم لي بهذا الأمر» أجيب عليها، وأنا أبكي من داخلي.

«آه، من يسأل عن أمثالك أو أمثالي؟! حسنًا، فأنا مهما كنت زوجة أب لا أكثر ولا أقل، لكن أنت ونادية الأختان الكبريان، وأنتما شقيقتان».

وكانت ناصرة بيغم في الظاهر تبدي تعاطفًا معنا، فتوجه أسئلة ونحن الأختان تصيبنا سهام الجراح، وكانت تحاول أن تبدي ابتسامات كاذبة وضحكات جوفاء، وهي تنظر إلى وجهينا.

وأخيرًا، وبصعوبة كان يوم زواج أخي، فزواج الإخوة مثل زواج الأخوات كان أعظم أمنية.. في يوم الفرح ذهبنا ونحن نتظاهر بالمماطلة، وكانت زفة العروس إلى مدينة أخرى، حيث عقد القران، وكانت السيارة التي تحملنا قد تخلفت عن ركب المدعوين. أما سعدية فجلست مع العروس وعريسها في سيارة المقدمة، ونزلت في بيتهما لتتولى تسلم «النقوط» والإشراف على ترتيب إتمام مراسم احتفالات الزواج.. وابتداء من إعداد الحلوى حتى مراسم غسل أقدام العروس كانت سعدية في المقدمة.. وحين وصلت مع الأخت الكبرى كان العريس وعروسه في حجرتهما، بينما كان بقية المدعوين نظرًا للتعب والإرهاق يستعدون للنوم، فنظرت إلى الأخت الكبرى نظرة حملت لها كل معاني المسكنة والمذلة، فما كان منها إلا أن خفضت رأسها، وكأنها تقول: لا حول ولا قوة لنا بما يدور هنا.. أما سعدية، فبالإضافة إلى سيطرتها

التامـة على زوجها، فقد وضعت الأخ تحت إمـرة محبتها، حتى إنه راح إذا مـا اشترى أي طعام أو فاكهة أودعها يد سعدية بدلاً من أن يعطيها إلـى عروسه، وكانت العروس تلوي شفتيهـا وتنتفض كمهرة غاضبة ولا أكثر من ذلك. وعدنا كلٌّ إلى بيته بعد انتهاء احتفالات الزواج المعهودة أنـا وسعدية، فكانت قد ثبتت أقدامها في بيت الوالد، وبعد أشهر انتقل شاهد إلى بيت آخر.

أنجبت زوجة أخـي طفلة انتقلت إلى رحمة الله، بعد ولادتها بأيام، وقالـت سعدية على الفور: «سوف يكون لهـا سبع بنات سوف يكثر عدد بنـات أخي..» التحـدث بمثل هذا الكلام غيـر المناسب كان من فطرة سعدية، ويعلم الله متى يخرج مثل هذا الكلام من فمها.. لقد وهبها الله خمس بنات.. توطدت العلاقة بين الأخ والأخت الآن، فزاهد أكمل تعليمه وبدأ في ممارسة أعمال تجارية عادية، وراح بعدها يتوسع ويتوسع، حتى صـارت أعماله على نطاق واسـع، وسعدية كان زوجها أستاذا بالجامعة وكان يمتلـك بدوره أربع قطع من الأرض تقـارب مئة فدان، والأسرتان الآن تذهبـان لمعاينة قطعة أرض، والآن يعد برنامجًـا لزيارة منطقة مري، حيث تقضي إجازة الصيف.. وهكذا توطدت العلاقة..

ومـرة كنت أجلس في بيت سعدية، وجاء أخي زاهد مع زوجه ووجه حديثـه لسعدية: «هيا هيـا يا سعدية، قومي لنذهب إلـى «حي الورود»، سـوف نتناول الطعام هناك أيضاً» وتشعر سعدية بقليل من الخجل لعله خجل مصطنع، ثم يصيبني أنا الخجل الأكبر، فأنهض من فوري:

«سعدية.. لقد تأخرت، سوف أرجع إلى بيتي».

وتقول سعدية: «اجلسي..».

وتمضـــي سعدية فـي أداء دورها على أكمل وجـه، ولكني أخرج من فـوري.. آه كيف لي أن أعبر صحراء هـذا الإيذاء وحدي؟! إن الأنقاض بداخلـي يمكن أن تخبرني بأنني صرت حطامًـا، وتبعثرت هنا وهناك، وبرغـم أن سبيل الرفاهية وراحة البال قـد تيسرت تمامًا إلا أن سعدية قـد أصابها الكفر بالنعمـة، فهي لا تشكر الله أبدًا علـى ما هي فيه ولا تؤدي حقه..

«أخـي.. إن أهل هذه القرية قد أصيبوا بالبكـم، لقد نسوا إكرامي لهـم... انظـر الواحـد منهم تـراه إذا مـا كان عنده عمل فـي المدينة وضع «التلفيحة» على كتفيه، وحمل حقيبته ومضى متبخترًا يدق الأرض مـن تحته.. أختي شاذية! أنـت محظوظة ليس لك حمـاة، أقصد أختًا لزوجـك.. بالنسبة لي أخوات الزوج الثلاثـة... واحدة ترملت، وأخرى تمسـك دائمًا بتلابيبي، وثالثة تركب فوق رأسـي لا تتركني ستة أشهر، ثم العم ووالد العم والأطفال، وما أدراك ما الأطفال!... أوه!».

عرفت سعدية أن «معظّم» أخذ أولاده وذهب إلى السعودية.. فماذا تراهـا تفعـل؟ إنها تحاول أن تجـد طريقًا للسفر إلى الخـارج، وشاهد متقلـب المـزاج، يتضايق سريعًا، لا يريـد أن يفارق إخوتـه وأخواته أو والديه، ولكـن لما كان الأمر أمر سعدية، وذلـك بذكائها ودهائها، لذا أوصلته إلى زاهد، فاستفسر من معظّم عن كل التفاصيل..

أعـد العـدة.. وانطلقت سعدية بزوجهـا وأولادها إلـى السعودية.. وبعـد سنتين جاءت في إجازة.. زادت معلوماتهـا زيادة ملحوظة، فهي

الآن تتحدث عن السفن والطائرات وعن المضيفات وتقدح في حقهن بكلام كثير، ثم تحاول تقليدهن.. وراحت سعدية تتحدث خليطاً عجيبًا من الإنجليزية والعربية، وأهل القرية البسطاء يستمعون إليها وهم صامتون، فقد وزعت عليهم الهدايا وأعطتهم الهبات، إلا أن «شاهدًا» صار كفصن ذبل وذوي.. وأظهر الجميع علامات الحيرة الممزوجة بالتعجب! ولكن سعدية كانت منغمسة في ثروتها ومباهجها لا تشعر بشيء مما يدور حولها.

لاحظ زاهد الأمر؛ لأنه كان الأقرب إلى سعدية، فسعدية كانت بالنسبة له الأخت المفضلة دائمًا، فاستشار الأطباء فشخصوا المرض... سرطان! سمع زاهد ما قاله الأطباء، وعرف الجميع الأمر، وظهرت آراء هنا وهناك، لكن كل واحد تمنى أن لم يحدث ما حدث.. بدأت مرحلة العلاج وأرسل شاهد إلى خارج البلاد.. وأنفقت الأموال الطائلة، لكن إرادة الله حلت في عبده المريض، فانتقل إلى رحمة الله..

وترملت سعدية في عز شبابها.. لديها من الأولاد نصف «دستة» وتحولت لياليها الفضية إلى ظلمة حالكة، إلا أن جبل الحزن هذا لم يجعل سعدية تنحني وظل دماغها وسط هذه الظروف يعمل بالطريقة نفسها التي كان يعمل بها قبلاً.. وقد حدث أن استوردت سيارة من السعودية، وكان عليها أن تدفع «جمركها» البالغ ٣٥ ألف روبية تقريباً، فطلبت سعدية من الأخ الأكبر لزوجها أن يدفع «الجمرك» ففعل، وبعدها قالت سعدية، وهي تتمايل، وتلوي لسانها بالكلمات: «أتظنيني أرد هذا المبلغ لهم؟! هيه! هؤلاء الناس أكلوا جميع محصول أرضنا كلها، فلو «دست» على هذا المبلغ، فلا بأس!».

ورحت في عالم من الحيرة، وأنا أتأمل وجهها، إن أهل زوجها أثبتوا حقيقـة أنهم أناس طيبون، لقـد رعوها كل رعاية واهتموا بكل طلباتها، ولكـن سعدية التي كانـت أحيانًا تتملقهم في وجـود شاهد كشفت الآن بـكل وضوح عن وجهها الكالح، فإذا جـاءت أخت زوجها الأرمل وجدت من ابنهـا كل إهانة، فتعود المسكينة أدراجها باكية مكسورة الخاطر.. تذهب إلى الأخت الكبرى تشكو لها:

«أختاه أنت تسكنين في بيت سعدية، أنت تضربين بالحذاء، لكن ما ذنبي أنا يساء إلي من أطفال صغار؟!».

ولـم تعـد صفية تأتـي ثانية إلى بيـت سعدية، وكان هـذا ما تريده سعديـة، كانت إذا جـاءت زوجة الأخ الأكبر تقـوم بالإساءة إلى أخوات الـزوج، وإذا جـاءت أخوات الزوج تقـوم باغتياب زوجـة الأخ الأصغر، وإذا جـاءت جارة لها أسمعتها حكاية عن جـارة أخرى، وأشعلت نيران الفتـن في بيوت كثيـرة، وتسببت في عراك العديد من الناس. ومع هذا فالله وحده يعلم أي سحر كانت تمتلكه سعدية! فقد كانت لها القدرة في تسوية الأمـور وحسمها طبقًا لما تريد ويـروح الناس يزورونها ويلتقون بها من جديد.

كانت حرارة الشباب تلهبها، فتتحدث بكلام يجعلني وأختي الكبرى ننظـر إلى بعضنا ونسكـت.. ومن هذا أن الأخ الأصغـر للزوج اعتاد أن يأتـي من القرية مرتين كل شهر، فكانـت سعدية تقوم عمدًا بالاقتراب منـه والاحتكاك به، ويبدو هـذا من الظاهر لا عيب فيـه إلا أن سلوكها علـى كل حال كان يعطي هذا الإحساس.. لكـن الرجل متزوج وصاحب

أولاد، وأكثر من هذا رجل شريف، فهو يرعى زوجة أخيه كونها أماً.. أماً للأولاد.. لأولاد أخيه، لكن بداخل كل إنسان شيطانه أيضاً، ومن هنا إذا مات وجد فرصة ليسقط الإنسان من رفعته وعظمته إلى الحضيض.. كان دلال سعدية الأنثوي يجعل وجه إلياس يحمر ويصفر ويخضر، لكنه كان يتمالك نفسه، وفي النهاية أقلع عن المجيء إلى لاهور، وإذا ما حدث وجاء لظرف ما، كانت سعدية تتصرف بطريقة طبيعية.

بعد الإقامة في «جهلم» كانت تخرج من القرية أحياناً، كان الأولاد صغارًا، وهنا أيضاً أكملت العدة بعد موت زوجها، إلا أن سعدية صارت مصابة بمرض نفسي، كان معظّم قد عاد من السعودية، فاصطحب أسرته، وجاء إلى بيت سعدية، فتبادلت معه أيضاً بعض الجمل من تلك التي تحمل مغزى ما، كانت أي امرأة تتزين بالذهب والمجوهرات تجعل سعدية تستاء منها، بل تشعر نحوها بالضيق والغضب ويتكدر خاطرها، وحدث أن ذهبت لتحضر حفل زواج أقارب حماتها، وهناك وجد نساء إخوة زوجها، كن قد وضعن زينتهن من الذهب، وكان هذا أمرًا عاديًّا في هذه المناسبة، لكن سعدية كانت تجلس هنا تارة وتقعد هناك تارة أخرى، لا يقر لها قرار، وتظهر ما يتفتق عنه قلبها من مرارة: «كل شيء أعد من أجل كيدي، أتظنوني لا أعرف أن «صغرى» زوجة أخ زوجي ليس لديها أدنى اهتمام بالتزين بالذهب..».

ويحاول الجميع إفهامها، لكن سعدية هي سعدية.. كيف تقلع عن حيلها؟! ذات يوم وصل الأمر مداه.. كان ذلك يوم عيد، والجميع أعد عدته لمثل هذا اليوم، وبنات سعدية كبرن وبلغن سن النضج، ولبسن أيضاً الأساور والخواتم والأقراط، وفجأة نظرت سعدية إليهن

واغرورقـت عيناها بالدموع: «حين يضـع أي شخص الأساور في يديه، فإننــي أشعــر بالنــار تسري فــي جسدي». وحاولــت أختهــا الكبرى أن تفهمها: «أجننت أنــتِ..؟ إنهن بناتك، قطعة منك، فلذات كبدك، كيف تفكريــن بهذه الطريقة، وفــي المستقبل ستأتي إلــى بيتك زوجة ابنك، ولــن تتحمــل كل هذه الأمــور»؟ فــردت سعدية: «على حذائــي؟ لا تهمني هــذه، فهــذا بيتي وهذه أرضــي وكل شيء هنا ملكــي»؟ وتخرج من فمها هذه الكلمات والعبارات غير اللائقة على الإطلاق.

ويصــاب الجميع بالصدمة، لقد احترمهــا الجميع كثيرًا وتحملوها مقدرين ظروفهــا، وأنا نفسي لم أكن أذهب إلى بيتها، وفي يدي أساور أو فــي أذنــي قــرط أو في إصبعــي خاتــم أو أي شيء من هــذا القبيل، ولــم أكن حتى أضــع أي مساحيــق تجميل على وجهي، لكــن سعدية لم تكــن تتراجع عن حركاتهــا تلك، كان لها ابن وفــق الله طريقه وأصبح مهندسًــا، وبناتها – ما شاء الله – تزوجن جميعًا.. لكن سعدية تناست علاقة المحبــة التي ربطتها يومًا ما بإخوتهــا وأخواتها وأشربت بناتها وابنهــا مشاعر الكراهية تجاه الأخــوال والأعمام، وكأن أحدًا من أفراد الأسرة ما كان يرعاها يومًا من الأيام.. وهكذا صار لسان الابن لا ينطق إلا بالشتائم ولا يلفظ إلا بالسباب. أما البنات، فقد فقن الجميع بجاحة وسفاهــة، وكانــت النتيجة أن فقــدت سعدية احترامها أمــام الجميع.. ولــم تفق سعدية مما هــي فيه برغم كل هذا، وراحــت تتباهى بأولادها وأموالها.

وجــاء يــوم الفرح والســرور الذي تنتظــره كل أم، اختــارت سعدية عروسًــا كالقمر لابنها أضــاءت بها البيت، واشتــرك الجميع بالأفراح

والاحتفـالات بكل ما لديهم، وتم الـزواج على خير بعون الله، لكن كيف لسعديـة أن تغير عاداتها.. لقد استمرت توجـه النقد لزوجة ابنها: «يا أختي، إن إغلاق باب الحجرة والنوم حتى العاشرة يتعارض مع تقاليدنا وقيمنـا.. انهضي في الصبـاح الباكر..» وتريد سعديـة أن تفرض على العروس كل شيء: «ياه.. يا عروسة، ما هذا اللون الذي تختارينه.. أوه.. هـذه الأساور الفضية.. هذا لا يناسبك، ضعـي في يدك هذه الأسورة، أرى أنها تناسب هذا الرداء الأحمر، ولا بأس من هذا العقد الرائع حول رقبتك..».

كانت سعدية تبدي رأيها في كل صغيرة وكبيرة، بينما العروس التي لـم يمضِ علـى عرسها إلا أسابيـع قليلة تغلي من داخلهـا، لكنها كانت تتحامـل على نفسهـا، وتصمت... برنامج الذهـاب إلى منطقة كاغان الجميلة أعد من أجل قضاء شهر العسل إلا أن سعدية تقحم نفسها في الأمر وتثير سفسطة وجدلاً، لا طائل منه...

«لا.. لا.. الطريـق خطيـر، لقد ذهبت هنـاك، لا.. لا.. اذهبوا إلى لندن لا ضرورة للذهاب إلى هناك».

وصرفـت العروس عن برنامج الذهاب إلى كاغان... وبمرور الوقت خرجـت العروس عن صمتها، وحـدث ما كنا نخشـاه جميعًا وذات يوم واجه الابن أمه وأسمعها قرارًا صريحًا جريئًا:

«يـا أماه! عليـك أن تذهبـي وتعيشي فـي القرية مع عمـي الأكبر، واتركينا نعيش حياتنا».

وتلخبط دماغ سعدية على الفور:

«أي والله.. أي والله سأذهب!! كنت أعرف كل شيء، أعرفك أيها الخبيث، الناس يتغيرون في سنوات، ولكنك لم تنتظر حتى يتغير لون الحنة في يد عروسك.. آه.. لقد أخذتك في حضنها ولفتك بين يديها، جعلتك خاتمًا في إصبعها ،وأنا.. أنا حملتك في بطني وجوعت البنات؛ لأنفق عليك، أنفقت على تعليمك عشرات الآلاف من الروبيات، وأخيرًا تعاملني بهذا الشكل، وتكون هذه هي نهاية تعبي وشقائي فيك؟!».

«نعم، نعم! الصحيح أنك لم تحسني لي، لقد قمت بواجبك، فالآباء كلهم يفعلون نفس ما فعلت» هكذا رد الابن ردًّا عنيدًا يتناسب مع ما سمعه.

وجاءت سعدية إلى بيتي، وهي تبكي كسيفة البال مهيضة الجناح، وتحيرت.. يا إلهي! إنها القدرة الإلهية.. هل هذه هي سعدية التي لم تكن تهتم بأحسن الناس، التي أبكتني بدلاً من الدموع دمًا، والتي راحت تشتم ابنها بلهجة المدح: «الكلام صريح واضح قاله دون أدنى تردد»، سعدية اليوم تنتحب، تسكب الدموع، وأنا أحاول أن أسكتها.. وجاء على خاطري مرة ذكرى اليوم التي مطت فيه سعدية شفتيها أمامي، وهي تقول: «زوجك.. وجهه مشرق، الدم يتفجر منه، إنك واهمة، إنه بصحة جيدة، لا مرض به عمره سيطول ويطول؟» وكأن حياة زوجي سبب تعاستها وبؤسها، ولأنني أعرف أنها تعاني من مرض نفسي سكت، لم أرد على عبارتها إلا بالصمت... واليوم تحيرت من هذا التغير الذي أحدثته القدرة الإلهية، فأحوالي المالية بحمد الله أطيب، وسعدية تأتي

لاجئة إليّ؛ لأن زوجة أخي لم تتحملها، لكن الصدمة قد أصابت سعدية في مقتل، فبعد نحو شهرين تقريباً اختل توازنها العقلي، وعالجتها بكل ما أستطيع إلا أنها لم تفق مما كانت فيه، واضطررت إلى إدخالها إحدى المستشفيات، حيث كانت دائمًا تضع في يديها الأساور تارة، وتخلعها تارة أخرى، ثم تبدأ أحيانًا في بكاء طويل، أوتذهب إلى المرضى الآخرين، وتقول: «هيا نركب الطائرة.. هيا نتسوق في حي شادمان... لا، لا... هيا نأكل الآيس كريم أولاً، ثم نذهب للتسوق فيما بعد».

أما الابن وزوجته فقد نسيا كل شيء لم يذكراها بشيء.. أما الأخوات والإخوة.. فيذهبون أحيانًا للقائها، يهتمون بها. وحين تأتي بناتها من الخارج يذهبن لرؤيتها... مسكينة سعدية!!

# جنّي القمقم

للأديب: أ. س. حميد

(محمد صدر عالم صديقي)

أ. سـ. حميد هو الاسم الفني الـذي اشتهر به الأديب محمد صدر عالم صديقي، وقد اشتهر بنقده اللاذع للمساوئ الاجتماعية من خلال كتاباتـه القصصيـة الساخرة. وهـو في هذا الأمر لا يتـورع أحيانًا عن السخريـة الواضحـة، أوتناول موضوعات تكون أحيانـاً فاضحة يكشف بهـا عن مسـاوئ قد لا يجرؤ غيـره على تناولها، حتى إنـه تعرض ذات مرة للمحاكمة، وقد برأت المحكمة ساحته. وعلى كل حال، ومهما كانت الموضوعات التي يتناولها، فقد اخترنا هنا إحدى قصصه بعنوان:

«جنّيَ القمقم» يناقش فيها قضية اتجاه بعض الجهلة في المجتمع إلى الاعتقاد بالسحر والشعوذة واللجوء إلى من يدعون أنفسهم بالشيوخ الذين يسخرون الجن لحل مشكلات الناس وتلبية رغباتهم، كما يسخر ويتهكم على أولئك الناس الذيـن يعتقدون في بركة أصحاب الأضرحة والقباب وولايتهم.

## جني القمقم:

نظر إليّ «الشيخ بابا» وقال:

ما أمنيتك؟

فقلت:

أنـا رجل مضطرب الأحـوال، فاعطف علي برقيـة تجعلني أسيطر على الجن.

أغلـق الشيخ بابا عينيه مدة، ثم أمرنـي أن «أرمي بياضـي» وأعطيه بعض النقود، فقلت له بأدب جم:

ليس فـي جيبي «ليرة» واحدة، ولو أمكن أن تقرضني خمس أوعشر روبيات الآن، فسوف أعيدها لك، حين أسيطر على الجن!

غضـب الشيخ بابا، وهويستمـع لكلامي هذا، ونـادى على خادمه، وقال له:

أخرج هذا الشخص قليل الأدب من مكتبنا فورًا...

وحين اتجه خادمه نحوي قلت له مستعطفًا:

لا تتعب نفسك يا أخي، فأنا خارج من تلقاء نفسي.

فتبعني الخادم حتى الخارج، وقال لي بلهجة كلها عطف:

لماذا تضيع وقتك في الجري وراء الشيخ بابا، لو كان فعلاً بداخله شيء من الروحانية.. أتراه يفرض هذه الرسوم، ويمارس هذه التجارة؟!

فشرحت له ظروفي الصعبة، فقال:

لا يمكنني أن أحقق لك أمنيتك هذه، لكن يمكنني بلا شك أن أعطيك رقية تقرؤها في وقت انتصاف الليل، شريطة أن تنزل الماء في نهر من الأنهار حتى يصل الماء إلى وسطك..

فأخذت الرقية وعقدت العزم الأكيد على أن أجربها بكل تأكيد..

بادرني الخادم بقوله:

حين يتبعك الجني عليك أن تعطيني عن طريقه مبلغًا بالتقسيط، وسوف أعيده لك فيما بعد..

وفي الليل وصلت إلى النهر.. ورحت أتلفت حولي.. أتطلع هناك وهناك.. ولما لم أجد أحدًا نزلت إلى النهر، كما قال لي الخادم، وبدأت أقرأ الرقية..

تجمدت قدماي من شدة برودة الماء، ولكني لم أهتم بالأمر.. وحين انتهيت من قراءة الرقية ألف مرة رأيت قمقمًا يسبح فوق الماء.. يتجه نحوي.. فحملته وطلعت إلى الشاطئ.. رفعت غطاء القمقم، فظهر لي جني.. صاح:

لقد كنت نائمًا في راحة وسكون.. في هذا القمقم.. منذ ألف عام، لماذا أزعجتني؟! والآن أخبرني كيف أخدمك؟

فقلت له:

أحضر لي خزائن قارون من حيث كانت؟

قال الجنّيٌّ:

إذا كان عندي خزائن قارون فلماذا أسكن هذا القمقم؟!

فقلت:

إذًا أحضر لي فرختين و«دستة» فطير بالسمن البلدي.

فقال الجني:

أنا نفسي جوعان منذ زمان..

فقلت:

كيف تكون عفريتاً من الجن إذًا، العفاريت من قبلك كانت تحمل الأميرات، وتأتي بهن من آخر الدنيا في لحظات..

فقال الجني:

أخي.. لقد قمت بهذا أيضاً، فقام أقارب الأميرات ورفعوا ضدي قضايا ودارت مرافعات..

إذًا أحضر لي خبزاً من أي مكان وأطعمني.. هيا.

قلت هذا في غضب:

كيف تكون عفريتًا..؟!

فعاد يقول:

إذًا أعطني خمس روبيات..

سمعت هذا فطار لبي وأصابني طيش وبدأت أضربه إلى أن ضم يديه ورفعهما ناحيتي مستجديًا قائلاً:

أنت مولاي وسيدي.. سأنفذ ما تأمر به.. الحقيقة أنه منذ أن ضاع مني «الخاتم السليماني».. منذ ذلك الوقت سلبت مني كل قوتي وضاعت مني طاقتي.

بعد ذلك أخذته إلى البيت وأكلت ما وجدته وأطعمته معي.. وفي اليوم المقبل استأذنني؛ ليذهب إلى المدينة، فأذنت له..

ذهب الجني إلى المدينة، ووصل مباشرة إلى مكتب الجريدة، وهناك قال لرئيس التحرير:

أنا جني أحتاج وظيفة أو أي عمل..

فتفحص رئيس التحير الجني، وقال:

كان هنا من قبل كثير من العفاريت ممن كان يصعب السيطرة عليهم.. لا عمل هنا لك.. عليك أن تقيس الطريق..

فخرج الجني إلى الشارع، وراح يقيس الطريق.. ورآه الناس يفعل هذا فتحيروا وتجمعوا من حوله.. فسأله أحدهم:

ماذا عساك أن تفعل؟

فقال الجني:

لقد أمرني سيدي أن أقيس الطريق، وها أنا أفعل ما أمرني به.

راح الناس يضحكون بعد أن سمعوا كلامه، فتطلع إليهم الجني، وقال:

يا إخوتي، أنا عفريت من الجن، إما أن تدلوني على عمل أوتعيدوا لي الخاتم السليماني..

كان الأطفال أيضاً قد تجمعوا في ذلك المكان وبدؤوا يمطرون الجني بالأحجار، فاختفى من المكان من فوره.. ووصل إلى صاحب مكتبة لبيع الكتب، فقال له:

أعطني الخاتم السليماني إن كان عندك..

فقال بائع الكتب:

لا يوجد عندنا الخاتم السليماني، لكن بالتأكيد عندنا المجموعة الشعرية للشاعر المشهور فيض أحمد فيض..

فتركه الجني، وانطلق حتى وصل إلى سوق «أناركلي» فرأى رجلاً يبيع الملح السليماني، فقال له الجني:

يـا أخي، إنك تبيـع الملح السليمانـي.. لا بد أنك تعـرف شيئًا عن الخاتم السليماني.. دلني على مكانه، فأنا أبحث عنه منذ أيام..

فسأله بائع الملح السليماني:

لكن من أنت؟!

قال الجني:

أنا عفريت من الجن..

فاستدعى بائـع الملح السليماني شرطيًّا، ففرّ العفريت من المكان على الفور.. ووصل إلى مدينـة، فرأى من بعيد قلعة السلطان القديمة، فظن أنه يمكـن أن يجد فيها الخاتم السليمانـي.. فاتجه إليها.. كانت القلعـة خربـة خاوية.. فقـد انتهى فيها عهـد السلطـان وزال، ولم يبقَ فيهـا غير المباني.. فراح العفريت يتطلع هنا وهناك.. فرأى سردابًا.. فدخلـه.. فـرأى أمامه رجلاً نحيفـاً ضعيفاً كأنه الشبـح يضع يده على بطنه ويولول.. فبادره الجني، قائلاً:

من أنت؟ ولماذا تتألم هكذا؟

سمـع الرجـل كلام الجني، فأخـرج من جيبه «بطاقـة» ومدها إلى العفريت، وقال:

اسمي «هولاكو»، في زمن ما دمرت مدينة بغداد طوبة طوبة..

وعلى الفور أخذ الجني قالبين من الطوب، وحطمهما قائلاً:

أنا أيضاً يمكنني أن أحطم طوبة طوبة هكذا.

فقال هولاكو، وهو يتأوه:

آه جيشي دمر المدينة بيتاً بيتاً، وخرب البيوت طوبة طوبة، ثم مضى وتركني هنا في زنزانة القلعة هذه.. ومنذ ذلك الوقت وأنا سجين.. يأتي الناس، فيشاهدونني ويسخرون مني..

قال الجني:

لماذا تمسك بمعدتك؟

فرد هولاكو:

«يا أخي، أنا أشكو من انتفاخ في معدتي» واستمر في حديثه قائلاً:

لكن من أنت؟ ولماذا جئت هنا؟

فقدم له الجني نفسه، فصرخ هولاكو قائلاً:

أنت جني علاء الدين.. يمكنك أن تساعدني.. احملني من هنا.. خذني إلى قصري الملكي..

فاعتذر الجني قائلاً:

لقد جئت إليك الآن أطلب منك قرضاً..

لعلك لم تقرأ البطاقة بطريقة صحيحة.. لقد كتب فيها: لا تخجل هولاكو بطلب قرض منه..

فقال الجني:

إذاً.. فلعلك تخبرني أين يمكن أن أجد الخاتم السليماني الذي ضاع مني؟

راح هولاكو يجوب المكان على مهل، ثم توقف.. وحينئذ رأى الجني في قدم هولاكو اليمنى صندلاً من البلاستيك، وفي قدمه اليسرى فردة حذاء قديمة..

فتح هولاكو حقيبة يده، وأخرج خاتماً أراه للجني قائلاً:

تفضل هذه أمانتك.. لقد ظللت محتفظاً بها لمئات السنين.

رأى الجني الخاتم السليماني، فبلغ منه السرور حدّه، ووضع الخاتم السليماني في جيب لصيق بصدره لعل قوته تعود إليه.. ثم شكر الجني هولاكو، واختفى خارجًا من القلعة، ولم يكد يخرج من بوابة القلعة حتى فقد كل طاقته وجميع قوته.. فقد كان يطير إلا أنه سقط فوق أشجار حديقة، ثم سقط على الأرض، فحاول العودة إلى السرداب الذي وجد فيه هولاكو.. وراح يتطلع هنا هناك، فلم يجد أحدًا. وفي ركن وجد شِباكاً معلقة على الجدران.. فخرج من القلعة، وقد أصيب بالسقم، وكادت روحه تخرج منه لما كان يعانيه من جوع شديد، فجلس يتناول الطعام في أحد المطاعم، وحين انتهى من الأكل طلب منه عامل المطعم الحساب، فقال له الجني:

أنا جني ألف ليلة وليلة..

فبدأ عمال المطعم يوسعونه ضربًا وركلاً، وهو يصيح قائلاً:

أنا جني ألف ليلة وليلة.. لا تضربوني.. لا تركلوني..

وسلمه عمال المطعم إلى الشرطة، فأدبه رجال الشرطة تأديباً جعله يصرخ ويصيح:

أرسلوني إلى بغداد.. ضعوني في قمقمي وأغلقوا علي..

لكن أحدًا لم يستمع لصياحه وندائه.

وفي اليوم المقبل أحضر الجني إلى المحكمة، حيث صدر عليه حكم بالسجن شهرًا، وفي السجن ساءت حال الجني، وكان يقول لكل شخص:

أنا جني، أنا عفريت من الجن.. أنا جني..

لكن لم يكن هناك من ينصت إليه، وأشبعه المساجين ضربًا وركلاً وأدبوه تأديبًا كان يستحقه، ثم شغلوه في العديد من الأعمال واستخدموه هنا وهناك...

وبعد أن خرج من السجن كانت حاله مختلفة تمامًا، فقد برزت عظامه تريد أن تخرج من جلده...

ورقّ قلبي له كثيراً.. فقلت له:

هل من وسيلة يمكنني بها إعادتك إلى عالمك؟!

فتنهد الجني، وقال:

يا أخي، لا يوجد أي خاتم سحري، يمكن أن يعيدني إلى عالمي.. والله وحده يعلم ما هو مصيري على يد هؤلاء الناس... من بني آدم..

ولا يـزال الجنـي يجلس – هذه الأيام – تحـت شجرة على شاطئ نهـر «الراوي» على هـذه الحال، حتى جف عوده وصـار كالشوكة.. وهو يضم إلى صـدره قمقمه القديم، وكلما مرّ من أمامه شخص طلب منه الجنـي أن يدخله فـي القمقم، فيسخر الناس منـه.. ويمضي كل منهم إلى حال سبيله..

ففكرت في خطة محكمة...

حيـن يمـوت هذا الجني سـوف أبني له قبـرًا أجعل فوقـه ضريحًا لـه قبة؛ ليكون مـزارًا وأطلق عليه اسم ضريح «بابـا جني».. ولا بد أني سأكسب على الأقل خمسة أوعشرة آلاف روبية في الشهر..

فالجنـي الحي لا يفيدني بشيء.. لكن بلا شك الجني الميت سوف يغير من حظي.

# نوبة قلبية

للأديب: ظفر إقبال

ظفـر إقبال من الأدباء الذيـن يكتبون القصـة القصيرة الهادفة، فهـو يعالـج قضايا داخل المجتمع قـد تبدو غير واضحـة، وهو هنا في قصته نوبة قلبية يعالج قضية المغتربين من الباكستانيين، وخاصة من يخلفون وراءهم أسرهم ويعيشون في الغربة، فتأكلهم السنوات دون أن يشعروا، وبطريقة ضمنية يناقش قضية وضع الزوجة داخل بيت العائلة ومعاناتها، وهي بعيدة عن زوجها المغترب، ويؤكد المؤلف هذه القضية التـي تهم شريحة عريضة من أهالي شبـه القارة الهندية الباكستانية، بل ومن غيرهم من بقية أقطار الدنيا.. ترى لماذا تعرض «أحسن» بطل قصته لهذه النوبة القلبية المفاجئة..؟!

## نوبـة قلبيـة:

منـذ قليل وصلني في المكتب خبر، مفاده أن «أحسن» تعرض لنوبة قلبيـة وهـو قابع في غرفة الإنعاش المركز.. كان هـذا الخبر بالنسبة لـي محيرًا؛ لأننا كنـا معًا ليلـة أول أمس، تناولنا الطعـام معًا وتبادلنا الحديث حتى وقت متأخر...

كنت أنا وأحسن ندرس معًا في كلية واحدة بمدينة سيالكوت، وكانت بينـي وبينه معرفة طيبة بسبـب علاقتنا وانتمائنا لحي واحد بالمدينة، بعـد الحصول على الشهادة الجامعيـة انتقل أحمد إلى كراتشي للبحث عـن وظيفة يقتات منها، أما أنا فسافرت إلى المملكة العربية السعودية للعمل..

وفـي الإجـازة التقيت به مـرة أومرتين وعرفت أن والـده قد انتقل إلـى رحمـة الله، فكان عليه واجـب إعالة والدته وأخواتـه الثلاث.. ثم انقطعـت صلتي بأحسن... ومنذ عـدة شهور والتقيت به فجأة في حفلة مـن الحفلات، فعرفت أنه يعمـل في مدينة الرياض منـذ أربع سنوات مضت، ورحنا نجدد علاقة الصداقة القديمة، ونلتقي معًا كل يوم..

بعـد الانتهاء من العمـل بالمكتب خرجـت متجهًا إلـى المستشفى وكان أحسـن قد نقل من غرفـة الإنعاش المركز إلـى «عنبر» المرضى وقـد تحسنت حالته قليلاً، إلا أن تأثير النوبـة كان لا يزال واضحًا على وجهـه، اطمأن قلبـي وانتظرت قليلاً، ثم سألته فـي حيرة كيف تعرض لهذه النوبة القلبية.. فسكت لحظات ثم أخرج من تحت وسادته خطابا وناولني إياه...

فتحـت الخطاب وبدأت أقرؤه.. كان الخطاب من زوجته التي كتبت له ما يأتي:

«زوجي ورفيقي العزيز!

أبعث إليك بسلامي...

الشكوى والشكاية من غير داعٍ أو العراك دونما سبب ليس من طبعي، وبطبيعة الحال، فأنا راغبةٌ عادة في حل قضايانا بالصبر والتفاهم، لكن تحملي للغبن والظلم له حدود، وحين تأكد لي أن موقفي المتسم بالصبر والتفاهم فاق كل حدود طاقتي، وأنه لا توجد إمكانية لإنهاء الظلم رحت أدافع بكل قوة...

هذه الكلمات التي أمتدح بها نفسي ضرورية، ذلك لأنه خلال سنوات «الرفقة الشرعية» الثلاث الماضية، أقصد خلال سنوات الزواج الماضية لم نتقابل معًا أكثر من ثلاثة أشهر، ومن ثم لم تتيسر لنا فرصة لتبادل الأفكار أو فهم كل منا للآخر.. فبعد الزواج بعشرة أيام انتهت إجازتك، وسافرت إلى الرياض، وفي العام المقبل جئت في إجازة فكان زواج أختك، وحين كانت الفرصة لنكون معا بعد انتهاء احتفالات الزواج ومراسمه، وما إلى ذلك، انتهت إجازتك.. ثم كانت الإجازة المقبلة، فوهبتها لإصلاح البيت ولقاء الأقارب والأصدقاء، وأنا على يقين كامل من أن الإجازة القادمة سوف تضيع في لقاءات الأحبة والأصدقاء، وما شابه ذلك من أمور تعودت عليها خلال إجازتك السابقة.. ولن تتمكن من أن تجد وقتًا لسماع كلامي أو فهم حديثي، وسوف أجد نفسي ومن ثم مجبرة مرة أخرى على تنفيذ حكم (بالسجن مع الأشغال الشاقة) مدة سنة، ولهذا لا أريد أن أثير أحاديث كلها مرارة.. بل أكتب إليك أمورًا واقعية وحقيقية..

لا أريد أن تسيء فهم ما أقوله لك.. إن الحياة التي عشتها في السنوات الثلاث الماضيات كنت فيها لا أزيد عن كوني «خادمة» مثقفة متعلمة.. وحتى «الخادمة» تحصل على تسهيلات من نوع معين، تحصل

علـى راتب شهري، أوقات عملها محددة، يمكنهـا أن تذهب أحيانًا إلى حيـث تشاء، لكني كنت خادمة مقابل «الطعام والملبس» إذا انتهيت من العمل فلا يسمح لي بالخروج من البيت.. بعد صلاة الفجر يبدأ عملي، ويستمـر هذا العمل حتى الليل، بل أحيانًا أسمع أصوات النداء.. تصكّ أذني في حجرتي:

«قدم بعض الضيوف»..

نعم قدم بعض الضيوف فجأة، وأبدأ من جديـد أدور في طاحونة العمل، وكنت أتذرع أحيانًا بالتدريس لأخواتك؛ لأستريح بعض الوقت.. ونتيجة لهـذا الضجر والملـل والضيق المتواصل رجـوت «حماتي» بكل رقـة وخضـوع وتذلـل أن تسمح لي بالتدريس في كلية البنـات القريبة من البيـت، فأقامت الدنيا وأقعدتها.. وراحـت توجه لي الكلام تكشف النقـاب عن تعليمي وشخصيتـي لدرجة أصابتنـي بالدهشة.. وفزعت حيـن ذكرت لي أنني أطعم خير طعام وألبـس خير ملبس.. فماذا أريد بعـد ذلك.. وأعتقد أنـك تتفق معي في أن هذه الأشيـاء – سواء كانت طيبة أو غير ذلك – كانت ميسرة لي في بيت والدي.

في كل شهر، وحين كانت تصلنا «حوالة البنك» كانت حماتي أقصد والدتـك تكيل لك الدعاء.. لكنك ربما نسيت أن فـي هذا البيت إنسانًا آخر يدعو لك يحتـاج، بل يضطر أحيانًا لبعض النفقات المالية.. ولقد أقلعـت الآن عـن هذه المطالبـة، ولكن إذا حدث ونسيـت وطلبت مبلغًا مـا أحتاج إليه، فإن الأذى يصل حتـى إلى أعماق روحي.. أليس لي حق عليـك؟ وفي الإسلام حيـث تعاليم حقوق الوالدين يوجـد أيضاً أحكام

خاصة بحقوق الزوجة..! فبعد الزواج تقع مسؤولية الزوجة على زوجها، ليس على أمِ الزوج وإخوته وأخواته، فالزوج هو ولي أمر زوجته.. ربما لا تعرف أيضاً أنك لا يمكن أن تبقى في بلد الغربة مدة معينة دون موافقة الزوجة..

هـل حاولت مـرة أن تشعر بضرورة التعرف إلـى وجهة نظري فيما يتعلق بهذه الغربة المتواصلـة؟ لقد راقت لنا فلسفة الحياة الهندوكية، لدرجة أننـا تركنا التفكير بطريقة إسلاميـة، فطبقًا للعرف الهندوكي فإن عقيدة المرأة تحتم عليها أن تقضي حياتها في خدمة الزوج وجميع أهله، فإذا ما مات الزوج وجب على الزوجة أن تحرق نفسها، فلا يوجد هنا تصور لأن تبقى المرأة وحيدة.. بعد الزواج لا يكون أمام الزوجة من طريـق سوى التحمل والصبر.. فمن حيـث يتجه «هودج العروس» يكون خروج جنازتها.. ومن الناحية الشرعية لا توجد نصيحة صحيحة.. لكن الأمر يا سيدي، في الإسلام مختلف.. فالزواج في الإسلام عقد.. عقد بين طرفين.. فيه حقوق وواجبات، والفريقان مكلفان بأداء مسؤوليتهما علـى أكمل وجـه وأحسن طريقة، ومع أن للـزوج بعض الصلاحيات في بعضـ الأمـور، لكن هنـاك على كل حال تـوازن وتناسب فـي حقوق كل منهمـا... وإذا لم تكن تصدق كلامي فاقـرأ الآيات المتعلقة بذلك في سورة البقرة والنساء وآل عمران النور.

ضع يـدك على قلبك قليـلاً.. وأخبرني هل تعيش فـي غربتك الحياة نفسها التي نعيشها نحن جميعًا هنا: حياة الدعة والراحة.. حياة البهرجة.. ونحن هنا نتجمع أحيانًا حول التلفاز نتمتع بما نشاهد وأنت: هل فكرت ذات مـرة في شقائك وتعبك.. وما هو الهدف مـن ورائه؟ ومن أجل أي شيء..

مـا هي الثروة التي جمعتهـا حتى الآن؟ كل عام يضيع منك ما يقارب ٤٠٪ من ميزانيتك في شراء الهدايا التي توزعها على الأقارب والأصحاب.. في النهايـة لماذا تقدم للجميع الهدايا، بينمـا ترجع إلى غربتك لا يفكر أحد في تقديم أي هدية لك؟! لماذا هذا التعامل من طرف واحد؟!

لـو حدث وانتهى عقـدك واضطررت إلى العودة فجـأة، فما عساك تفعل هنـا؟ أقاربك يلتفون حولك.. يحيطونك بعطفهم ورعايتهم طالما أنـت هنـاك في وظيفتـك، وفي اليوم الـذي يعرفون فيه أنـك قادم إلى باكستان قدومًا نهائيًّا فسوف أكون أنا فقط التي تنتظرك في المطار..

حيـن تأتي أختك وزوجها إلى البيـت، نعاملهم معاملة «كبار الزوار VIP».. نحيطهـم بكل رعايـة.. نطبخ لهم أشهى أنـواع الطعام.. نرتب لهم رحلات النزهة والفسحة هنا وهناك.. وترن في جميع أرجاء البيت الضحكات والنـكات... أما أنـا فيعاملونني معاملـة الخادمات.. فهذه مهمتي: إعداد الطعام.. التنظيف.. كي الملابس وخدمة الجميع.. أهل البيـت وضيوفهم وحتى ضيوف ضيوفهم.. هل هذه الحياة هي حياتي.. وإلـى متى تمضي حياتي على هـذا الشكل؟ أما سلوك حماتي أمك معي تجاه ابنتها وزوج ابنتها فهو سلوك يظهر منه التضاد والتباين الكامل... سبحـان الله! حين يأتي والداي – وقـلّ أن يأتيا – ليطمئنا علي، يسود البيـت صمت مليء بالأسرار، ويكون علي أيضـاً القيام بإعداد الشاي، فـلا تكون أمامـي فرصة للترحيـب بهمـا أوالجلوس معهمـا، لا يعامل والداي معاملة الضيوف الآخرين وحماتي أمك تعطيهم إحساسًا بأنهم أشخاص غيـر مرغوب فيهم.. ما هذه العـادات العجيبة؟! ولماذا هذا السلوك الذي يرمي إلى إذلال أهل الزوجة؟ هل هذا أمر شرعي؟!

لا علم لي بفلسفتك في الحياة، ولا أدري ما هي أفضلياتك في هذه الحياة؟ وما هومفهوم مسؤوليات الزواج لديك؟

في اعتقادي أن للزوج هدفًا يتمثل في لقاء الطرفين معًا، وترتيبهم معًا لحياتهـم العملية طبقًا لميولهم، وأنا لم أظهر هذه الرغبة، أقصد أن نقضـي حياتنا في يسر شديد، وأن نرفـع من «مستوى معيشتنا» عن طريـق «الغربة» التي لا نهايـة لها، مع أن تصور مستـوى الحياة عندي يختلف عن تصور عامة الناس..

أنا لا أريد هذا الكسب الذي ثمنه وقيمته بعدنا، وانفصالنا عن بعض باستمـرار.. ذلـك لأن الحياة الزوجية لا يمكـن أن تتحطم بسبب الرغبة فـي الحصول على بعض الأجهزة الكهربائيـة.. إنني أحـاول بكل اتزان ومعقوليـة أن أطلعـك لآخر مرة.. أنه من المستحيـل أن أقدم المزيد من الخدمات من حيث كوني خادمة.. هذا أمر غير معقول بالنسبة لي.. يجب أن تعـد العـدة لتدعوني إلى السعوديـة في ظرف أربعة أشهـر، وإلا جهز نفسـك للعودة إلي.. وإلا فإنني من حيث كونـي طرفًا فيما بيننا من عقد أحتفظ لنفسي بجميع الحقوق في إعادة النظر فيما يتعلق بعقد الزواج.

مع سلاماتي وأشواقي

شريكة حياتك

قرأت خطاب زوجة أحسن.. ودار رأسي.. واستندت على الكرسي.. وجلسـت.. فأنـا أيضاً فـي بلاد الغربة.. مـن دون زوجتـي.. منذ سبع سنوات.

# ساحة العرض

للأديب: نجم الحسن رضوي

نجـم الحسن رضـوي كاتب قصة قصيـرة، يعمـل بالصحافة في إحـدى دول الخليـج العربي، يبحث عن وقائع في الحيـاة قلّ أن يعرفها سكان شبه القارة أنفسهم، وبخاصة في باكستان ويرى أن بعض الناس ممـن يبيعـون دموعهم يشاركـون في جريمـة بيع دمـوع الآخرين.. بل وإضاعتهم فوق حبات الرمال في الصحراء الواسعة..

إن الألم الـذي تولده هذه القصة «ساحة العرض» بداخلنا يصيبنا بلوعـة.. يفري أجسامنا ويؤذي أرواحنا.. لكـن من ذا الذي يتلذذ ببيع أرواح الأبرياء؟!

هذا ما سنعرفه من مطالعة «ساحة العرض».

## ساحة العرض:

نظر، فرأى آلاف الناس متجمعين، وفي لمحة واحدة مد البعير رقبته الطويلـة إلى الأمام، وحكّ قدميه في الأرض كمـن يسنّ سكينًا بضربة واحدة، ثم انطلق مع صفوف الهجن كأسراب طيور صحراوية..

فــي ساحة العرض، حيث كان يجري سبــاق «الهجن» الموسمي راح الناس يصفقون، وفي الناحية الأخرى من السور الشبكي راحت جماهير محتشدة تنشد بأصوات كأنهــا الموج، على دقات الطبول، ومعهم كانت النســاء يتمايلــن طربًــا ينثــرن شعورهن كرايــات حريريــة تخفق فوق رؤوسهن، يشددن من همــم راكبي الهجن الصغار وعزائمهم.. وتراجع ميــدان السبــاق تدريجيًّــا واختفى المتفرجــون والمشجعــون في سحب الغبار، وسقط الطائر في بحيرة بيضاء بعد أن قطع دورة في الصحراء، وقد انطــوى داخل ذرات الغبار الذهبية للصبــاح الندي، ونصب الغبار فوقه خيمة.. وهناك ساد صمت رهيب، حيث ابيضت كل الأشياء..

أدار وجهــه وأغلق عينيه أو ربما؛ فتحها؛ لأنه رأى الساحة كلها وقد امتــلأت بالناس.. وبــدأت صفوف الهجــن تنطلق مسرعــة.. مليحة.. صاعقة.. طرفان.. صرصر.. طغيــار.. رعد.. سموم.. شمال.. وكانت تثير بأرجلها سحبًا كثيفة من الغبار..

«صاعقة... صاعقة» ظلت جماهير المتفرجين تصرخ:

«صاعقة... يا لك من فارس مغوار يا من تركب صاعقة!..»

وفجأة تناهى إلى سمعه صوت يقول:

«تنتظرك أكبر جائزة في السباق..!»

فمع نهاية حفل السباق كانت الجوائز تنهال كالمطر.. فراح يضرب عنق البعير وينخزه مرددًا:

«لا تقلق يا أستاذ أحمد.. سيكون ترتيبها الأول دائماً!»..

وراح يلوح بالجريدة، وكانت حركة الناقة التي تدب الأرض بأرجلها كصخرة تدفعه إلى الأمام تكاد أن تسحقه.. وتناهى إلى سمعه الصوت نفسه مرة أخرى:

«إنك لا تخاف منها» كان هذا الأستاذ أحمد المشرف على مربط هجن مولانا، وهو أيضًا معلم الصبية والفتيان راكبي الهجن..

في البداية كان يخاف من الاقتراب من الناقة.. هذا المخلوق العالي الضخم كالجبل مقابل الإنسان الصغير.. كان يوضع على ظهر الناقة، ويربط من وسطه، ثم يظل يصرخ ويصيح طالبًا العون وهو ملتصق بسنام الناقة التي تهرول:

«أبي.. أبي.. الحقني يا أبي.. النجدة..!».

لكن أين أبوه من هذا المكان؟! فبينه وبين أبيه أراضٍ وبحار وفرق حتى في التوقيت والزمان..

وفي الليل حين يغطّ في النوم تتراءى له أحلام عجيبة مخيفة وغريبة.. يرى أحيانًا أن الناقة تجري وراءه.. وأحيانًا يتراءى له كأن الناقة قد ركبت على كتفيه.. وأنه يحمل الناقة ويجري في ميدان السباق.. فيصرخ ويستيقظ ويظل مدة طويلة يبكي بصوت متهدج.. ثم يروح يغمغم ويتمتم:

«إني خائف.. لا يمكنني أبدًا أن أركب الناقة.. لا.. لا..».

فيضحـك الأستـاذ أحمد، ويحـاول أن يدخـل الطمأنينة على قلب الصبي قائلاً:

- «لا تخف.. لا تخف..!».

وتصيب الصبي حيرة:

- «لا...».

فيقول الأستاذ:

- «وبعديـن معك... إنهـا بداخلنـا.. بداخل كل إنسـان.. اسمع.. بداخـل الإنسـان كل شـيء، بداخله أسـد وبداخله صقر أيضـاً، وبعير أيضاً!».

فيسأله الصبي بتعجب شديد وحيرة:

«بعير أيضاً؟!».

«نعـم ألا تدري كيـف تعيش الرغبات داخل الإنسـان؟ وكيف تعيش الأمانـي، البعيـر أيضاً رغبة.. رغبة عالية.. رغبـة القوة.. والرغبة في المال.. تأكد يعيش في داخلنا جميعًا بعير..!».

وبالتدريج.. تقلص حجم الناقة حتى إن الصبي رأى ذات ليلة أنه يضعهـا في منديل ويضـع المنديل في علبة طعامـه.. وحين قص هذه الرؤيا على الأستاذ أحمد تهلل وجهه وابتسم، قائلاً:

- «ابسط.. لقد أصبحت الناقة في قبضتك وتحت سيطرتك.. كان بداخلك خوف، وقد انتصرت عليه.. الآن سوف يكون لك اسمك.. عليك أن تقتنص الشهرة، فالكثير يركب الهجن، لكن قلّ من يسيطر عليها..

لكن الصبي كان شجاعًا برغم جسمه الصغير وقدّه النحيل.. وكان يدرك تمامًا كيف يتمكن من السيطرة على الناقة التي يركبها... كانت «صاعقة» تفهم جيداً إشاراته، كانت تعرف متى تجثو على الأرض، ومتى تنهض، متى تزيد من سرعتها، ومتى تنطلق سريعًا كريح الشمال تلقي بخيمة ندها في الهواء..

كان الصبي بطل الأبطال بلا منازع.. كان الناس جميعًا يعرفونه ويحبونه، وكذلك كان مولاه أيضاً الذي يمتلك الكثير من الهجن وعنده الكثير من الصبية والفتيان من راكبي الهجن.. كان مولاه مسروراً منه إلى أكبر حدّ، فقد كان الصبي يعلي من اسم مولاه في كل سباق يحقق فيه الفوز..

في هذه المرة أيضاً كانت عيون الجميع مسلطة عليه.. وحين بدأ السباق كانت «صاعقة» في مقدمة الهجن.. وفي وسط السباق أيضاً كانت «صاعقة» تتقدم الجميع... وفجأة.. حدث زلزال، وانشقت السماء وسقطت كسفًا على الأرض... و..

والصبي.. فتح عينيه.. تراءت له من بين رموش عينيه بحيرة بيضاء.. راحت تتسع وتتسع من حوله.. كانت غرفة المستشفى.. الجدران البيضاء.. الستائر البيضاء والأسِرّة البيضاء.. كان يرغب في

الحركـة، يتحرق من شدة مـا يعاني من ألم.. لكن الأربطة المثبتة على جسمه جعلته يرقد بلا حـراك، وبلا إحساس، وكانت الأربطة البيضاء والأنابيـب مختلفـة الألوان، وقد أحاطت به من رأسـه إلى قدميه، وبدأ الصبي يئن من الألم والوجع، وعندئذ صاح أحدهم، قائلاً:

«لقد أفاق الصبي.. نادوا على أبيه..!»..

- «أبي...» أراد الصبي أن يقول شيئاً لكن صوته لم يخرج.

وراح والد الصبي يذرف الدموع في صمت..

قال مولاه:

- «.. للأسـف.. لن يتمكـن الصبي من الاستمـرار في الخدمة عندنا، لكن لا تقلق بالنسبة لعلاجه، فجميع الترتيبات...».

ومسح والد الصبي دموعه بأكمام قميصه وتنهد، وهو يقول:

- «مـولاي.. بارك الله فـي خدماتك وأفضالـك.. نحن خدامك.. كان ابنـي محظوظاً بالعمل لديكم.. حسناً إن لـم يعد قادرًا على العمل.. فلا تقلق سيدي، فعندي ولد آخر.. أصغر منه بقليل.. إذا أمرتم فـ..!».

وفجـأة بدأت موجات من الألم الحاد تقطـع في الجزء الأسفل من جسـم الصبي كانـت سيوفًا حادة تخـزه بكل شدة.. وراحـت تأوهات حزينة تخرج من فمـه.. فأسرع إليه الواقفون من حول سريره.. وتطلع إليهم الصبي، وبدا له أن سباقًا سيبدأ من جديد..!

# الوصية

للأديب: ستار طاهر

ستار طاهر -رحمة الله عليه- من الأدباء الذين أجادوا كتابة القصة القصيرة، وهذه القصة التي ننقلها إلى العربية نشرت في إبريل عام ١٩٩٤م أي بعد وفاته، وهو يعالج عادة القضايا الفرعية التي قد يظن بعض النقاد أنه لا أثر لها على حياة الناس؛ لأنها كما نقول في العربية «لا تقدم.. ولا تؤخر..» إلا أنها في نظر الأديب تكون ذات قيمة.

بطريقة ضمنية يعرض الأديب لقضايا أخرى تمس الحياة الاجتماعية والظروف المحيطة.. ترى ماذا كانت قضية الأديب ستار طاهر؟ وماذا كانت وصيته؟!

## الوصية:

قال الشيخ شاه نقشبندي: الدنيا في الأصل برزخ(*)، فالإنسان يبدأ الممات من اليوم الذي يولد فيه، وتبدأ أنفاسه تتردد بداخله لأول مرة،

---

(*) عالم البرزخ: هو ما بين الحياة الدنيا ويوم القيامة، وليس كما في القصة (المراجع).. ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وينتهي موته مع آخر نفس له في عالم البرزخ هذا.. ويقول الشيخ: حين يبلغ الإنسان سن الأربعين، فإنه يكون بذلك قد طوى في هذه الدنيا أربعين سنة من مرحلة الموت في عالم البرزخ.. وأنا يا سيدي، لا أدري كم مرة مت؟ وما هي المدة الباقية على استكمال موتي؟

والحقيقة أنني في الأصل لا أدري كم سنة مرت علي؟ وما هو عمري الأصلي؟.. كم عمري المسجل في الأوراق؟.. ومنذ متى وأنا في عالم البرزخ؟.. منذ كم سنة..؟ لقد ابتليت بمرض لا يمكن وصفه وليس له اسم.. بالتأكيد لا بد أن يكون لي نجم.. نجم سعد أو نجم نحس.. نجم والسلام.. لكنني لا أدري؛ لأنني أعرف أن تاريخ ميلادي المدرج في الأوراق الرسمية ليس تاريخاً حقيقيًّا!

لقد أصبحت بما أنا فيه، حين كنت أجري مقابلة مع لاعب «الكريكت» العالمي المشهور، وكان اللاعب كلما ركز على بيان أن أسباب نجاحاته هي كفاحه المتواصل وتدريباته الشاقة أوضح أنه منذ اليوم الأول الذي جاء فيه على وجه الدنيا وهو محظوظ، فيوم مولده كان يوم سعده.. وقال: إنه شخصياً يعرف العديد من الناس ولدوا في اليوم نفسه الذي ولد فيه، وكلهم بلا استثناء أثبتوا أنهم أناس مشهورون وناجحون.. وأضاف أيضاً أن الناس الذين ولدوا في ذلك اليوم يتمتعون بالصحة وطول العمر..

كنت محظوظاً جداً بهذه المقابلة، وحين انتهت أشعلت سيجارة، وأخذت نفسًا عميقًا طويلاً ورحت أفكر وأنا أتطلع إلى سحب الدخان المنبعث من فمي وأنفي على حد سواء: ما هو تاريخ ميلادي؟!

هذا التفكير وهذا السؤال وضعاني في سلسلة طويلة ومؤذية لا نهاية لها، ومنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا لم أتخلص من هذا الأذى..

تاريخ ميلادي مشكوك فيه.. جعلتني هذه الحقيقة مريضاً..

أنا أعرف أنني ولدت في إحدى مدن الهند قبل قيام باكستان، وأعرف أنه في ذلك الزمان كان إذا حدثت ولادة في بيت ما قامت القابلة أو أحد من أهل بيت المولود بالذهاب إلى مكتب التسجيل، فيسجل اسم المولود ويعود ويحصل بذلك على شهادة ميلاد الطفل من هذا المكتب، وأعرف أن مثل هذا يحدث أيضاً في باكستان..

في ذلك الزمان، وفي القرية التي كنت أنتمي إليها لم يكن الاحتفال بأعياد ميلاد الأطفال رسماً أوعرفاً راج بين الناس، إذ لم يحتفل أحد أبدًا بعيد ميلادي..

وذات يوم ألبست ملابس جديدة نظيفة منسقة ومرتبة على جسمي، وأخذني أبي وذهب بي إلى المدرسة، وفي المدرسة ملأ استمارة لم أكن أستطيع قراءتها، فلم يعلمني أحد في بيتي القراءة أو الكتابة، وكانت أمي من جملة الأميات في قريتي لا تعرف الكتابة ولا القراءة.. وألحقت بالمدرسة وهناك أيضاً أُدرج تاريخ ميلادي..

كنت في الصف الثاني بالمدرسة الابتدائية، حين تأسست باكستان.. ثم ذهبنا إلى باكستان.. في باكستان لم ألحق بأي مدرسة؛ ذلك لأن أبي انتقل إلى الرفيق الأعلى.. وكان لأحد أقارب أمي أخ، فذهبنا لنقيم عنده.. وذات يوم وبناء على إصرار أمي ألحقت بالمدرسة..

في المدرسة، وحين كانوا يكتبون الاستمارات نظروا إلي، وسألوني:

هل تتذكر تاريخ ميلادك؟

وحين عجزت عن الرد راحوا ينظرون إلي يتفحصونني، وأخذوا يقولون كلامًا غير مفهوم، ثم كتبوا تاريخًا ما في خانة ميلادي.. وكان هذا هو التاريخ الذي استمر يكتب في شهادتي بعد التخرج في المدرسة الإعدادية والثانوية، وحتى في بطاقتي الشخصية ٣ أغسطس ١٩٤٦م. وتخرجت في الجامعة مع تاريخ ميلادي الافتراضي القياسي الزائف، وأصبحت موظفًا في مكتب حكومي ورقيت لأصبح رئيسًا للموظفين.. رئيسًا من الرؤساء المهمين..

لكن.. لا.. لا بد أن هناك وثيقة مكتوبًا فيها تاريخ ميلادي الذي لا يطابق تاريخ ميلادي الافتراضي القياسي المزيف.. كنت أدرس في الصف الثاني حين انتقل والدي إلى جوار ربه، ثم بقيت مع أقاربي أقضي حياتي في خضوع وخنوع وأدرس أيضاً.. وحين وجدت وظيفة تزوجت عن طريق أحد الأصدقاء.. قالت لي أم هذا الصديق تخبرني عمن ستصير زوجتي:

عمرها عشرون.. اثنان وعشرون...

وكنت أفكر أنني في الثلاثين، هذا بينما أخبرت أم صديقي أهل عروستي بأنني في السادسة والعشرين، وحين تم الزواج، كتبوا في قسيمة الزواج أن عمري ست وعشرون سنة وأن عمر العروس عشرون عاماً.

بالنسبة لتاريخ ميلادي الافتراضي كان عمري ثلاثين عامًا، وكانت عروسي لا تقل عن أربعة وعشرين.. وبقينا معًا نعيش هذه الكذبة بطريقة بارعة.. فلم يحدث بيننا سوء تفاهم على الإطلاق نتيجة لهذه الكذبة، بل لم يحدث أي ذكر لها بيننا، فنحن كما كنا، وكما كانت أعمارنا، كنا نعيش معًا..

أما صديقي الذي عرفني على الشيخ شاه نقشبندي، فكان صديق عمل، إذ كنا نعمل معًا في مكتب واحد وكان صديقي منير خان من محبي الشيخ، وممن يلازمونه أيضاً ولهذا طالما يكثر الحديث عنه.. وحين جاء الشيخ إلى بلدتنا لعدة أيام حصل لي أيضاً شرف مقابلته..!

لكن عقلي وتفكيري كانا قد أصيبا قبلاً بلوثة، فقد أجبرتني المقابلة التي أجريتها مع لاعب «الكريكت» المشهور سابق الذكر على التفكير في عمري الأصلي.. كم عمري؟! وحين قرر الشيخ شاه نقشبندي في إرشاداته أن هذه الدنيا هي عالم البرزخ وأن عمر حياة الإنسان هو في الأصل عمر الموت.. نبهتني فلسفته هذه وأدهشتني، بل أفزعتني..

كنت أعلم كم بقي على مدة إنهاء خدمتي الوظيفية؟ وكم يومًا بقي على تقاعدي؟ لكني لم أكن أعرف ما هو عمري الحقيقي، وطبقًا لأقوال الشيخ شاه نقشبندي كم المدة التي قضيتها من مرحلة الموت في عالم البرزخ هذا..

ورحت أفكر لو أن أخواني زادوا في عمري، حين ألحقوني في المدرسة في باكستان، فهذا يعني أن مدة خدمتي الوظيفية أصبحت

قصيـرة.. لكن كم سنـة؟ سنة.. سنتان.. ورحـت أطمئن نفسي.. ربما كتبوا تاريخ ميـلادي أو جعلوا عمري أقل بنصف عام.. لكن كان هناك تساؤل لم أجد لدي جوابًا له.. بل لم أجد له إجابة في أي مكان..

ما هو عمري الأصلي؟! ما هو تاريخ ميلادي؟!

لـم أكن أبـدًا أهتم بهـذا الأمر من قبـل؟ مع أنه منـذ سنوات في كل جريـدة، وفي كل مجلـة كنت ألاحظ صفحة «برجك هـذا الأسبوع» و«حظـك هـذا الشهر» ولكن حين بـدأت أخوض فـي دوامة البحث عن عمـري الأصلي، وتاريـخ ميلادي الحقيقـي أصبحت هـذه الصفحات بالنسبـة لي كأنهـا إعلان عن عجـزي.. إعلان بأنني معـوق.. لم أكن أعـرف ما هو برجي وما هو نجمي؟! فقد كنـت على يقين من أن تاريخ ميلادي خطأ، ولهذا لم أكن أتمكن من معرفة «قسمتي ونصيبي»..!

وراح هـذا السؤال يدخل عقلـي يركبني كعفريت شرس.. في البيت وفـي المكتب.. فأصبحت سريع الغضب، سريع التهيج، وذات يوم قالت ابنتي التي تدرس علم النفس في الليسانس لأمها:

يبدو أن أبي مصاب بمشكلات نفسية..

قالت هذا، وهي تهمس في أذن أمها.. ولكني سمعت ما قالته، فبدأت أصيح وأصرخ، ورحت أتفوه بما يرد على لساني من كلمات لا معنى لها.. كنت باختصار أهذي.. وفي الليل سألتني زوجتي بعطف شديد:

ماذا أصابك هكذا فجأة؟!

فأجبتها:

لا أعرف تاريخ ميلادي!

وشاهدت الحيرة تبدو على وجهها فأغلقت عيني، أما هي فبعد سماعها هذه الإجابة المحيرة لم تعد توجه لي أي سؤال.

أما ابني أرشد الذي يقيم مع زوجته وحده، فقد زارنا ذات يوم وراح يحدثني في موضوعات مختلفة، وحدثني ضمن ما كان يحدثنا به، فقال:

ماذا يقلقك هذه الأيام يا والدي؟ أخبرني، فربما أمكنني مساعدتك..

ففهمت أن أمه وأخته أخبرتاه عن حالي.. فأجبته:

«لا شيء» أجبته دون مبالاة.. «إنني قلق فيما يتعلق بتاريخ ميلادي». ونظر إلي في حيرة وتعجب فأخبرته باختصار عن الأمر كله، وقلت له:

اسمع، إن تاريخ ميلادي المكتوب في جميع الوثائق والشهادات غير صحيح.. وظل يصغي إلي باهتمام، ثم قال:

أبي.. فهمت.. بعد قيام باكستان عدد لا يحصى من الناس جاؤوا هنا وحالتهم كانت مثل حالتك.. كم من الناس كتبوا تواريخ ميلادهم بناء على قياسهم، فلماذا كل هذا القلق الذي أصابك؟!.. لك أن تتصور تاريخ ميلادك المكتوب تاريخًا صحيحًا..

وسكت. فاضطرب لسكوتي، ثم قال:

أبي.. لماذا تجعل «من الحبة قبة» من دون داعٍ؟!

أرشد أنت لا تستطيع أن تفهم هذا الأمر..

ورجع أرشد إلى بيته قلقًا مضطربًا.. يائسًا..

ورحت أتدبر كل حيلة؛ لأتماسك ورحت أطمئن نفسي.. الناس الذين يعرفون حقيقة تاريخ ميلادهم، هل يؤثر هذا التاريخ على حياتهم؟ لا بد أن الأساس والأصل هو جد الإنسان واجتهاده وعمله المتقن.. لكنني أجد نفسي أفكر في اتجاه آخر معكوس.. هل هذا أمر عادي؟ هل هذا أمر بسيط ألا يعرف الإنسان في أي يوم ولد؟!.. أليس عن طريق معرفة تاريخ الميلاد يعرف الإنسان نجمه ويعرف الكثير عن قسمته ونصيبه؟!.. ثم أقوال الشيخ شاه نقشبندي بأن عالم البرزخ في هذه الدنيا هو سنوات موت الإنسان.. وكأن هناك دودة راحت تخترق دماغي، وأنا في كل لحظة أغرق نفسي في تعقيدات وتعقيدات حتى أصابني المرض.. كان مرضي من النوع العجيب والغريب في الوقت نفسه..

حالة من الصمت الطويل.. ثم ظهور حالة من الهيجان.. أخذت إجازة من العمل.. ورقدت في البيت لا عمل لي سوى التدخين.. وهناك فكرة واحدة لا يوجد سواها تدور داخل رأسي.. وذات يوم رحت أقهقه بالرغم مني وأقهقه.. وفكرت.. حين ألفظ أنفاسي الأخيرة في عالم البرزخ هذا سوف يقول الجميع إنني مت وأنا في الثامنة والستين،

وسوف يكذبون جميعًا.. وهجت وأنا أتصور الجميع يكذبون، ثم انتابتني نوبة ضحك على الرغم مني..

تجمع من في البيت.. راحوا يحملقون في وجهي.. وعلى وجوههم دهشة وحيرة واضطراب.. كانت الدموع ظاهرة بوضوح في عيني زوجتي برغم محاولتها إخفاء دموعها، وفجأة حبست قهقهاتي في حلقي، وأغلقت عيني.. صمت طويل.. بعدها صدرت أصوات الهمس، ثم عمّ السكون..

وفي يوم وجدت نفسي حزينًا تعسًا.. رحت أقول لنفسي: أنا إنسان لا يعرف متى ولد؟ ومن ثم لا يعرف عمره الحقيقي.. لقد قضيت حياتي كلها حتى الآن مستعينًا بتاريخ ميلاد افتراضي زائف..

وفكرت: حين أموت سوف يدفنني هؤلاء الناس.. سوف يضع ابني لوحًا على قبري.. سينقش عليه آيات من القرآن الكريم، ثم تاريخ ميلادي، وتاريخ وفاتي.. تاريخ وفاتي صحيح بالتأكيد، لكن تاريخ ميلادي خطأ..

في تلك الليلة طلبت رؤية ابني، وقلت له:

«انظر! هذه وصيتي: حين أموت لا تكتبوا على لوح قبري تاريخ ميلادي.. لا تكتبوه.. هل تعدني بذلك.. أقسم بالله على ذلك! فهذه وصيتي..».

# كرب

للأديبة: سلمى ياسمين

سلمى ياسمين من الأديبات اللاتي يعبرن بصدق عن نبض الحياة في شرايين المجتمع الباكستاني، وقد حدث وسافرت خارج باكستان، فأتيحت لها الفرصة لدراسة القضايا الاجتماعية والاقتصادية للمهاجرين من أهل وطنها، فتألمت وحزنت لما أصابهم نتيجة لانقطاع الصلة بينهم وبين بيئتهم الثقافية والحضارية والدينية.

وقصة «كرب» وهذا هوالعنوان بالأردية – إذ الكلمة مستخدمة بمعناها نفسه في العربية وتخصص المعنى هنا للحزن والألم الشديد يخنق الأنفاس – قصة من النوع الذي يعالج ضياع الإنسان المسلم في متاهات بلاد الغرب، ويعالج تدني قدسية الروابط الأسرية، وتوضح القصة كيف يعيش المهاجر في بلاد الغرب حياة – تحكمها المادة – على مستوى حيواني محض، والقصة قبل هذا وذاك تجعل المسلم يشعر بالاعتزاز بدينه وبنفسه وبوطنه وبجميع قيمه الغالية.

## كـرب:

كنت أنزل في فندق على طريق «أيرلز كورت» وفي الصباح تناولت طعام الإفطار، وخرجت إلى محطة «مترو» الأنفاق القريبة؛ لأركب المترو، وأنطلق حيث أريد..

وأمام شباك التذاكر وقفت امرأة هدّتها السنون والأيام، قمحية اللون، مليحة القسمات، حلوة التقاطيع، ترتدي ما يشبه «الجيبة» أي التنورة، وعلى رأسها عقدت منديلاً كبيرًا أخفى شعرها تقريبًا، وبدت لي كامرأة تعمل في الإرساليات التنصيرية في مستشفيات بلادنا وجاءت هنا لتجلس في هذا الشباك في مدينة لندن.. حين رأتني علت شفتيها ابتسامة صدرت من داخلها، فزاد يقيني بأنها لا بد من «بلدياتي»..

في ذلك اليوم كان عليها أن تذهب لعمل ما... فاتفقنا على أن أنتظرها عند محطة مترو الأنفاق، على أن تقابلني ونمضي معًا نتمشى في شارع «أكسفورد»... ومحطة مترو الأنفاق الواقعة في طريق «أيرلز كروت» لا تقع تحت الأرض، بل هي كبقية محطات السكة الحديدية..

حضرت في الساعة الحادية عشرة، ووقفت أنتظرها يتخبطني القادم والذاهب في هوجة الزحام، وساورني قلق واضطربت حين فكرت في الذهاب وحدي إلى المصعد الشبيه بالغرفة المغلقة؛ لأن المصعد كان يمتلئ في التو بحشد المسافرين.. في الحقيقة لندن مدينة عجيبة، يتراءى لك في شوارعها كل أنواع البشر إلا الإنجليز: السود

والصفـر والشقر والبيض وهلم جرّا.. وبحسابات لندن كان صيف هذا العام شديد الحرارة ممـا جعل الناس يخففون من ملابسهم، فظهرت سواعـد الرجـال وأرجلهم إلـى الفخذين، وحتى صدورهـم وظهورهم كانـت عاريـة لا يسترهـا شـيء.. وبـدأت الأشـكال البشريـة واضحة – فاضحة – بأكملها.. يا لها من رعونة! ودهشت وأنا أشاهد ألوان الشعـر الذي يعلو رؤوس البشر: برتقالي.. ذهبـي ملتهب.. وردي على جميع الألوان، وبجميع الأشكال: المسترسل والمعقوص والمعقود.. وفي الآذان والرقـاب وعلى السواعد كانـت هناك أنواع متباينة الأشكال من الأقراط والحلقات والعقـود والسلاسل.. ولاحظت أن هناك واحدًا من كل ثلاثـة شبـان يرتدي الملابس السـوداء.. و«البنطلـون» واسع أشبه بالسـروال، والقميص منتفخ، والأكمام شمـرت حتى مفصل الذراع... هـذا إن كان هناك أكمام.. بينما الأظافر مطلية باللون الأسود والعيون مظللـة بالأسـود، وأحمر الشفـاه تحول إلـى اللون القاتـم القريب من الأسـود.. يا إلهي لم تعد عيناي بقادرة علـى التمييز بين الفتى والفتاة وكأنني في غابة تعج بأبناء «اللورد دراكولا» وبناته!

أخذت أروح وأجيء مع أمواج المسافرين هنا وهناك، وإذا بالمرأة المكلفـة بمراقبـة التذاكر في المحطة تشير إلـي، اعتقدت في البداية أنها تشير إلى أحد غيري، فتلفت حولي، إلا أنها ظلت تشير إلى ناحيتي وتحيـرت قليـلاً وترددت قبـل أن أذهب إليهـا.. فقالت لـي بلغة أردية «مكسرة»:

«هل أنت مسلمة؟».

«نعم».

«باكستانية أم هندية؟ أظنك باكستانية!».

«ظنك في محله.. أنا من باكستان».

«هذا البنطلون الذي تلبسينه ماذا تسمينه؟!».

«شلوار..».

«سلـوا ( نطقتها بالسين ) إنه يعجبني كثيرًا، كيف تلبسينه؟ أريني كيف تلبسينه؟».

قلـت فـي نفسي: لعلهـا تحاول أن تمـزح معي، فهـذه الإنجليزية لا تعرف من الشلوار اسمه ولا رسمه...

«كيف يمكنني أن أريك هذا أمام كل هؤلاء الناس».

«تعالي هنا داخل الكابينة».

ونجحت بصعوبة في إفهامها كيف تلبس الشلوار..

«إنـي أتوق من كل قلبي إلى ارتداء هـذا الزي، كانت جدتي ترتديه في زمن ما..».

«يمكن أن ترتديه إن أعجبك».

فأخذت نفسًا عميقًا، وقالت لي:

«لكني مكرهة.. فأنا أعيش هنا، ولذا يجب أن ألبس زي هذه البلاد، آه زوجك ليس معك اليوم أنا أشاهدكما معًا كل يوم، إنك تضعين (إيشاربًا) على رأسك أيضاً، لهذا تأكدت من أنك مسلمة.. هل تعرفين (الشهادتين)؟

«كل مسلم يعرف النطق بالشهادتين».

وتحيرت كثيرًا ماذا يهم هذه المرأة النصرانية من نطق الشهادتين؟!

«أسمعيني إذًا الشهادتين».

«لماذا؟!» سألتها بامتعاض.

«لأني مسلمة أيضاً..».

«أنت..؟».

«نعم.. ألا تصدقيني.. إن قلبي يتوق لسماع الشهادتين».

فنطقت أمامها بالشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.. وبدت وكأن عينيها امتلأتا بالدموع.. فراحت تعبث بأصابعها داخل شعرها القصير.. ثم قالت:

«قضيت حياتي كلها هنا.. فنسيت الشهادتين تدريجياً.. إني مسلمة.. نعم أنا مسلمة».

وانتابني شعور بالاهتمام بها، فسألتها:

«هل أنت باكستانية؟».

«لا يا عزيزتي.. لا.. أنا لست باكستانية.. لقد هاجرنا إلى هنا من أفريقيا الشرقية، بعد أن طردت الجالية الآسيوية من هناك».

«فكيف إذًا تعرفين الأردية؟ الأردية لا يتكلمها أحد في أفريقيا الشرقية».

«صدقت.. لكن أبي وجدي من (الكجرات) أبي كان شيخًا فقيهًا يعلم الناس شعائر دينهم، فقدم والدي بعد أن اصطحب جدتي معه إلى أفريقيا وتزوج في أفريقيا أيضاً، كان أبي رجلاً تقيًّا.. كان طيباً.. لقد علمني النطق بالشهادتين، وعلمني أمورًا كثيرة من أمور الدين، والآن نسيت كل شيء».

وانقبض قلبي..

«ثم ماذا حدث؟» سألتها ببرود.

انهمكت في الحديث معي والمسافرون يمضون يبرزون لها بطاقات اشتراكات في المترو الملونة والتذاكر، وهي تهز رأسها دون أدنى اهتمام..

«آه ثم ماذا كان؟ توفي أبي، وتوفيت جدتي هناك، وجئت مع إخوتي إلى هنا، تزوجت بشاب عربي مسلم، كان قاسيًا لم يكن يطعمني، بل كان يأخذ راتبي كله، إذ كنت أعمل».

«هل يمكن أن يحدث هذا في لندن أيضاً؟».

«لماذا؟ أليس في لندن بشر ككل البشر؟.. هنا أيضاً يحدث كل شيء.. جاءني منه ولدان.. الحمد لله كلاهما مسلم.. ثم طلقني وتزوج بأخرى، وأخذ مني الولدين، فوجدت نفسي فجأة وحيدة بلا مأوى وبلا عمل.. فعشت على راتب الإعانة الاجتماعية.. لم يفكر في أحد على الإطلاق، فإخوتي كانوا مشغولين بأنفسهم.. لم يفكر أحد منهم في أن يطيب خاطري بكلمة.. فجأة وجدت نفسي وحيدة تمامًا، والمرأة في النهاية امرأة تحتاج إلى عون الرجل.. إلى محبته وإلى حمايته..».

وسكتت وراحت تفكر قليلاً، ثم قالت:

«إنني أرتاح إليك كثيرًا.. أرتاح كثيرًا إلى كل من هو مسلم.. ففي النهاية أبي الحبيب كان مسلمًا.. إنني أستريح لفكرة ارتداء هذا الشلوار والقميص.. لكن للأسف لا يمكن أن أفعل ذلك، فلم أتعود على ذلك، كما أن هذا الزي لا يتماشى ولا يتناسب مع الوظيفة».

«هل تسكنين بمفردك؟».

«حين اعتصرني الألم ونهشتني الوحدة.. اهتم بي رجل.. طيب جراح الألم ومسح دموع الأسى، وشد من أزري، وكنت آنذاك مريضة، فقام على خدمتي، وتزوجته في النهاية.. لم يطلب مني تغيير ديني، أو تغيير اسمي.. فأنا حتى الآن (زينب) أخذني من أهلي، ولكن لم يطلب مني أن أعبد الأصنام، أوحتى ألبس كالهنادكة، في بيتنا أصنام الآلهة، ولكني لم أسجد لها أبدًا ولم أعبدها، تمر علينا أعياد الهنادكة

واحتفالاتهم، فأشترك فيها، ولكني أتمتع بكامل حريتي.. أفعل ما أريد، آكل اللحم خارج البيت.. فزوجي يحبني كثيرًا.. فماذا عساي فاعلة؟! الجميع يعرف أنني مكرهة، ولهذا لم يغضب مني أحد، فأنا مسلمة.. أنا لا أعبد الأصنام.. أنا آكل اللحم».

«هل عندك منه أولاد؟».

«عندي ولدان وبنت.. كلهم كبروا الآن».

«مسلمون؟».

«لا.. لا.. كيف يكون ذلك.. هم غير مسلمين هم على دين أبيهم، كما يكون الأب يكون الأولاد، أنا كنت مكرهة، هذا الهندوكي الذي يحبني أفضل من الزوج المسلم الظالم.. أليس كذلك؟! كنت أحتاج إلى معين... الله يعرف كل شيء، الله سيسامحني.. ولعلك لن تعجبي إذا عرفت أن إخوتي من المسلمين وأولادي المسلمين غضبوا مني كثيرًا، قالوا: إني تزوجت من هندوكي، ولهذا فأنا كافرة، وإنني سوف أحرق بعد أن أموت، وأظل محترقة أبدًا.. فخفت وارتعبت وظللت أبكي، وأبكي فرقَّ زوجي لحالي ووعد بأن يسلم جسدي بعد موتي إلى أهلي من المسلمين حتى أدفن كما يدفنون.. وحينئذ استرحت واطمأن خاطري وهدأ بالي وإلا فكيف وبأي وجه أقابل أبي يوم القيامة.. الآن أهلي من المسلمين استراحوا، وأنت أيضاً لا تقلقي فزوجي مقيم على وعده ولا بد أنه سيسلم جسدي بعد وفاتي لأهلي.. لن يحرقني كما يفعل الكفار بأجساد موتاهم».

وبينما هي تتحدث إذا بشاب قادم علينا..

«هـذا ابنـي (مـول تشند) له شقـة خاصة بـه يؤجرهـا للطلاب، ويحصل على عائد طيب».

عقد الشاب يديه أمامه، وحياني بتحية الهنادكة (نماسته).

«لا تقل: (نماسته) أنا مسلمة يا عزيزي...».

وتمنيـت من كل قلبـي أن أهرب بعيداً بعيـداً.. أن أهرب بعيداً عن هـذا الوحل البشري.. بعيـداً عن (مول تشند) و(نهـال تشند) و(آشا ديوي) الذين ولدوا في بيت (زينب).. وظلت أنفاسي مختنقة بداخلي، وأنا أردد بصوت مكتوم: يا إلهي! ما هذا الكرب!!.

# الابن والابنة..

للأديب: شمس نعمان

شمس نعمـان من كتاب القصة القصيـرة المعروفين، برع في فن القصـة واستخدم الرمـز في كتاباتـه، وقصصه تدور حـول المجتمع المحيط بنا وخلفيتها هي أيضاً المجتمع نفسه، وهو يجعل من الحقيقة مدعـاة للحيرة وقصة (الابـن والابنة والله) توضـح مأساة المغتربين فـي كل مكان في باكستـان، أو مصر أو في السودان أو في غيرها، وهي توضـح أيضـاً بعد قليل من التمعـن عناصر محبة الثـروة المتغلغلة في داخل الإنسان، تلـك العناصر التي لو غلبت على صلات الدم، وصلات الرحم فإنها توجد مأساة أخرى.

## الابن والابنة..

كان مديـر البنك يـود من كل قلبه أن يأخذ مـن الحارس بندقيته، فيطلـق عليه جميـع الطلقات التي وضعها في حزامـه الذي تمنطق به، وكان هـذا على الأقل هـو العقاب الذي ودّ لو وقعـه على الحارس جزاء له.. ففي الوقت المحدد تمامًا لانتهاء الدوام، وبدلا من أن يغلق البوابة الرئيسـة للبنك، أخـرج علبة الدخـان واتجه حيث أريكـة «كل خان»..

بينمـا دخل ثلاثة من العملاء إلى مكتبه، وراحوا في نقاش حاد وعراك بالكلمـات.. وفقـد صوابـه وكان قد فقـده أصلاً منذ الصبـاح... ففي الصباح دارت الأمور كالعادة على ما يرام وطبقًا لما يريد، وفجأة تذكر ساعـة يده التي لم يجدها في معصمه، لقد وضعها في مكان ما ونسي، وهناك كانـت زوجته صافيناز قد أعدت له طعام الإفطار ووضعته على الطاولة، أعدت له طبقاً لرغبته البيض المقلي والبليلة بالحليب.. وقبل ذلك بقليل وحين كان يعد العدة للذهاب إلى البنك كانت صافيناز تثبت له أزرار معطفه، وكانت قد اعتادت على القيام بذلك كل صباح، أما هو فقد اعتاد بدوره أن يمزح معها ويقبض بشدة على أناملها، قائلاً:

«صافينا، إنني جد سعيد داخل قيدك، فلا تحرريني منه، لو حدث هذا فاجعليني أسيرًا في قلاع عينيك..».

وتجيبه صافيناز بدلال، فيضمها إلى صدره في حب وحنان.. كانت صافيناز تعرف أن ما يقوله يخرج فعلاً من أعماق قلبه، فلم يمضِ على زواجهمـا إلا أشهر معدودات، ومع هذا فقد كانت تفكر وتحدث نفسها: «.. تلك الحياة التي عشتها من دون جاويد.. آه! كم كانت خاوية لا طعم لها.. كانت كبيت في خرابة ليس فيه مصباح..».

بعد أن انتهت صافيناز من تثبيت أزرار المعطف تذكر جاويد ساعة يـده التي لم يجدها في معصمه.. ثم ماذا حدث؟ قامت القيامة.. فقد قـرب وقت الذهاب إلـى البنك والساعة لم توجد بعـد، البيض المقلي علـى المائدة بـرد، فاستشـاط غضبًـا وراح وهو على هـذا الحال من الهيجـان يحرك عينيه هنا وهنـاك، ووقفت صافينـاز المسكينة، وقد

أصابهـا الرعب، فقـد كانت غارقة في سحر المحبـة، تطير فرحًا فوق النجوم، وفجأة وجدت نفسهـا، وكأنها ارتطمت بالأرض.. وأين يا ترى وجدت الساعة؟! لقد أخرجت من جيب معطفه!!

«ألم تستطيعي أن تبحثي عن هذه الساعة التعسة في جيب معطفي؟».

فـي البداية امتلأت عيناها بالدموع، لكنهـا لم تدرِ لماذا انفجرت ضاحكـة، واستمـرت في الضحك، أمـا جاويد فقد شعـر وكأنها تتهمه بالحمق فصب جام غضبه عليها، ولكنه حين نظر إليها شعر وكأن ربيع الأزهار قد حل على بستانها... وكان الوقت يمر بسرعة والبيض المقلي، هذا البيض الذي برد بث في ربيعه الذي أضاء كالصباح سمًّا، فلم يدرِ ماذا حدث له.. حمل طبق البيض المقلي وألقاه بشدة على الأرض:

«ألم تتعلمي كيف تعدين الفطور بطريقة طيبة؟».

«عليك أن تأتي بمن تعد لك الفطور بطريقة طيبة!».

كان جهـاز عرس صافيناز يتكـون – ضمن محتوياته – من أطباق غاليـة جدًّا، بالإضافة إلى السجاد العجمـي النادر لهذا شدها الذهول واحتواهـا الغضـب، فـكان جوابها سريعًـا، إذ شعـرت أن الطبق الذي تحطم لم يتحطم على السجاد، بل تحطم على جسدها..

- «نعم سوف آتي..».

قال هـذا واتجه من فوره دون تناول الإفطار إلى البنك، وقد استمر فـي البنك طوال اليوم، لكنه كان ينظر إلى عقارب الساعة المعلقة على

الحائـط أمامه في مكتبه.. كان ينظر ويترقـب: متى تشير العقارب إلى الساعـة الواحدة؟ ومتى يصل إلى البيت؛ ليصالح صافيناز؛ لقد خامره إحساس بــأن صافيناز ظلت قلقة مضطربة طوال اليوم، بل ظلت تبكي، وكان هذا الإحساس يؤذيه فلا يشعر بالراحة.. كان يمكنه أن يعود إلى بيته مبكرًا، لكن اليوم أول الشهر ووجوده في البنك ضروري جدًّا، فوجود المدير لازم من أجـل التعامل مع أصحاب الاعتمادات والحسابات، كما أن التعامـل في صرف النقود يكـون أول الشهر أكثر من الأيام العادية.. لكن هــذه المسرحيــة المضحكـة العجيبة حدثـت فجـأة، فحين كانت عقــارب الساعة تشير إلى الثانية عشــرة والدقيقة السابعة والخمسين، وحين بدأ جاويد يلملم أوراقه ويعطي أوامره للصرافين بترتيب الأوراق الماليــة تمهيدًا للتوقف عــن العمل بعد ثلاث دقائــق إذا بهؤلاء الثلاثة يدخلــون عليــه فجــأة، وكأنهم صاعقة حطـت عليه من السمــاء.. فكاد دمــاغ جاويد أن ينفجر، وتمنى من كل قلبــه أن يفرغ في الحارس جميع رصاص البندقية التي يحملها، فلو كان هذا الحارس الجلف موجودًا في موقــع خدمته لما تمكن هــؤلاء من دخول مكتبه في هــذا الوقت.. ولكن مــاذا يمكنه أن يعمــل الآن سوى إعداد نفسه لتمثيــل دور موظف البنك النموذجي، فيستمع إلى حديثهم، ويصغي إليهم بكل أدب واحترام.

كان من بين هؤلاء امرأة سمينة جداً شعرها مجعد بطريقة تدل على أنهــا زادت من استخدام أسطوانات لــي الشعر في صالون تجميل، كانت هذه المرأة قصيرة القامة، لكن صوتها كان ضخماً، وكانت نبراته حادة ومخيفة، وبينما تتكلم كانت تدير عينيها الصغيرتين هنا وهناك بطريقة كلهــا مكر ورياء، وكانت رقبتها قــد التصقت بكتفيها، وكأنها دكت فيهما

دكًّا، وحول هذه الرقبة وضعت سلسلة من الذهب مع عقد من اللؤلؤ، كان كفاها غليظتين، وفي أصابعها الصغيرة غاصت خواتم الذهب المطعمة بالأحجار الكريمة وفي كل معصم وضعت ست «أساور» من الذهب.

كان يرافقها رجل ضخم الجثة.. أخوها على ما يبدو؛ لأن هناك شبهًا كبيراً في ملامحهما، لكن لون بشرة الأخ أفتح قليلاً من لون بشرة أخته، كما كان أطول منها قليلا، إلا أنه أيضاً كان سميناً جداً، وكانت الأخت وهي تتشاجر معه تناديه أحياناً: تاج الدين وأحياناً تقول له: تاج وأحياناً: تاجو..

كان تاج أو تاج الدين أو تاجو قد استشاط غضباً واحتدم النقاش والشجار بين الأخت وأخيها، بل أدخلا أيضاً بينهما مدير البنك في سفسطتهما ونقاشهما العقيم، وحين تدخل توقف النقاش لحظات، ثم عاد الأخ وأخته مرة ثانية للنقاش وارتفع ضغط كل منهما، وبرزت العروق من تحت جلودهما وظهرت في صوتيهما حشرجة تحولت إلى مواء كمواء القطط الجوعى... كان معهما سيدة عجوز تبلغ السبعين أو أكثر نحيفة القوام تبدو داخل ملابسها البيضاء وعباءتها التي لفت بها رأسها ونصف جسمها العلوي تبدو ذابلة ضعيفة..

كانت سيدة هادئة صامتة، في يدها مسبحة وشفتاها تتحركان في حركات منتظمة مع تساقط حبات المسبحة الواحدة تلو الأخرى بين أصابعها.. كانت هذه السيدة هي أم تاج وإقبال بيغم. جلست في صمت شديد على الكرسي تنظر إلى ابنها وابنتها.. وكانا حين يصلان في جدالهما وعراكهما إلى أقصى حد تتدخل، قائلة بصوت خافت:

«يـا ابنتي، كل شـيء زائل، لماذا تتصرفون هكـذا.. كل شيء ملك تاج.. لماذا تتعاركان..؟».

«لماذا أترك هذا يا أمي؟ إنني صامت من أجلك فقط!!».

«وإلا.. فمـاذا يمكن أن تفعلي أكثر من هذا..؟ هل الظلم الذي وقع قليـل.. لماذا هذا معي؟ المبلغ الذي ظـل يوضع في البنك منذ زمان.. أخبرنا يا سعادة المدير، كم وصل الحساب حتى الآن؟».

أخرج جاويد دفتر البنك ووضعه أمامه، ثم قال بصوت عالٍ: «ثلاث مئة وخمسون ألف روبية وخمس وسبعون بيسة».

«لكن ما هو نصيبي منها؟».

«لقـد أخبرتك» رد المدير بلهجة كلها نفـور «هذا الحساب حساب مشترك بين إقبال بيغم ووالدتك السيدة حسن بيبي».

«اسمـع سيـادة المدير، هـذا ظلم..هذا امتصاص للدماء.. هذا سطو.. يا إلهي.. هذا ظلم هذا المبلغ كله أرسلته إلى أمي من الخارج، وقامـت هي بفتح الحساب المشترك مع إقبال بيغم.. يا سعادة المدير، سـوف أرفع قضية.. إقبـال بيغم ليسـت أختي إنها «حربايـة» إنها «أم أربعة وأربعين»!!!

سمعت إقبال بيغم كلام تاج الدين، فاصفر وجهها، صار كالكركم، وكادت أن تصرخ:

- «تاج! اخجل.. إنني أتفل على أموالك هذه، ها اليوم جاء صاحب الثروة.. اسأل أمك.. هل هي التي طلبت فتح هذا الحساب المشترك، أم أنا التي طلبت؟ اسأل أمك لا تنظر إلي، وإلا فتحت كل دفاترك وكشفت كل ما خفي».

ورفعت إقبال بيغم صوتها وهي تنطق بالعبارة الأخيرة حتى شدت انتباه جميع العاملين في البنك.

سقط جاويد في دوامة من الارتباك، فهذا أمر يتعلق بسمعة البنك الذي يديره، ماذا درى هؤلاء الناس خارج مكتبه بأن ما يدور من عراك إنما يدور بين أخ وأخته، ربما ظنوا أنه يدور بين أصحاب الحسابات والمدير نفسه... وقال المدير:

«انظري يا أماه، حاولي أن تفهمي، فالأمر واضح.. المبلغ كان يرسله تاج الدين، والحساب مشترك بين إقبال بيغم وبينك، ولهذا فالعلاقة كانت بين البنك وتاج الدين والبنك من ناحية لا يجيز إعطاءه أي روبية من هذا الحساب.. يا أماه، يمكنك بنفسك حل هذه المشكلة».

«يا أخي، هذا ما أقوله، الأموال أموالي، كنت أرسلها إلى أمي، فكيف حشرت الأخت نفسها بيننا وأصبحت شريكة في الحساب، هذا ظلم وإجحاف ولن أسمح بهذا الظلم أبدًا» ثم أردف قائلاً:

«يا سعادة المدير، إنك لا تدري.. إن الشركة التي عملت بها في قطر في مد أنابيب البترول تحرق مع الجسم الدم أيضاً، لو خلعت قميصي هذا وأريتك فسوف ترى كم من الجراح والحروق فوق جسدي وعلى ساعدي وفوق ركبتي..» ثم قال وهو ينظر إلى أمه:

«يـا أماه، لقد كـدت أفقد حياتي مرتيـن، وأنا أجمع هـذه الثروة، لقـد ضعت وسط هجير الصحراء» ثم صمـت وأخذ نفسًا، عميقًا وقال مخاطبًا المدير:

«يا سعادة المدير، أنا لم أجمع هذا المال من أجل أن يحقق إخوتي وأخواتـي أحلامهم فـي الحياة الرغيدة.. هذه قطـرات دم تريد إقبال بيغم أن «تشفطها» في حلقها.. لكني..».

«كفـى! أوقف هـذه الخطبة.. أنـت لست أول أو آخـر من اغترب عن بلـده، اسمع أنا أختـك الكبرى، من الخير لك أن تفكـر أولاً.. لنتحاسب، لقـد أعطيتك أربعين ألف روبية حتى تجهـز أوراقك للسفر، وأنا متزوجة وعندي أربعة أطفال.. وبقيت في الخارج سبع سنوات، كان طعام الأم، وما إلى ذلك على حسابي، مرضت وأصيبت العام الماضي باليرقان، وأنفقت علـى علاجها أربعين ألف روبية، شراء الملابـس، وخلافه بالإضافة إلى ذلك كل ثلاثة أشهر تقريبًا يموت أحد الأقارب، فأذهب مع الوالدة ونؤدي الواجب، وكله على حسابي... لا تخفني هكذا أمام مدير البنك».

«لكن الحساب لا بد أن يتم هنا، حيث وضعت الفلوس».

«يا أماه، لماذا أنت صامتة.. لماذا لا تتكلمين؟».

نظرت الأم إلى جاويد مدير البنك نظرات تحمل كل معاني الرجاء والتوسـل، ثم راحـت تنظر بحسرة ومرارة مرة بعـد الأخرى إلى إقبال بيغـم وتاج الدين وكانت عـدة حبات من سبحتها تتحـرك مجتمعة مع بعضها بين أصابعها، حين بدأت تقول:

«أنتما أولادي، كلاكما فلذة كبدي.. ابني وابنتي.. والله فوق.. كسب العمر كله.. ماذا عندي غير هذا؟».

وصمتت فجأة.. وبدأت حبات المسبحة تتساقط بسرعة بين أصابعها، وكان جاويد مدير البنك يريد أن يهرب بجلده، كان يعرف أن الأخ وأخته سوف يستمران في هذا الجدال العقيم، وكان يشعر أيضاً أنه إذا لم يصل إلى البيت لتناول طعام الغداء، فسوف تموت صافيناز من الجوع والعطش، وسوف يضطر إلى إرسال صافيناز إلى بيت أهلها لاسترضائها، فطالما لن تعود إلى طبيعتها، فلن تعود إلى البيت، ولن يستطيع أن يتحمل عذاب هذين اليومين أوالأيام الثلاثة التي تغيب فيها عنه لهذا عرض حلاً لهذا الخلاف كله.

«يا أختاه! يمكن أن تفعلوا هكذا.. أن تغلقوا الحساب، وتسحبوا كل المبلغ وتعطيه للأم.. وتسحب الأم ما لك وتعطي الباقي لتاج الدين، فيقوم تاج الدين بفتح حساب خاص به، فهذا المبلغ كان تاج الدين يرسله من الخارج وحسابه في البنك كله كان عن طريق الحوالات بالعملة الأجنبية، فهو لم يدخل أي مبلغ آخر غير ما أرسل عن طريق تلك الحوالات..».

«صحيح.. بالضبط.. ما قلته صحيح» أخرج تاج الدين علبة السجائر المستوردة مع قداحة مطلية بالذهب وأشعل سيجارته وهو ينظر ناحية أخته.. فسكتت الأخت ربما تحت إلحاح المصلحة..

«هيا يا أماه، أخرجي دفتر الشيكات؛ حتى يمكن أن نسوي حساباتنا».

فأخرجت الأم دفتر الشيكات من حقيبتها الصغيرة، وأعطته إلى إقبال بيغم فوضعته إقبال بيغم على طاولة المدير، وراحت تنظر بكل مرارة إلى الجدران الزجاجية للمكتب وتتفحصها من خارجها وداخلها.. نظرت إقبال بيغم إلى المدير نظرات كلها رعب، ثم ألقت بنظرة كراهية تجاه تاج الدين ووضعت دفتر الشيكات أمام الأم، وقالت:

«خذي أعطي كل ذي حق حقه».

وتقدم تاج الدين وأراد أن يضع القلم في يد أمه، فسقطت المسبحة على الأرض وانفرط عقدها ومال جسد الأم البارد، ثم هوى على الأرض، واسترد الله أمانته التي أودعها عبده.

# ثمن الحرية

للأديبة: عقيلة كاظمي

عقيلة كاظمي أديبة معاصرة، لها مكانتها في الأدب الأردي، عرفت بكتاباتها في فن القصة القصيرة الهادفة، وقصتها «ثمن الحرية» نشرت في أبريل ١٩٩٤م وكانت كشمير قد تعرضت وتتعرض لهجمات الهنود الهنادكة المحتلين، وهي حكاية فتاة من كشمير، جلست على شاطئ بحيرة «دل» في وادي كشمير وكتبت رسالة إلى أبيها في بلاد الغربة البعيدة.. ترى ماذا جاء في رسالتها..؟!

## ثمن الحرية:

كان الخطاب مفتوحاً أمام «نياز أحمد»، وكانت حروف كلماته قد بدت أمام عينيه وسط الدموع المتساقطة كأنها تسبح وسط ضباب كثيف.. سقطت الدموع على بعض الكلمات فمحتها، وكأن هذه الكلمات قد كتبت بالحبر.. جملة واحدة فقط ظلت تتردد في ذهنه مرة بعد مرة كأنها مطرقة: «استشهد جميع أفراد أسرتنا»..

طأطأ نياز أحمد رأسه.. كم طوى من منازل السفر؟! وإلى أي منها انطلق؟! ما بين مكان سحيق شديد الانحدار وآخر مليء بالأودية

الفسيحة التي تطاول من على البعد أفق السماوات.. كان إذا ما وقف في سفح هذه الأودية تراءى له قصر من السحب بني فوق قمم الجبال.. وكان حين يصل إلى قمة الجبل يطير فجأة قصر السحب إلى أعلى ويصير معلقًا في السماء.. هل كان ذلك سراب في سراب؟ هل كان ذلك خداع في خداع؟..

يذكر حديث الماضي، وكأنه سمعه منذ لحظات قليلة حين كان رضوان أحمد ونياز أحمد يجريان.. يقفزان في أودية «سرينكر».. كان بين الأخوين حب كحب العاشقين، لم يكن أحدهما يتحمل فراق الآخر ولو لحظة واحدة وكان الفرق بينهما في العمر لا يتعدى سنة ونصفًا، ولهذا بدا للناظر أنهما ولدا في يوم واحد..

كانت لهما مكانتهما في الأسرة، بل كان لهما حق النقض داخل الأسرة، وكأنهما دولة عظمى في الأمم المتحدة، فكانت الكلمة التي تصدر عنهما هي الكلمة القاطعة، لا نقاش بعدها.. ولم يصلا إلى مكانتهما تلك عبثًا، بل قدما في سبيلها العديد من التضحيات.. وضعا كفنهما على كتفهما منذ أن كانا في الثالثة عشرة وعاشا حياة كلها رجولة وشهامة..

في منطقة «نوربور» في عموم كشمير آلت حقول الزعفران كلها لأسرتهما، وفي حقول الزعفران تلك كانت حياتهما بكل مسراتها ومباهجها لكن والديهما استطاعا فقط أن يشاهدا بعيونهما فرحة ربيع ثلاث سنوات فقط، ثم راحا يرويان بقطرات دموعهما حقول الزعفران.. وكرّسا حياتهما لتربية ولديهما.. فزوجاهما وأقاما حفلاً لعرسهما ظلت الناس في الوادي تذكره مدة طويلة..

كان زواج رضوان أحمد من داخل الأسرة، أما نياز أحمد فقد تزوج من «ريشمان» وذابت صلابة الوالدين، كما يذوب الجليد تحت أشعة الشمس، وذلك من أجل سعادة الابن، فقد كان نياز أحمد معجبًا بريشمان.. كان شعر ريشمان الأسود ينساب خلفها، فتبدو كأغصان شجرة السنديان تنساب على عودها.. ووجنتاها كانت تضيء كشعلة من أزهار الجلنار المتوهجة، أما عيناها الواسعتان فكانتا في طرفهما حور.. وفيهما عمق يحوي جميع أسرار الكون.. وهكذا الحسن في كشمير، لكن حسن ريشمان كان شيئًا آخر فاق كل حدّ.. وهكذا أراد نياز أحمد أن يخفي دائمًا ريشمان عن أنظار الدنيا على الدوام، وهذا هو السبب الذي جعله يفرض على جميع أفراد عائلة ريشمان الالتزام بالحجاب الشرعي كاملاً..

بعد أن أكمل رضوان أحمد دراسته وحصل على شهادة الليسانس تولى أمر حقول الزعفران، أما نياز أحمد فقد حصل على شهادة المحاماة.. وولد لرضوان أحمد الذي تزوج من داخل الأسرة ثلاثة أولاد كبروا.. أما نياز أحمد فقد ظل أربع سنوات أوخمس من دون أولاد، مما أثار قلق والديه، وكانت أمه تقول بكلمات خفية:

«لقد نال نياز أحمد جزاء عصيانه».

لكن نياز أحمد كان نفسه سعيدًا بحياته مع ريشمان..

في الرابع من أغسطس ١٩٤٧م طلعت شمس الحرية.. وفي اليوم نفسه نزلت رحمة الله على نياز أحمد فرزق بطفلة.. ودخل الأخوان في حملتين متضادتين:

«الحمد لله، والشكر لله، فقد نال المسلمون حريتهم وبهذه المناسبة سوف أسمي ابنتي «آزادي» أي حرية.. قال نياز أحمد هذه العبارة بكل سرور».

«وأخيراً تم التقسيم..» وكان هذا رأي رضوان أحمد.

وصار الأخوان اللذان كان يضرب بحبهما المثل فريسة لموقفين متضادين.. كان نياز أحمد يعاند:

- «لنذهب إلى باكستان، ففيها العافية».

لكن رضوان أحمد كان يقول:

- «سوف نبقى في هذه الأرض، ونعيش على هذا التراب الذي ولدنا فيه».

كان نياز أحمد يدافع عن نظريته بأسلوب المحامين، مستعيناً بالدلائل الدامغة.. إلا أن أي دليل مهما كان لم يستطع أن يزحزح رضوان أحمد عن عناده قيد أنملة..

في تلك الأيام شاهدا معًا حرب سنة ١٩٤٨م إلا أن موقف رضوان أحمد لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر، وبقلب حزين ترك نياز أحمد نصيبه من حقل الزعفران لأخيه، وهاجر إلى باكستان.. كان فراق الأخوين صعبًا على قلب كل منهما، ومع هذا ودع كل منهما أخاه وهو يبتسم..

قدم نياز أحمد إلى باكستان وعمل بالمحاماة وذاع صيته وصار عضوًا في «البرلمان» ووصل إلى منصب وزاري.. ووهبه الله بعد ابنته

«حرية» خمس بنات.. وكان راضيًا بما قسمه الله له، بينما كانت ريشمان تشعر أحيانًا بالندم إلا أن نياز أحمد كان يقول لها دائمًا:

- «هذا رزق من عند الله.. هذه رحمة الله، ويجب ألا نكفر بنعمته.. هؤلاء البنات بالنسبة لي أعظم من أي ولد».

وقد كافأ رب العزة نياز أحمد على صبره وشكره، فصارت بناته شموسًا وأقمارًا: ثلاث منهن صرن طبيبات مشهورات، واثنتان الآن من أساتذة الجامعة والخامسة صارت مهندسة ووهبهن الله في الختام أخًا.. سبحان الله!

وهناك.. ولد لرضوان أحمد خمسة أولاد وراح يدعو الله أن يرزقه ببنت.. إلا أنها مشيئة الله.. استمرت المراسلات بين الأخوين.. وحين كانت الظروف تتحسن بين البلدين كانا يلتقيان، وإذا ما اضطربت الأحوال كانا يقومان بالمراسلة عن طريق لندن وأمريكا.

وبناء على رغبة الأخ رضوان أحمد زوّج نياز أحمد بناته الثلاث لأولاد أخيه.. مع أن أولاد رضوان أحمد لم ينالوا تعليمًا عاليًا، لكن كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لاستمرار المحبة وعلاقة القربى بين الأخوين.. لم تكن هناك قلة في المال أو الثروة.. وتزوجت أرم وكنول ونيلم.. وذهبن ليعشن هناك في كشمير جنة الله على أرضه.

كان نياز أحمد إذا حدث والتقى بأخيه يحاول جاهدًا، وفي كل مناسبة أن يقنعه بوجهة نظره:

- «الهنادكـة لا يمكنهـم التخلص ممـا في عقولهم مـن تعصب.. وربما يحملونك ذات يوم على الندم والحسرة.. يا أخي، الحمد لله على أنه لم يصبك أذى حتى اليوم.. تعالَ إلى باكستان..».

فيجيب رضوان من فوره:

- «إيه يا أخي! ما هذا المزاح؟ نحن في كشمير ثمانون بالمئة من السكان، والهنادكة يمثلون أقلية في كشمير، وهؤلاء المساكين يخشوننا دائمـاً.. انظر السكـر غير متوافر في جميع أنحـاء الهند، لكنه موجود بوفرة في كشمير، فالحكومة دائمًا تهتم كثيرًا بالكشميريين».

ويستخدم نياز أحمد طريقته في المحاماة:

«يـا أخي، إن ربيع الوطن الحر شـيء آخر، إنك مرفه الحال هناك بلا شك، لكنك تحت سيطرة الآخرين».

وينتبه رضوان أحمد، بل يفزع ويقول منفعلاً:

«اسمـع يا أخـي، لا تجعلني أطلق لساني بالـكلام.. ماذا فعلت لكم الحريـة أو مـاذا فعلتم أنتم للحفـاظ على الحرية؟! لقـد انشطر البلد إلـى شطرين.. ثم ماذا عن المعارك الدائرة بين حكامكم وزعمائكم.. لماذا لم تنتهِ بعد هذه المعارك؟! هل تذكر الجملة التاريخية التي قالها الكاهـن الهندوكي: لن أغير ملابـس الكهانة تلك، حتى تتغير الوزارات فـي باكستان.. يا أخي، أمركم عجيـب وعلى قول المثل: «يقرش قوالب السكر ويخاف أكل الكعك» فمن ناحية كراهية للهند، ومن ناحية أخرى

شرائط الأفلام الهندية تملأ كل باكستان وأصوات الأغاني الهندية يرن صداها في كل مكان.. بالأمس، وفجأة ذهبت إلى أحد محلات «الفيديو» وسألت بكل شوق عن فيلم باكستاني فراح صاحب المحل يحدق في من رأسي إلى أخمص قدمي، ثم هز كتفيه بطريقة كلها احتقار قائلاً: «لا.. لا.. نحن لا نضع هنا أفلامًا باكستانية.. وخرجت في حيرة من محل الفيديو.. ما هذه السياسة المتضاربة يا أخي، سياسة بوجهين أليس كذلك؟!».

وبعد أن سمع نياز أحمد خطبة أخيه تصبب عرقًا.. ربما كان عرق الندم، لكنه ظل يتغنى بوطنه الحالي.. باكستان..

كان آخر لقاء بينهما منذ سنتين.. ذهب رضوان إلى لندن لبعض الأعمال، بينما ذهب نياز لزيارة ابنته.. وبعدها لم يلتقيا.. بدأت أخبار الثورة تتوالى من كشمير، وتوالت أيضاً أخبار استشهاد الفدائيين.. وفي أثناء ذلك وصلت رسالة «نيلم» إلى أبيها...

والدي، يا أعز من روحي...

هذا آخر خطاب سيصلك مني، لكني قبل أن أتناول كأس الشهادة أود أن أخبرك بالتفصيل عن بلوغي هذه المرحلة.. مرحلة الشهادة، حتى يمكن للأجيال القادمة أن تقدر قيمة الحرية... فكشمير اليوم تحترق.. من حولنا عمارات تحترق، وأنابيب المياه تنفجر، وأعمدة الإنارة تتساقط في الشوارع، وأكوام من جثث المسلمين.. ورائحة الغازات السامة التي لا يمكن أن تحتمل مع دخان الغازات المسيلة

للدمــوع التــي تكوي الجفــون، انتشــرت في الجــو... واحترقــت حقول الزعفران، وسممت مياه الآبــار والجداول والبحيرات الجميلة وأشعلت النــار في أزهــار الجلنار، أما ثمار التفاح والكمثــرى التي لم تنضج بعد فقد ذبلت، وكأنها رؤوس انحنت من الغم والهم داخل مأتم حزين...

والدي العزيز..

يــداي ترتعشــان، كلماتي وعباراتي غيــر مترابطة، لكنــي لا بد أن أسمعك الحكاية..

جارنــا «لالــه شنكر ديال» الذي كنا نناديه دائمًــا بالعم، وكان حتى آخر لحظة يهدئ من روع عمنا رضوان، بل كان بنفسه يصب اللعنة على حكومته ويروح يلقي الخطب ضد ظلم الحكومة... إذا به ذات ليلة يقوم بإرشــاد العساكر الهنادكة إلى مواقعنا وملاجئنا.. والعم رضوان الذي كان دائمًا يتغنى بمحاسن الحكومة الهندية، وكان من أهم المجاهدين فــي حــرب التحرير.. كان يمــد المجاهدين بالأسلحــة وكان يقدم لهم الملاذ أحيانًا وهكذا كان في «بدروم» البيت أسفل الطابق الأول قاعدة للفدائيين..

كان «لاله شنكر ديال» يشعر بهذا الأمر وذات يوم كان أحد الأطفال الصغــار يلعب، فاقترب من بيته فراح يستدرج الطفل ويسأله ويستفسر منه.. وفي الليل بدأ مهد حريتنا يهتز على وقع أحذية العسكر الهنادكة.. قبضوا على العم رضوان وقاموا بقتله أمام أعيننا.. وانطلق المجاهدون المختبئــون، فهجموا على جنــود الكفر، وتمكنوا منهــم جميعًا.. إلا أن

الظَّلمة تمكنوا من معرفة بيوت المجاهدين كلهم وأخذونا نحن الأخوات الثلاث إلى حيث كنا قضينا شهر العسل بعد الزواج.. ماذا أخبرك يا أبي، عما ارتكبوه معنا.. أخذونا على حجرة مثل الصالة الكبيرة.. وظل رجل مثل أولئك الذين يعملون في مزادات الأسواق، ظهر على ما يشبه خشبة مسرح وراح يدق جرسًا، ويقول:

«يا أبناء القنبلة الذرية! اليوم هزمنا سرينكر.. اليوم فتحنا سرينكر.. واليوم أيضاً هزمنا كشمير كلها.. وبهذه المناسبة السعيدة يعقد هذا المزاد.. مزاد ربما لم تروا مثله في حياتكم.. انظروا الآن وأفرغوا كل ما في جيوبكم..».

قال هذا وراح يدق الجرس بشدة، ويشير إلى الناحية الغربية من خشبة المسرح وبناء على إشارته انفتح الباب الغربي وأحضروا طابورًا من الفتيات الكشميريات المسلمات.. ثم بدأ النداء:

البنت بعشرة روبيات.. البنت بساعة يد.. البنت بعلبة سجائر فضية.. وفجأة خرج جندي ينتمي إلى طائفة السيخ من وسط الزحام، وصاح قائلاً:

- «يا أصدقاء! لا تعيدوا الآن هذه المسرحية الخطيرة مرة ثانية، أتوسل إليكم باسم الإنسانية، باسم التاريخ.. إن هذا المزاد لا يمكن أن يقام، مزاد كشمير هذا لا بد أن ينتهي الآن كما انتهى مزاد جنكيز خان في السابق، ومثلما انتهى أيضاً هولاكو، ومثلما انتهى الروم واليونان ومثلما انتهى مزاد ١٩٤٧م، سوف تعيش بنات كشمير.. وينتهي هذا المزاد».

وجه الجنود الهنادكة أفواه بندقياتهم ناحيته، لكن الجندي السيخي استمر في الحديث:

- «لقد قرأت تعاليم «كرنته» فهو يقول: الإنسان الطيب لا بد أن يحفظ للمرأة عزتها؛ لأن المرأة أم وأخت وابنة.. المرأة هي عزة حضارتنا وثقافتنا، وقد قال هذا أيضاً معلمنا كرونانك..».

وبينما استمر الجندي السيخي في كلامه انضم إليه بعض الناس، إلا أن «جنرالاً» أصلع الرأس خلع غطاء رأسه، وأصدر حكمه ضد الجندي السيخي قائلاً:

- «أحرقوه.. ألقوا به في الخارج..».

لكن الشهامة كانت قد أخذت من الجندي السيخي مأخذًا فلم يتراجع عن موقفه، وقال بلهجة كلها ثقة:

- «لن أتزحزح من هنا؛ حتى توقفوا هذا المزاد.. إنني أتذكر تاريخي جيدًا.. لم يمضِ خمسون عامًا حتى غرر بنا وخدعنا، فأظهرنا شجاعة زائفة سنة ١٩٤٧م، فحطمنا بوحشية أزهار الزعفران.. لكن الخالق عاقبنا، فنحن اليوم نخوض أيضاً حرب حريتنا مثل الكشميريين، لكننا لم ننجح للأسف..».

وفجأة سمعت طلقات عيارات نارية في الصالة، وبدأ جسد الجندي السيخي العريض الطويل يرتعش وقُيِّد بالحبال، وشدوا رقبته إلى ناحية، وراحوا يلفون حول جسده الحبال وهو يتلوى، بينما ارتفعت

أصوات قهقهات وحشية في الصالة، وبدأت بقع الدم تتساقط فوق خشبة المسرح إلى أن وصلت إلى بساط الصالة، فصار بلون الدم.. بينما راحوا يعدون الفتيات اللاتي ربطن بالحبال كحبات مسبحة..

أبي..

ظهرت على شفتي ابتسامة كبرياء.. قلت في نفسي: أنحن حيوانات أم نحن أوراق «كوتشينة»؟... نحن عرض كشمير وعزتها.. نحن شرف كشمير ونخوتها.. يمكن للعدو أن يستولي على كل ركن من أركان كشمير، لكنه لا يمكن أن يستولي على قلوبنا.. وطالما قلوبنا حرة ستظل كشمير حرة.. لا شك أن النهار الآن ظلمة حالكة، لكن فيه نجوم منتشرة هنا وهناك.. ولن يتمكن الهنادكة أبدًا من الفوز بكشمير.. فكشمير اليوم ثائرة..

أبي..

كان ثمن حريتي مئة روبية فقط.. وأنا الآن أجلس على لوح خشبي في البيت المحترق، أكتب إليك بقلم حبر سقط من جيب جندي هندوكي منحوس.. أكتب إليك هذا الفصل من فصول الحرية، وسأحاول بطريقة ما إيصاله إليك.. أدعو الله أن يوفقني في محاولتي هذه.. آه لقد تذكرت، سوف أرسل أختي الكبرى نسيمة إلى لندن؛ لعلها تصل إليك وبعدها سأسلم نفسي إلى بحيرة «دل» حيث كنا نتفسح فوق رمال شطآنها الحمراء.. وحيث كنا نشعر بالقمر، وهو ربيع يتأرجح فوق سطح البحيرة.. حيث ظلال أزهار الجلنار.. حيث كانت حقول الزعفران..

أبي الحبيب..

لن يكون لي قبر، لكن روحي ستظل حية في كشمير مع أن أحداً من أفـراد عائلتي لم يبقَ على قيد الحياة، لكـن ندعو الله أن تبقى كشمير حية خالدة.

توقيع

ابنتك الشريفة الطاهرة

كان نياز أحمـد قد جلس وطأطأ رأسه.. وكانـت عيناه مغرورقتين بالدموع، ولكن ظهرت على وجهه ابتسامة..

# تفاهم

للأديب: محمد سعيد شيخ

محمد سعيد شيخ من الأدباء الذين يعالجون في قصصهم القضايا الاجتماعيـة من زوايا مختلفة، وهدفه فـي قصصه أن يعبر بصدق عن الحقائق الاجتماعيـة، وهو يحاول إبراز الجوانب الإيجابية في المجتمع من خلال التركيز على القيم الصحيحة مما جعل لقصصه مكانة بارزة فـي الأدب الأردي، وقصة «تفاهم» صورة معكوسة على مرآة محدبة لما قد يظهر فـي المجتمع من انحرافـات، والكاتب يمسـك بأسباب القلق داخـل المجتمع ويحوله إلى صورة إيجابية، فالحقائق الاجتماعية والمد والجزر في الفكر الإنساني من ميزات هذه القصة إن لم تكن شاهدًا على براعة أديبنا المعاصر محمد سعيد شيخ من مدينة لاهور بباكستان.

## تفاهم:

بـدأت المسيـرة.. وضمت فـي معظمها أولئـك الناس الذيـن شاهدوا الواقعـة، مرت في الحواري والأسواق ووصلـت إلى الشارع الرئيس، فضمت إليهـا كثيرًا مـن الناسـ، بالإضافة إلى مـن رأى الواقعة ومـن سمع عنها، وصـارت هذه المسيـرة أكبر مسيرة فـي تاريخ هذه القريـة.. كان هذا في

الأصـل احتجاجًا علـى واقعة حدثت في الصبـاح إلا أن الاحتجاج ضمّ بين طياته أناسًا من كل الأنواع، أناسًا لا علم لهم أصلاً بالواقعة، ولكنهم يحملون بداخلهم مشاعر الاحتجاج.. فانضموا إلى المحتجين وتظاهروا معهم.

في هذه البلدة خرجت قبل مسيرات في مناسبات دينية أواحتفالات قومية إلا أن هذه أول مسيرة من نوعها يخرج فيها الناس احتجاجًا على الظلـم والإجحاف، كان هذا هوالاحتجـاج الأول من نوعه، ولم يكن هو أول ظلـم أو أول إجحـاف وقع بحـق الناس.. فكم من ظلـم.. وكم من إجحاف تعرضت له البلدة: «نوران» اختطفت من السوق في «عز النهار»، اختطفهـا بعضـ الملثمين، ولا يزال أبوها يدور فـي الحواري والشوارع يقـول: إنها موجودة في «دوار العمدة» الكبير في القرية المجاورة، ومع هذا لم يعثر لها على أي أثر يذكر.. ولا يزال صوت أبيها يبح من النداء على ابنته (انضم والد نوران إلى المسيرة وكان أول من ألقى بالحجارة على مدخل السكة الحديد).

ولا تـزال أرملة «غلام رسـول» الشابة على قيد الحياة أيضاً، وكانت ضمن المسيرة، وراحت تنظر إلى ذلك المستشفى الذي توفي فيه زوجها – أبو أولادها – نظرات كلها غضب وثورة، فلم يجد الزوج المرحوم العلاج ولا الدواء في الوقت المناسب، فظل يعاني ويقاسي حتى توفي.

وفي الميـدان الذي وقف فيه الناس يصيحـون ويهتفون بكل عزم، وقبـل أيام لقي الفتى الناضر ابن فاطمـة تشبوري حتفه تحت عجلات عربـة النقل الضخمة التي سحقـت عظامه، وقام والد السائق، فجعلها توقـع علـى أوراق تنازلها عـن القضية في مخفر الشرطـة مقابل ورقة

مالية فئة المئة روبية.. وفي هذه المسيرة أيضاً اشترك جمال دين وهو فلاح سلبه أحد الإقطاعيين أرضه وأكثر من هذا رفع قضية ضد أولاده الثلاثة، واشترك أيضاً في المظاهرة «داتانائي» الذي قام جاره بتهريب زوجته ولم يتمكن «داتانائي» من إقامة دعوى ضده حتى الآن.

مثل هذه الوقائع وغيرها حدثت من قبل إلا أن المسيرة خرجت لأول مرة، ولأول مرة يبدر من الناس رد فعل جماعي.

ربما كان سبب هذه اليقظة التي ظهرت في البلدة قرب انعقاد الانتخابات التي ستعقد لأول مرة منذ مدة طويلة، فتذكر الناس آلامهم ومآسيهم التي تناسوها قبل، إذ فهم أهل القرية من أول يوم وقبل أن يكتب تاريخ بلدتهم أن الظلم – الذي تعرضوا ويتعرضون وسيتعرضون له – قدر من الله، وأنه مشيئة الله، فرضوا به، وكانت خطبة مولوي عبد القدوس خطيب المسجد الجامع مؤثرة تماماً، وكان صوته لحنًا داوديًّا بينما ينشدهم دائمًا أشعار العلامة محمد إقبال، كم من مرة راح يقول لأهل القرية:

«المصيبة والبلاء امتحان للعبد من ربه، ومن يتحمل هذا الاختيار هو في الأصل المسلم، وهوالرجل المؤمن الذي وصفه العلامة إقبال في شعره.. وإن الله مع الصابرين».

ثم يقول:

«لا يمكننا أن نحارب المقدر أو نتصارع مع ما كتب علينا، والتسليم بمشيئة الله يرقق من طبع الإنسان، ومرة بعد مرة وبالتدريج يصبح

البلاء سهلاً محتملاً والتاريخ يخبرنا بذلك وحكيم الأمة العلامة إقبال يقول:... «ثم ينشد مولوي عبد القدوس أشعار إقبال برقة شديدة..».

إلا أن مسيرة اليوم تبدو، وكأن الناس يريدون أن يصدروا حكمهم بأنفسهم أو يقرروا مصيرهم بأنفسهم... لم يكن للمسيرة زعيم أو قائد كما راح كل إنسان يهتف بما يشاء وكما يشاء، وحين وصلت المسيرة إلى الشارع الرئيس بدأ الناس يهتفون: أوقفوا «البلطجة».. أوقفوا الشغب والفوضى.. أوقفوا الظلم.. وتوقفت حركة المرور من جهتي الطريق... اشنقوا «شيدا» اعدموا «شيدا»..

وخرج خلق كثير من الحافلات والسيارات الخاصة، وسيارات النقل الصغيرة التي توقفت على جانبي الطريق، وراحوا يشاهدون ما يجري أمامهم.. بدأ المشاركون في المسيرة يحطمون إشارات المرور، بينما قام آخرون بوضع الإطارات في الشارع وإشعال النار فيها، وبدأت أعمدة الدخان ترتفع وتظهر من بعيد، ثم جاءت الشرطة وبدأت تحاول تفريق الناس بضربهم بالعصي والهراوات.. فتفرق الناس وعاد المرور في الشارع، كما كان عليه من قبل..

في هذه المسيرة اشترك والد زينب أيضاً، زينب التي حدثت واقعتها صباحًا.. تفرق الناس وانتهت المسيرة، ووجد أبوها نفسه وحيداً واقفاً على «كومة» من القاذورات على جانب قناة مائية صغيرة تنساب على طول الشارع. وراح يشاهد بتعجب وذهول منظر الناس، وهم يتفرقون والدخان يتصاعد أعمدة في السماء.. وكذلك منظر فوضى المرور وربكته الشديدة..

راح «بركـة» يفكـر، وهو يقف بيـن كومة القاذورات متـى بدأ يحلم بتعليـم ابنته زينب؟ كان يملك عدة قراريط من الأرض... لا يدري متى ومن أين جاءت إلى ذهنه فكرة أن التعليم يميز بين الإنسان والحيوان، فكلاب السادة في قريته وما حولها تعيش حياة أفضل من حياته، ولهذا فكـر أن يرفع من شأن ابنتـه الوحيدة زينب، فيتيح لها فرصة التعليم.. وعارضته أم زينب، وقالت:

«يـا هوه.. يا هوه! عشنا وشفنا البنات يتعلمن.. صديقات زينب في استعداد الآن للزواج وأنت يا بركة، ترسلها إلى المدرسة.. أتظنك تعمل منها معلمة؟!».

وكان بركة يبتسم لحديثها، ويقول:

«يا جاهلة.. امرأة والأدهـى والأمرّ جاهلة.. ماذا أدراك بأن العلم قد ارتقى وتطور..؟!».

كان بركـة قـد سمـع حديـث الأستاذ محمـد دين عن رقـي العلوم وتطورهـا، وسمعه أيضاً يقول: إن المـرأة الآن وصلت حتى إلى القمر.. ونساؤنـا تراهـن كالخارجات من القبـور..! والأمة التي تكـون نساؤها جاهلات لا يمكن أن ترقى وتتطور..

هكذا قـرار الأستاذ محمد دين وكلام الأستاذ محمد دين بالنسبة لبركة كلام مصدق «لا يخرّ منه الماء» وكان بركة الذي نال كل معارفه وتعليمـه دون مدرسـة يرجـع فضـل ذلك لأقـوال الأستـاذ محمد دين وأحاديثـه، فماذا يمكن أن تفهم زوجتـه الجاهلة هذه ما يقوله الأستاذ

محمد دين؟! ولهذا قام بركة بالاهتمام بتعليم ابنته، حتى حصلت على شهادة الثانوية وبعدها ألحقها بالمعهد – في البلدة الكبيرة المجاورة لبلدتهم – الذي يعدها للتخرج للعمل مدرسة.. ومرة أخرى تصيح أم زينب نادبة حظها:

«لقد صارت البنت شابة يا بركة! زوّجها.. هذا هوأطيب عمل.. زميلاتها الآن في أحضانهن ثلاثة أو أربعة أطفال.. ماذا يفيدها العمل مدرسة؟!».

بين كومة القاذورات راحت كلمات الزوجة تتردد في أذنه، فانتبه فزعًا.. بينما كانت المسيرة قد تفرقت وعاد المرور إلى ما كان عليه كأن أحدًا لم يهتم بما دار حوله منذ قليل.. كانت الإطارات لا تزال تحترق في الشارع، وراح بركة يجر أقدامه، وكأنه يعد خطاه متجهًا ناحية البيت.. فهو يعلم أنه سيجد في البيت زوجته تلطم وجهها وتندب حظها، فقد كانت تعده المسؤول عما حدث لزينب؛ لأنه هوالذي أرسلها للتعليم..

دخل البيت، فوجد الصمت يخيم عليه، كان (كالمقبرة) التي دفن فيها أحد الموتى منذ لحظات.. كانت زينب ترقد في الحجرة الخلفية وأنفاسها تخرج منها بصوت مسموع يعلو، وينخفض، بينما رقدت أمها بطريقة معكوسة على السرير الخشبي القابع في صحن البيت وكانت قد أوصدت مزلاج الباب من الداخل؛ حتى لا تسمح للمتعاطفين معها القادمين للاستفسار عن حالها بالمزيد من إقلاقها ومضايقتها.. أما زينب التي كانت حتى هذا الصباح تعد نفسها ملكة جميع الكائنات، فقد

راحت تتحرك هنا وهناك، وهي تخفي وجهها، كانت تظن أن مباهج الحياة تخرج من أنفاسها وأن الهواء لا يمس إلا جسمها، وأنه يلاطف فقط شعرها ويهفّ ملابسها، وأن جميع ألوان الورود ظهرت لها وأن السحاب يمضي ويمطر من أجلها والطيور تغرد والعصافير تشقشق لها والسماء واسعة زرقاء فقط؛ حتى تراها هي دون سواها.. كانت تقف في بيتها الطيني مساء أيام الصيف تتطلع إلى البيوت البعيدة وتنظر إلى خضرة الحقول وتتطلع إلى السماء، وإلى الجبال العالية ثم تنشر ذراعيها ويتمنى قلبها أن تحتوي جميع الكائنات بين أحضانها، وحين تنام مع أمها في الليل تروح تضم أمها أحيانًا بشدة، فتصيح الأم وتصرخ:

«ما لك يا بنت..! لماذا تطبقين علي هكذا؟ آه عظامي لم تعد بهذه القوة التي تتحملك».

ثم تقول لبركة في اليوم المقبل:

«عليك أن تزوج زينب بسرعة.. البنت لا يمكن أن تسيطر على شبابها..».

فيضحك أبوها..

«لم يحن الوقت بعد.. لقد أصبحت الآن مدرسة.. اتركيها تعلم الأولاد، يقول الأستاذ محمد دين: إن التدريس أعظم عبادة».

كانت زينب حين تمشي ذاهبة إلى المدرسة تحرك أقدامها، وكأنها تمشي فوق النجوم، ألبسها والدها العباءة والبرقع، إذ كان عليها أن

تختــرق السوق فــي ذهابها وإيابهــا... كان بيت «شيــدا» يقع في طريق زينــب، فكان يستعــد وقت ذهابها إلى المدرســة، فيقف على باب بيته، ويحاول أن يلفت نظر زينب إليه بشتى الطرق، ووصلت محاولاته أحيانًا إلــى حد اعتراضـ طريقها أو الدندنــة وإصدار صفيــر خافت.. كانت زينــب لا تعير أحــدًا أي اهتمام، فهي ترى أنه لا وجــود في الدنيا لأحد سواهــا وشيــدا بالنسبة لها لا وجــود له، فكيف تعيــره اهتمامها.. هذا بينما أصدقاؤه يسخرون منه ويهزؤون:

«يا صاحبي.. هذه الفتاة لا تلتفت إليك، ولا تقدرك حتى قدر قشة.. يــا صاحبي، إنها لا تهتم حتى بوجودك.. ما فائدة تجولك هنا وهناك؟ ما فائدة ملابسك المكوية وهذا العطر الفواح..؟!»..

وكان شيدا المسكين يسمع ما يقال، وما يصدر من أصحابه، ويرى سخرية رفاقه فيصيبه الخجل، ومرة قال له أحدهم:

«انظــر يا صاحبي.. آه لو استطعت أن تنــزع عنها البرقع، فتكشف وجهها لكل من في السوق...».

وأخذته النخوة والرجولــة، وأخذته العزة بالإثم، وفي وسط النهار سار بجوار زينب ثم تقدمها... وفي اليوم المقبل تجرأ، فقال لها بصوت منخفض:

«إذا لم تنزعي عنك نقابك فسوف نرى...».

لكن زينب لا ترى أحــدًا ولا تهتم على الإطلاق بشيدا، وهي تحتاط

منــه كما تحتــاط حين تشاهد بعض المياه الوسخــة ملقاة في الطريق، فهي تتذكر دائمًا كلمات أبيها التي يسمعها من الأستاذ محمد دين:

«حين يكون الإنسان متعلماً مثقفاً لا يمكن أن يناله أي عيب».

وكان يوم الوقعة.. مضى شيدًا يمشي بجوارها وخاطبها، قائلاً:

«أقول لك: أرني وجهك.. لقد تراهنت مع أصدقائي».

وزينــب لا تهتم بما يقــول، كأنها تسمع شحــاذًا يتابعها يطلب منها صدقــة.. ثم تقدم شيدا إلى الأمام وفي وسط ميدان السوق قبض على ذراع زينب، وأوقفها:

«ألا تستطيعيــن أن تريني وجهك؟! مــاذا تظنين نفسك؟ انظري.. انظري..».

وسحب شيدا النقاب من فــوق رأسها، فانكشف وجه زينب، وانحل عقــد شعرها، فانساب على كتفيها وغطى ظهرهــا.. وراح شيدا يحدق فــي وجههــا، ثم ألقــى بالنقاب في غضــب على الأرض، وصفعها على وجهها بشدة، وانطلق دون أن يقول كلمة...

حــاول كل مــن شاهد هذه الواقعة فهم ما حــدث.. لكن دون جدوى حتــى زينب نفسها لم تــدرِ كيف حدث ما حدث، وشعــرت بالخدر على وجنتيهــا، وعلــى لسانهــا أحست بطعم الــدم، وتقدم أحدهــم، فوضع النقاب على رأسها ولم تتذكر بعد ذلك شيئًا.. من أخذها إلى البيت؟.. ومن هذا الميدان.. ميدان السوق بدأت مسيرة الاحتجاج...

أثمـرت مسيرة الاحتجاج عـن إدراج قضية احتجاج ضد شيدا وتم اعتقالـه، وعرضه على المحكمـة المحلية ورفض الإفـراج عنه بكفالة وشاع خبر القضية بكل تفاصيلها في أنحاء البلدة وشاعت حكايتها على كل لســان، وكان ذكرها خارج بيتهـا بالقدر نفسه الذي ذكرت به داخل بيتهـا، وهكذا وضعـت زينب نفسها فـي سجن اختيـاري داخل البيت، وامتقـع لونها وغطتهـا سحب الحـزن القاتمة وعمَّـت الظلمة، وراحت تخشى الخروج من عتبة دارها.

حيـن رفضت المحكمة العليا أيضـاً الإفراج عن شيدا بكفالة ساور القلـق والديـه، وأصدقاؤه بـدؤوا يشاهدون شيدا بيـن قضبان السجن مقيـد اليدين.. وذات ليلة قام والده ووالدتـه وأصدقاؤهم بتشكيل وفد اتجه إلى بيت بركة والد زينب.

أجلسهـم بركة في صحن الـدار، كان من بينهم بالإضافة إلى والد شيـدا ووالدته بعض معارف بركة منهم مولـوي عبد القدوس والأستاذ محمد دين أيضاً.. بدا هبة الله – والد شيدا – الحديث، فقال:

«أخـي بركة.. نحن في منتهـى الخجل والإحراج ممـا ارتكبه ابننا شيدا في حق ابنتكم زينب، وعلى كل حال فهو ليس بالولد السيئ، لكنه متهـور قليلاً، لقد جئنا نطلب منـك العفو، والصفح عما بدر منه.. لقد كان السبـب الأصلي في هذه الشقـاوة أصدقاؤه.. لقد خدعوه وعلى كل حال فنحن آسفون، وزينب كما هـي ابنتك ابنتنا أيضاً».

ظـل بركة وزوجته صامتين لم يـدرِ أحدهما ماذا يقول وهنا راحت أم شيدا تربت على ظهر أم زينب، قائلة:

«وأنـت يا أختـاه.. اعفي واصفحـي عن ابنـي، فالمسكين قابع في السجن منذ شهر بأكمله..».

واغرورقت عينا أم زينب بالدموع:

«انظـري إلى حال ابنتنا أيضاً.. لقـد بدأت تخاف حتى من النور.. لم تعد لها همة على الخروج من البيت.. لقد تحطم مستقبلها تماماً».

«نحن نقدر مدى حزنك يا أختاه! فنحن أيضاً أصحاب بنات، ولهذا فـإن كنا جئنا نطلب منكم العفو، والصفـح فإننا نطلب منك أن تجعلي من زينب ابنة لنا بحق وحقيقة..».

ووضع هذا الاقتراح الـذي قدمه والد شيدا بركة وزوجته في حيرة بدت علـى وجهيهما، وهما يستمعان إليه، وبينمـا هما على هذه الحالة تقـدم أحد أصدقاء بركة ويدعى فقير محمد صاحب محل لبيع الحليب فقال:

«أخي بركـة، إذا كان النصيب قد كتب اسم زينب وشيدا معًا، فلنا أن نعـد هـذا من عنـد الله ونقبل به وفي هـذا عزة لنـا.. أليس كذلك ياشيخ؟!».

«بلى، صحيح، فقير محمـد، صحيح!! لله في كل أمر حكمة، ونحن لا يمكن أن نعارض التقدير الإلهي، ثم إن العفو من أطيب الأمور، والله يحب العافين كما أن العلامة إقبال أيضاً قال: ...

لكن بركة لم يصبر حتى يكمل المولوي حديثه، فقاطعه:

«لكن يا فضيلة الشيخ، نحن لا يمكن أن نري وجهنا لأحد الآن..».

«ولهـذا، فقد أصبح هـذا الأمر ضروريًّا يا أخي بركة، إن ما يحدث في هذه القضية مـن مرافعات وغير ذلك من أمور مخجلة يصيب أهل الفتـاة أكثـر، وإذا مـا وقع عقـاب على شيـدا وصدر حكـم ضده، فهل يرجـع لك هذا عزتك؟ ثم ذهاب زينب إلـى المحكمة ودفاع المحامين والمرافعـات ومـا إلى ذلك... مـاذا يفيدك كل هـذا؟ فالولد ولد ماذا تفرق معه..؟ فقط اسم ابنتك ستلوكه الألسنة»، جاء كلام عمدة البلدة دليـلاً على صحة الـرأي السابق وكان له وزنه فـي الجلسة، فراح بركة يبحث عن رد وراح مع زوجه في تفكير عميق، بينما عادت أم شيدا مرة أخرى تستعطف أم زينب:

«فكـري يا أختـاه.. شيدا ليـس بالولـد السيئ، ما شـاء الله شاب كسيـب... له نصيـب من أرض والده ثم هو معجـب بزينب أيضاً؛ لهذا دفعتـه عاطفتـه القوية لارتكاب تلك الحماقة، ثـم البنات هذه الأيام لا يجدن من يتزوجهن، وزينب بالنسبة لكم ستكون مشكلة كبيرة».

كانت زينب تجلس في غرفة أحكم إغلاقها بجوار صحن البيت الذي يشهـد تبادل الحديث عـن موضوعها، وكاد رأسهـا ينفجر وهي تحاول فهـم مقصـد كل هذه الأحاديث التـي تدور في الخـارج.. كل ما فهمته على أكثر تقدير أن ما يدور من حديث يتعلق بها سواء كان الحديث عن السماء أو عن الأرض، فهي لا تدري شيئاً..

«لكـن ماذا سيقول النـاس؟!» خرج هذا السؤال مـن فم بركة كأنه الصراخ؛ ليعبر عما بداخله من ألم متمكن.

«ما لك والناس يا بركة، اترك الناس فهم الآن أيضاً يثرثرون!.. ألم تسمع؟! وإذا لم تسمع فهذا أطيب»!.

«هل يمكن لأحد أن يغلق أفواه الناس أو يسكت ألسنتهم؟!، ثم إن هذه الواقعة حديثة والناس هنا سوف ينسون كل شيء..».

توقف عقل بركة عن العمل، كان يريد أن يفكر ويزن الأمور، كان يريد أن يميز ويعرف ما هو الأطيب.. إلا أن جميع ما سمعه من كلام راح يتراءى له أمام ناظريه لا يترك له مجالاً للتفكير.

كان الرجل وزوجته قبل ذلك في اضطراب وقلق، وحرّما على نفسيهما الطعام والشراب، فكل يوم كلام جديد وحديث جديد وامرأة تحكي حكاية وأخرى تروي رواية، بينما زينب كانت تجلس وحيدة مضطربة قلقة.. وحيكت آلاف القصص والحكايات والقضية كانت على وشك أن ينظر فيها.. واسم زينب وشيدا لم يكن في أوراق المحكمة فقط، بل كان أيضاً على ألسنة الناس فقد انعقدت بينهما علاقة لو حاولا بأنفسهما فسخها لما سمح لهما الناس، بذلك، فألسنة الناس حفرت على يدي زينب اسم شيدا بينما قيد شيدا زينب بقيده في هذه الدنيا، فهي لا يمكنها أن تهرب من شيدا إلى أي مكان، ولو حاولت الهروب أيضاً فسوف يبحث عنها الناس ويسلمونها له.

سمع بركة كل هذا وظل ساكتًا، وسكت الأستاذ محمد دين، وصمت مولوي عبد القدوس.. ورئيس الشرطة أيضاً!.. جاء مع كل هؤلاء، فقال موجهًا كلامه إلى الأستاذ محمد دين:

«أنت لم تنطق حتى الآن برأيك.. ماذا يرضيك؟».

ورفع الأستاذ عينين مليئتين بالرجاء ونظر إلى بركة:

«أخي بركة.. ما جرى هنا كله.. هل جرى برضائك ورضائي.. ونحن نتحدث أيضاً برضائنا دون ضغط من أحد.. فقط هز رأسك، فهذا هو أهم شيء».

وسواء عرف الناس ما يقصد أو لم يعرفوا فهم بركة كلام الأستاذ ورد:

«أفهم أفهم يا أستاذ، لقد تحدثتم بكلام مختلف، لكنك أيضاً أستاذ و «طلعت» إنسانًا كعامة الناس» قال بركة هذا بصوت كله يأس.

«نعم، أنا كعامة الناس.. إنسان عادي.. لا يمكن أن أكون مختلفًا.. من منا يصعد إلى المشنقة؟! من منا على استعداد لأن يظل مطلوبًا طول الوقت؟!».

وسلم بركة بهذا الكلام..

ومثلما وضع «بصمة» إصبعه على الأوراق الخاصة بسحب القضية وضع «بصمة» إصبعه على عقد زواج شيدا وزينب، ففي كلتا الحالتين تظل «بصمة» الإصبع أكثر اعتبارًا من «التوقيع» باليد.. فالتعليم يفيد فقط في الدرس والتدريس!.

# الماضي والمستقبل

للأديب: ممتاز مفتي

ممتاز مفتي أديب معاصر أبدع في فنون النثر المختلفة: فن القصة القصيرة، أدب الرحلات، فن المقال الصحفي الهادف، وبرغم بلوغه الثمانين وأكثر إلا أن قلمه – بفضل من الله – لا يزال ينضح بكل ما هو طيب، ولا يزال إنتاجه الأدبي متجددًا، وربيع إبداعاته مزهراً موردًا.

في قصصه القصيرة يركز الأديب ممتاز مفتي على الصراع النفسي الذي يظهر واضحًا جليًّا على وجه الإنسان، ويغير من مخططات حياته، وعادة ما يركز الأديب أيضاً على جانب اللاشعور في شخصيات قصصه، وهذا ما نلاحظه في قصته التي ترجمناها هنا، وهي بعنوان (ماضي أور مستقبل) أي الماضي والمستقبل، وهي قصة تترك أثرًا فريدًا في نفس القارئ، وخاصة من يعيش في مجتمع مسلم، ويتفهم ما يدور في أيامنا هذه من صراعات أدت أحيانًا إلى انحراف لدى بعض الناس ومواجهة لدى آخرين، ويرى ممتاز مفتي أن مهمة الأب أن يسمو بالإنسان إلى درجة الإنسانية، وأن يجعله يقترب من الله –عز وجل– وأن يوقظ العواطف في داخله.

## الماضي والمستقبل:

كان المنظـر من حوله بديعًا إلا أنه كان غارقًا في خيالاته وأفكاره لا يـدري ما حولـه، انتهى امتحان البكالوريوس فجـأة مع زميل دراسته ناصـر، كان يود أن يلتحـق بالدراسة للحصول علـى الماجستير؛ حتى يجد فرصـة للبقاء بعيداً عن البيت عامين آخرين، إلا أن والده عارض الفكـرة بشدة، والآن يجب عليه أن يرجع إلى البيت، وبعودته إلى البيت يبـدأ يناقش موضوع الزواج، فالوالدة منذ مدة، وهي تلح عليه ليتزوج، أمـا هو فلـم يكن يرغب في الزواج، وحتى يطمئـن الأسرة أخبرهم أنه سيفكر في الأمر بعد البكالوريوس، ولم تعد هناك ذريعة، ولا حجة تمكنه مـن إقناعهم بتأجيـل الزواج، فراح يفكر: ما العمـل الآن؟ وفجأة شعر وكأن سحابـة ظليلة تعلو رأسه، فتطلع إلى أعلى فرأى خفير الاستراحة العجوز واقفًا أمامه، وبيده مظروف ملون..

قال: «سيدي.. أنت نجل السيد..؟».

هزّ عماد رأسه بالإيجاب، فقال العجوز:

«هذا الخطاب لك يا سيدي».

«خطاب لي؟! من أعطاه لك؟».

«سيدتـي فـي الحجرة (رقـم سبعة عشـر) فوق.. وتقـول: إنه من الضـروري أن تـرد على هـذا الخطاب، سـوف أحضر غـدًا في الوقت نفسه؛ لأخذ الرد».

سلم العجوز الخطاب، وانطلق عائدًا أدراجه، بينما ظل عماد في حيرة ودهشة وهو يمسك الخطاب في يده، من هذه يا ترى؟! قرأ الخطاب، فبهت إلى أبعد حد.. جاء فيه:

«سيدي العزيز! أنا خطيبتك، أنا لا أريد الزواج بك، ولأني فتاة لا يمكنني الإعلان عن رفضي، ولهذا أطلب منك أن تختلق أي عذر لترفض الزواج بي، فإن لم تفعل فحياة كل منا ستتحطم.. أرجوك استجب لطلبي، لا بد أن تكتب الرد على خطابي هذا.. ردّ في كلمتين.. وأحرق هذا الخطاب. شكراً جزيلاً، ومع السلامة».

قرأ الخطاب فأصيب بصدمة، ففيه احتقار له، في وقت وجب عليه أن يفرح ويسرّ بمثل هذا الخطاب، لا شك أن «عتيقة» كانت خطيبته، لكن خطبته لها كانت خطبة بين الآباء وحدهم، فلم يكن قد رأى «عتيقة»، أقام والده حفل خطبتهما بطريقة جعلت الجميع يبهرون، ويتحدثون عنها، لكن ذلك كان في وقت اعتبر فيه نجل أبناء الذوات المدلل، ثم كان التحاقه بالكلية، الكلية أربكت عقله، فجعلته ينفر من البيت، لم يكن يرغب في العودة إلى بيت والده الشيخ الذي يهيمن على الناس بوقاره المصطنع، لم يكن يود أن يعيش كأحد أبناء الذوات، ثم يموت كأحد الشيوخ المقدسين في أنظار الناس.

في الكلية رأى البنات، فقرر ألا يتزوج «عتيقة»، لم تكن أسرة «عتيقة» تعجبه، كان ينظر إلى والدها «العلامة نور الدين» وكأنه مخلوق جاء من عالم آخر، فجميع أحاديثه تختلف عن بقية أحاديث العباد، ولباسه أيضاً كان مختلفاً: عباءة بيضاء براقة فضفاضة مهلهلة وصدرية سوداء باهتة

وعمامــة بيضاء فوق خصلات شعر مقصوصــة ووجه مدور أبيض ممزوج بالحمرة وعليه لحية كثة صبغها بلون أسود عجيب وعيناه محاطتان برموش كالأشــواك.. كان يــراه وكأنه إنسان زينوه بــأدوات التجميل؛ ليقوم بتمثيل دور مــا، كان في اهتمامه بهندامه وبنفسه لا يمكن إلا أن يشبه امرأة، ولم يقتصر الأمر على الشكل فقط، بل كانت طريقته وحركاته مختلفة عن أي إنســان طبيعي عــادي، فقد كان العلامة نور الديــن يتكلف الظهور بمظهر «الــذوات» وكان يحــاول أن يدخل في صوته نبرات عجيبــة، فكان الصدى المصطنع الذي يخرجه بصعوبة حين يتكلم قد أثر على الأحبال الصوتية في حلقه، وهكذا حرم تمامًا من القدرة على الحديث بطريقة عادية كعامة الناس، وكانت الهالات التي أحاطت بشخصية، العلامة نور الدين العلمية والتشريفية هالات ضخمة، حتى إن الإنسان يظل يقاسي من تأثيرها.

وكان عمــاد قــد رأى أم «عتيقــة» أيضًــا لحظــة، حين رفعــت برقعها الحريري الأسود، وكأن ستارة قد ارتفعت من فوق المسرح وكأن مهرجانًا من الألوان والأشكال تراءى له ومن الواضح أنها لم تفعل بنفسها هذا ولكن هناك من هيأها هكذا، فليس فيها من صفات الحسن النسائي شيء يذكر، فالحسن الطبيعي تراه فتذوب تأثرًا به، يدخل على قلبك المحبة والسرور، الحســن الطبيعي يهــز الإنسان بعنف يوقظه يقول لــه: انهض والنداء هنا ليس نداء عاديًّا، بل هو نداء خاص، انهض وإلا فلن تكون هناك قيامة بعد هذا.. هذا هو نداء الحسن الحقيقي.. لا..لا.. لن أتزوج فتاة أبوها هكذا، لن أتزوج فتاة هذه أمها، وإن كان لم يفهم كيف ينفذ قراره هذا!

أوجد جو الكلية كل هذا الاضطراب في داخله، فقبل قدومه إلى الكلية كان يمضــي حياته في سكــون باطمئنان، وهدوء كأحــد «أبناء الذوات»

يرتدي صباح مساء ملابسه البيضاء ويزين رأسه بعمامة، ويجلس إلى وسادة وثيرة، كأنه ملاك صغير ينحني الناس أمامه يحيونه ويلمسون قدميه، ثم يتراجعون باحترام شديد ويجلسون أمامه، ويجاوره والده صاحب المقام العالي والجاه، على وجهه نور، الحلم من طبيعته، في يده مسبحة تتحرك حباتها بين أصابعه دون انقطاع، وشفتاه تتحركان كآلة تنطق بالحمد والثناء، ومن حوله مريدوه والمعتقدون في بركته يتزاحمون عليه تزاحم النحل على الشهد، وكان صاحب المقام العالي والجاه لا يريد أن يتعلم «المحروس» ابنه في الكلية، فقد كان يعتقد أن التعليم في الكلية مجرد خرافات، فعنده العلم قاصر على التعليم الديني لا غير، وعارضت أم عماد هذه الفكرة وثبتت على معارضتها، حتى أذعن صاحب المقام العالي، وكان هذا بتدبير من أخوال عماد.

وفي الكلية بدأت حياة جديدة.. أصوات جديدة.. طرائق جديدة في التعامل.. وجوه جديدة، وشعر الفتى في هذا الجو وكأنه لا شيء، فهذا يناديه: «هيه أنت» وآخر يصيح فيه: «أوه.. إيه» اضطرب كثيراً في البداية، شعر كأنه ينزل من على عرش، ويوضع على الأرض، وظل هكذا مضطربًا شهرًا أو شهرين، ثم استيقظت بالتدريج في داخله مشاعر وإحساسات جديدة، وأصبح لهذه الأصوات والنداءات والطرائق والتعاملات مفهوم جديد، شعر أن هناك صداقة حقيقية، زمالة بالمعنى الصحيح، حرارة في الأصوات التي تناديه دونما تكلف وتتعامل معه بعفوية كاملة، كان هناك إخلاص ومحبة وعلاقة حميمة، وهذه يمكن أن تنتج فقط من التعامل بين الزملاء على قدم المساواة، ولأول مرة يتعرف عماد على لذة التعامل مع عامة الناس، شعر أن هذه

هي حياته الحقيقية وأن هذا هو زمانه، وأن ما أمامه هو مستقبله، شعر كأن دنيا طفولته كانت دنيا صغيرة.. لا، لا لست مملوكًا لهذه الدنيا، وهكذا انقلب عقل عماد وانقلب تفكيره.

قرأ عماد خطاب عتيقة وأصابته صدمة مع أنه كان من الواجب أن يفرح.

اشترى ناصر علبة سجائر من السوق، ورجع ليجد صديقه عماد، وقد تغير مزاجه تمامًا، بل بدا لا يدرك ما حوله، فقد جلس كأنه صنم قُدّ من صخر، فصاح فيه: «إيه.. ماذا أصابك؟».

نظر عماد إلى صديقه كاتم أسراره نظرة من لا حول له ولا قوة، فقفز ناصر وخطف الخطاب من يده، قرأه بسرعة، ثم قال: «يا فرج الله، لقد تحقق ما كنت تصبو إليه، عليك أن تفرح، لماذا هذا الغم والهم؟».

علت شفتي عماد بسمة خجولة، فصاح ناصر: «لكن يا صديقي، إنها فتاة رائعة حقًّا.. كيف وصلك هذا الخطاب؟ وعن طريق أي بريد وصل؟».

فهزّ عماد رأسه بالنفي: «أحضره خفير الاستراحة..».

«من أين أحضره؟».

«من هناك فوق.. تنزل في الغرفة رقم سبعة عشر».

آه..: صاح ناصر مسروراً: «إذًا يمكنني أن أراها».

«أنت دائماً تعيش في واديك الخاص» قال عماد: «أنا الآن أفكر في الرد الذي سأكتبه»، فقال ناصر: «لا تتسرع قل لها أن تأتي بنفسها ونناقش الأمر».

في ذلك اليوم بقي الاثنان معًا يفكران في كتابة الرد، حتى انتهيا بعد مدة، وبعد أن حمل الخفير الرد جلس الاثنان بين رجاء وخوف، وبينما هما كذلك دق جرس الباب..

«ادخل» نطق ناصر بالكلمة، وقلبه يدق بعنف.

دخل الخفير وقال: «الآنسة المحترمة سوف تشرف في تمام الساعة الثامنة» طلبا الشاي لتحيتها وأخذا ينتظرانها، وفي تمام الثامنة دخلت الغرفة اثنتان، عتيقة وابنة عمها، وقد لفت كلٌّ منهما نفسها بعباءة احتوتها تمامًا. قال عماد: «تفضلا».

أرخت عتيقة عباءتها ووضعتها على كتفيها، لم تكن جميلة كما أنها لم تتزين مثلما تفعل أمها، إلا أنها كانت بلاء شديداً، كانت ملامحها حادة كحد السكين، كما اتسمت طريقتها بالعنف، عنف أشبه بوخز قارص كوخز الإبر، لم يظهر عليها أي اضطراب، لم يكن هناك أي شعور بالاعتزاز ولا بالتواضع أيضًا، نهض ناصر، وقال: «تفضلا أولاً قدحًا من الشاي وبعدها نتكلم «وسألهما»: «سكر.. ملعقة أو نصف ملعقة؟».

ردت: «ملعقة»

وضع ناصر أقداح الشاي أمامهما، وهو يقول: «من فضلك لماذا ترفضين عماد؟ هل شكله لا يعجب، أم...».

فابتسمت عتيقة، وقالت: «لا ليس الأمر كذلك».

«إذًا هل هناك شخص آخر في...؟».

«لا.. لا.. ولا، هذا أيضًا. في الحقيقة أنا لا أريد أن أتزوج أحد أبناء الذوات».

«مع من تريدين الزواج إذًا؟» ابتسم ناصر، وهو يسألها: «هناك بلا شك إنسان».

«لا أحـد» قالت هـذا بغيظ شديـد: «سوف أتزوج مـن يوافقني في مسلكي».

فسألهـا ناصر من فـوره: «مسلـكك؟» وجلس عمـاد صامتًا، يطيل النظر في عتيقة، وهي تقول:

- «أريد أن أجعل حياتي كلها وقفًا على التبليغ».

قال عماد: «التبليغ.. إن والدك يقوم بهذه المهمة».

«لا..» صاحـت وهي تردد: «لا.. لا.. هذا في الماضي... أبي ماض، أمـا المستقبل فهو أنا» وسيطرت عليهـا الحماسة، فأنزلت قدح الشاي ووضعته جانبًا وهزت رأسها، فانفك شعرها وبرزت ملامح وجهها أكثر فأكثر. قالت بغضب:

«أنـا المستقبل.. نحن، نعم نحن، وما نريد، نحن نعمل ما يجب أن يكون، إن من يعتقد أن عصرنا عصر ضياع، عصر ضلال، كيف يمكنه أن يرشدنا إلى الطريق...» وتوقفت، ثم أردفت:

«إن مـن يرشدنا إلـى الطريق يجب أن يكون مثلنا، وليس قادمًا من كوكب آخر» وتوقفت لحظة، ثم قالت:

«... يجـب أن يكون مؤمنًا بضرورة العمل من أجل الإسلام ومبادئ الإسـلام، لا أن ينشغـل بالتسبيح تارة واختـلاق قضايا ومسائل فرعية تارة أخرى...» وسكتت، وأطبق الصمت على الغرفة بأكملها.

رفعـت عتيقة قدح الشاي واحتسته بأكمله فـي رشفتين، ثم وجهت حديثها إلى عماد، وقالت بصوت خافت:

«توافقني علـى طلبي، أطلق سراحي، سأكون ممتنة لك، ولن أنسى هذا الجميل».

فقال عماد بصوت ضعيف: «أوافق، ولكن بشرط».

فانتفضت عتيقة، وقالت وهي تلوح بالقدح في يدها: «أوافق على كل شرط تطلبه في هذا الأمر».

قـال عماد: «هـل تعديننـي إذا خرجـت للتبليـغ أن تأخذيني معك أيضاً؟!».

ففزعت عتيقـة، ونظرت بحيرة إلى عماد... طـاخ!! وانفلت القدح مـن يدها، سقط على الأرض، تحطـم، تحول إلى قطع صغيرة مدببة.. وساد الحجرة صمت، وجلس الأربعة كلهم وكأنهم خشب مسندة!!.

# كشف

للأديبة بانو قدسية

بانـو قدسية أديبة معاصرة ترى الحياة بعينيها، وتمزج هذه الرؤية من خلال تجاربها وعادة ما تختار لقصصها تلك الشخصيات التي تعيش حياتها في مفترق الطرق، فتدرس قضاياهم وتحللها، وتتعاطف أحيانًا مـع شخصيتها، فتجعل من حياتهـم حكاية تنقلها إلـى القارئ؛ ليطلع هـو أيضاً على جوانب حياة هذه الشخصية، فيشاركهم همومهم.. وفي كتاباتها نشعـر دائمًا أنها أم تجلس، ومن حولهـا، وفي حضنها العديد من الأطفال.

وقصتهـا «كشف» والعنوان هكذا بالأرديـة أي كشف الوجه أوكشف الإنسـان عمـا بداخله والتعبير عنـه والإعلان عنه، وهـي قصة تتناول القضايـا الاجتماعيـة والمتاعب العائليـة والأحداث التـي يتم سردها بأسلـوب الأديبة الرائـع الذي تتميز به، ويلاحظ القـارئ أن النتائج لا تأتـي عـادة طبقًا للتوقعـات، والأديبة عـادة توضح جانـب اليأس لدى شخصياتهـا، ثـم تجعل هذه الشخصيـات في النهاية ترفض اليأس، وتبـدأ حياة كلها أمـل، فـ«ضمير» في قصتها «كشف» نـراه برغم يأسه

طـوال حياته يعبر مفترق طريق الكراهية والحب؛ ليتخلص من أسلوب الحياة الذي لم يمكنه من اتخاذ قراراته، ويكشف عن ذلك بوضوح بعد أن ظل سنوات طوالاً يكتم كل شيء بداخله.

## كـشـف:

فـي ضوء النــور القادم من مصابيح الحارة وقـع نظره على «كوب» الشــاي الأصفر الموجـود على الطاولة.. ظل يراقـب الكوب عدة ثوانٍ، ثـم راح يفرك عينيــه وينظر هنا وهناك.. أدرك «ضميـر» أن ما أمامه هو«برطمــان» المخلـل الصغير، فيــه ليمون أصفر، نهض واقترب من الطاولة وأعاد (برطمان) المخلل إلى الخزانة، هزّ «ضمير» رأسه يريد أن يخـرج جميع النتائــج من عقله، تلك النتائج التــي ملأت دماغه بما كان فــي داخله من مرئيات، كان يتراءى لــه أحيانًا أنه مصاب بمرض عقلــي، أو بحالــة نفسية، وكان يعتقـد أحيانًا أن نظره قـد ضعف وكان يخشــى أن يكــون الجن قد سيطر عليــه أو لبستــه روح العفريت.. وبعد محــاولات عديدة أخرج من داخله هذا الظــن، إنه لا يرى الحقيقة كما يجب أن يراها والوقائع والأحوال والناس ليسوا هم كما كان يراهم..

هــل كان يفحص ويدقق في الظروف المتغيــرة من حوله؟ هل حقًّا كان يمكــن أن يقيم مع أسرته؟ هل تغيــرت القيم في بيته، ولم يدرِ عن ذلــك شيئًا؟! وهــل، وهل... بدا وكأنــه إحدى عجلات آلــة تحطم أحد تروسهــا، فراحت تدور مصــدرة صوتًا متقطعًا فــي كل دورة.. تريك.. تريك.. تريك..

أعـاد قراءة الخطـاب مرة أخرى، ثم طواه ووضعـه في جيبه، كان هـذا الخطاب لا يمـت بصلة من قريب أو بعيد إلى قـراره الذي يود أن يتخذه وجاء صوت أخته الكبرى من الحجرة الداخلية يناديه:

«ضمير..»

رغـب كعادته أن يلقـي بنداء أخته وراء ظهـره.. أن يهمله.. فأخته الكبرى هي أخته على كل حال وليست أمه، ولكن التربية – داخل البيت الـذي يقع فـي نهاية الحـارة – القائمة علـى احترام الصغيـر للكبير جعلت هذا أمرًا لا شعوريًّا لديه.. كان من داخله ثائرًا تتنازعه المشاعر المختلفة...

«ضمير! ماذا فكرت..؟».

«أنا..».

«نعم أنت..».

«ماذا يمكنني أن أفكر وسط هذه الظروف..؟».

«اتـرك الظروف.. مرت ثـلاث سنوات على الخطبـة، وأهل الفتاة يطلبون تحديد موعد الزواج».

«نعم... تاريخ..؟ يطلبون..».

«أسمعني قرارك بسرعة، وإلا قمت أنا بتحديد أي تاريخ».

نظـر «ضميـر» ناحيـة أختـه الواقفة أمـام الشبـاك المفتوح جهة الحـارة.. كان يحب أخته الكبرى حبًّا جمًّا بقدر ما كان يكرهها كراهية شديـدة..! كان يرى في أختـه الكبرى (كشور) تمثـالاً حيًّا يقف أمامه متحدثًا عن المسؤوليات والواجبات.. كانت محبة أخته الكبرى بداخله مثـل حجر ثقيل حط في الماء، بينما ظلت حوله دوائر الكراهية التي لا تحصـى باقية على سطح الماء تتحرك دون توقف.. بدأ يفكر، يتسائل: لمـاذا هذا التعلق الشديد بأختي الكبرى؟ يمكنني أن أنهي هذا الشعور فـي لمحـة واحـدة، لكن هذا لـم يحدث... هبـط السلالـم في غضب وانطلق يمضي في الحارة.

كان هذا دائمًا هو رد الفعل الذي يصدر عنه، إما ينزل إلى الحارة أو يصعـد إلى الطابـق العلوي أو السطح، فيبدأ التجـول هناك.. دائمًا يشعر بضرورة للمشي؛ حتى يعيد حالته الداخلية إلى طبيعتها.. وهكذا ظل يمشي عدة ساعات حتى يصيب نفسه بالتعب والإرهاق.

كانـت نغمات «الموال» التي تنبعث مـن دكان شرائط «الفيديو» في الحـارة تعجبـه كثيرًا حين يكون فـي حالته الطبيعية، لكنـه الآن يشعر بالنفور، لا يريد أن يسمع أي «موال»..

وعلـى جانب الشارع الكبيـر المتصل بالسوق كانـت هناك حديقة صغيـرة، كان المكان منطقـة واسعة في وقت من الأوقـات تتجمع فيها النسـاء الهندوكيـات في أعيـاد الديوالي والدسيهـره، فيقمن الزينات ويصدحـن بالأغنيات طـوال تلك الاحتفالات، وبعد قيـام باكستان بدأ النـاس يجعلونها مربطاً للجاموس.. ولمـدة طويلة، وفي ليالي الصيف

خاصة كان العفن المنبعث منها يصل إلى كل بيت من بيوت الحارة، وحين تقرر إخراج الجاموس من المدينة تم تسوير هذه المنطقة من جميع جهاتها بسور من الصفيح الأبيض، ثم أصبحت فيما بعد منتزهًا أقاموا فيه بعض المقاعد الخرسانية، ووضعوا فيه بعض الأراجيح المكسرة وغرسوا بعض الأشجار، بينما نمت الحشائش الطبيعية، فأقاموا ممرات وأرصفة من الحجارة، وفوق الحشائش الخضراء راحت أكياس «البلاستيك» الفارغة تتطاير هنا وهناك، وتجمعت أشياء لا فائدة منها مكونة أكوامًا من الزبالة والقاذورات.. وقد أطلق أهل الحارة على المنتزه اسم «حديقة الأراجيح».. وفي حديقة الأراجيح هذه كان «ضمير» يقضي الساعات الطوال جالساً.. ماشياً.. مفكراً..

والآن أيضًا.. قدم إلى هذه الحديقة، وجلس على أحد مقاعدها، وأخرج من جيبه الخطاب.. قرأه.. وطواه.. ثم عاد ووضعه في جيبه من جديد، واستدار، ونظر ناحية الحارة..

في نهاية هذه الحارة يقع بيته المشيد بالخرسانة والحجارة، المكون من ثلاثة طوابق، حيث تقيم فيه أختاه اللتان أنهيتا دراستهما للماجستير بالانتساب.

تنتمي هذه الأسرة إلى عائلة الراجبوت التي اشتهرت بالغيرة والنخوة والشهامة، وأختا «ضمير» فتاتان سمراوان، أنفاهما عاليان معقوفان كأنف ببغاء، تمتلكان إرادة قوية وفكرًا طاهرًا بالوراثة.. وهما تعدّان السلام على أحد أو إظهار الشعور بالعطف تجاه أحد أو حتى الذهاب لزيارة أحد إساءة لسمعة العائلة ولهما شخصيًّا... وهما تقتربان من الثلاثين، ولم تتزوجا بعد.

مــن وجهة نظر «ضمير» كانت أختاه معقدتين نفسياً، فكان يحبهما بقدر ما كان ينفر منهما، كان دائمًا يرى أن الناس والأماكن والأحداث والظروف تستحق الحب والكراهية في آن واحد..!!

قبــل ثلاث سنوات حين التحق بالجامعة التقى «بحسنة».. ليس في الجامعــة، بل في بيت يقع بعــد بيته بخمسة بيوت، كانــت حسنة تسكن مثله في بيت مشيد بالحجارة والخرسانة يتكون من ثلاثة طوابق.. وفي الطابقيــن العلويين شيدت شرفة جميلة من الخشب لم يكن لها نصيب منذ سنــوات من الطلاء.. وفي هــذه الشرفة وضع بعضــ الأثاث الذي أصابتــه الشمس والمطر بالكلاحــة، فلم يكن هناك في البيت من يفتح أبــواب الشرفات أو حتى يقترب منها، فأهل البيــت ينتمون إلى السادة وجو البيت كله جو ديني، فالجميع تربى في بيئة دينية محافظة، والنساء قانعات راضيات مسرورات بما يقمن به من أعمال في البيت من عجين لعمــل الخبز، وإعــداد الطعام، ورعاية البيــت، والمشاركة داخل البيت فــي إعداد ما يلــزم للاحتفال بالمناسبات الدينيــة والأعياد ويدردشن ويستمعن إلى الأحاديث المتعلقة بالبنات وخطبتهن وزواجهن، لكنهن لا يمكنهن المشاركة في كل هذه الأمور خارج البيت.. يحترمن الوالدين.. إلا أن حسنــة كانت تجد نفسها مجبــرة أحيانًا على العصيان؛ لأن أمها تخفيهــا تمامــاً عن الأعين كمــا تخفي ثروة، وكانت أمهــا تجبرها على الاختفــاء عن أعين المتلصصين، وفي ظل هــذه الظروف أنهت حسنة دراستهــا للماجستير دون حاجة إلى الذهاب إلى الجامعة، فقد درست طالبــة منتسبة، ومــن هنا كانت تذهب إلى بيــت «ضمير» لتحصل على مذكرات مادة الدراسات الإسلامية من أخته «زرينة».

كانت حسنة وأخواتها مثقفات متعلمات، لكن مجتمعهن في بيتهن لم يكن مجتمعًا تنكشف فيه النساء على الرجال.. فهن يخشين الجنس الآخر، ويرهبنه، ويخفن منه، وكأنهن يخشين الإصابة بمرض معدٍ من جنس الرجال.

اليوم الأول الذي رأى فيه «ضمير» حسنة كان يقف أمام محل شرائط «الفيديو» يدخن سيجارة، وكانت الحارة قد أصابها الوحل في ليلة ممطرة.. وبدت خالية من الحياة، وكانت الأحجار القديمة الملساء «تزلق» من لا ينتبه إليها.. ظهرت حسنة من بعيد، كانت تلبس في قدميها حذاء ذا كعب عالٍ، وترتدي ثوبًا مليئًا بالطيات ووضعت على وجهها خمارًا أسود، وعلقت في ذراعها حقيبة كبيرة من الجلد الطبيعي، وفوق رأسها «شالاً» أسود مزخرفًا بورود كبيرة الحجم..

واضطر «ضمير» إلى الاستماع إلى وقع أقدامها داخل الحذاء ذي الكعب العالي؛ لأن مثل هذا الصوت لا يصدر في الحارة إلا من قدميها هي.. وحين اقتربت حسنة من محل شرائط «الفيديو» إذا بها تتزلق وتسقط على الأرض، فتقع منها حقيبتها الكبيرة، ويطير خمارها الأسود وتبتعد عنها فردة من حذائها... ربما اضطربت حسنة بسبب نظرات أهل السوق الموجهة إليها كالسهام.. وربما كان السبب «زحلقة» الطريق أو ربما خدعها ذلك الكعب العالي، أو ربما لم تكن لديها تجربة في الانكشاف على الناس.. على كل حال حين سقطت على الأرض راحت الدموع تنسكب من عينيها بغزارة، بسبب وقوعها على الأرض أو بسبب إحساسها بالخجل والمهانة أمام الناس.

بعد هذه الواقعة بدأ «ضمير» في مساعدة «حسنة» وتمكن من الفوز باهتمامها تمامًا كالشاطر حسن أو كبطل من أبطال الحكايات الشعبية الآخرين، ولأول مرة يشعر «ضمير» بالتفريق بين الحب والكراهية، ولأول مرة يشعر أنه دخل إلى قصر المحبة الصافية..

كانت حسنة كلما التحفت بالشال الأسود، ولبست الحذاء ذا الكعب العالي في قدميها، وجاءت إلى بيت «ضمير»، يظل «ضمير» يحوم حولها:

«أختي زرينة.. هل تريدين الشاي؟.. هل أحضر لك مشروبًا باردًا..؟».

وأخيرًا تبادل الحديث مع حسنة:

«لماذا لم تأتِ بالأمس؟».

«نعم.. من يمكنه أن يأتي كل يوم؟».

لماذا لا يمكن أن تأتي كل يوم؟ ويصر «ضمير» على سؤاله، فقد تمكن من قلب حسنة، وكان بدوره يشعر براحة عجيبة، وهو يحاول أن يقنعها في أثناء الحديث، إذ كان يريد أن يثبت ذاته ويضعكم بمسؤولية ما تمامًا مثل أخته الكبرى.

«أمي لا تسمح لي، حتى بالذهاب إلى السوق، فكيف تسمح لي بالمجيء هنا كل يوم؟».

«تعالي معي إلى الجامعة مرة، وسوف ترين.. البنات يأتين وحدهن.. يقدن السيارات بأنفسهن.. يجلسن في الكافتيريا «وحدهن

يشربـن الشاي، وأمك التي تنتمي إلى القرن السادس عشر جعلت منك خاتمًا وضعته في علبة مزخرفة».

«أهذا ذنبي؟.. أخبرني؟!».

كان بياض وجه حسنة ناصعًا تموج فيه حمرة وردية، وكانت عيناها مدورتيـن واسعتين، وجنتاها كوردة مـدورة لم تتفتح تماماً، أما رقبتها فكانت مكتنزة وكتفاها عريضين وجسمها ممتلئًا.. تبدو للناظرين أكبر مـن سنها الحقيقية، ونظرًا لقوة جسمهـا، فملامح الصحة تظهر على وجههـا.. لم تكن حسنة بقادرة على أن تغضـب من الناس مدة طويلة، وكانـت تتقبل فشلها بكل سـرور، إذا تحققت لها أمنيـة فرحت وسرّت وإلا فإنهـا لا تسعـى لتحقيقها، فقـد تربت على الصبـر وتحمل الفشل ولـم يكن هـذا نتيجة لضعف فيهـا، ولكن ربما لعـدم اهتمامها بالأمور التـي تدور من حولها، حتى لوكانـت تتعلق بها شخصيًّا، ولهذا فقد كان يمكنها الاسترخاء على السرير و«الدردشة» مع صديقاتها مدة طويلة أو اللعب مع الأطفال، كما كانت تفضل أن تقضي الوقت في التطريز وطبع الصور على القماش أو حياكة قمصان لصديقاتها، كما كانت تميل إلى مساعدة العمات والخالات في أداء واجباتهن المنزلية..

كانـت كلما التقـت بـ«ضمير» تحدثه بكل سـرور، وفرح عن الطعام والموائد والمشروبات والحلوى، وكانت تعشق كل أنواع الأطباق وخاصة تلك التي تحتوي على اللحوم والدواجن وأطباق الحلوى المليئة بالسمن والقشدة، كما كانت تفضل الألوان الزاهية، وبصفة عامة كانت ملابسها على جسمها كالألعاب النارية في السماء.

كان نديم على دراية كاملة بالميراث الثقافي للناس الذين يعيشون فـي وسط المدينة، لكن دراسته في الجامعـة بعيدًا عن المدينة غيرت بـلا شك من نظرياته وأفكاره، كان يريـد أن ينقل أهل بيته الذين بقي منهـم الآن أختاه فقط إلى القـرن العشرين، وضمن هذه المحاولة كان كلما تحدث مع أخته الكبرى زرينة أعرضت عنه..

«لو كانت أمي ولو كان أبي على قيد الحياة لكان هناك شأن آخر».

كان قلبه صغيرًا مفعماً بالحب لجميع أهل البيت.. ومرت الأيام.. وجاء اليوم الذي تحملت فيه أخته الكبرى المسؤولية.. فراحت تصدر أوامرها:

«لا تنـم في الطابق الثاني.. لا تلبس بنطلونـات الجينـز»... لا ترفع صـوت المسجل بالموسيقى الصاخبة.. لماذا تضع على حائط غرفتك هذا التقويم الـذي يحمل صورة اللاعب «عمران خان»؟.. لماذا تفضل صـور الممثلات الهندوكيـات؟.. إذا أردت الاستماع إلى الغناء فاستمع إلـى الأناشيد القومية، أكل «سندويتشات الهمبرغر» من الخزعبلات.. لماذا تضع سلسلة في عنقك كالبنات؟..».

لـم يكن هناك من الأطفال أو الصغـار من يشغل الأخت الكبرى أو زرينـة لم يكن فـي البيت غير «ضميـر»، فأرادا أن يروضـاه تمامًا كما تروض حيوانـات «السرك» وكان «ضميـر» بداخله صـراع.. كان يريد أن يكـون بـدوره رجل البيت بين أختيه اللتين تسكنـان معه في البيت.. يريد أن يتولـى المصاريف والنفقات، يريد أن يكون بيده إصدار جميع القـرارات، ولا يـزال يتذكـر جيدًا ذلـك اليوم، حين نجـح في امتحان

البكالوريوس بتقدير ممتاز مـع مرتبة الشرف، فانطلق فرحًا إلى أخته الكبرى:

«أختاه! لقد نجحت بتقدير ممتاز.. نعم ممتاز..».

وكانـت الأخـت كعادتها تطل مـن النافذة المفتوحة علـى الحارة، تشاهـد ما يـدور فيها، ففتحـت درج الطاولة، وأخرجـت ورقة من فئة عشر روبيات، وقالت:

«إذًا يجب أن تنال جائزة».

«أعتقد... يجب أن نشتري سيارة.. إن لنا مكانة في هذه المنطقة، ونحن أصحاب أملاك أيضًا».

«إيه..؟ ماذا نفعل بالسيارة؟ أنا وزرينه قلّ أن نخرج من باب البيت، كما أننا لا نريد إفسادك..».

وفـي لمحة انتهى كل سروره بنجاحه بتفـوق، وبدأ بداخله إحساس بالغضـب سرى في جسده، فالأختـان لا تفكران إلا في نفسيهما فقط.. فـي البيت تطبخـان ما يعجبهمـا من طعـام، وتقوم كل منهمـا بدعوة مـن تريد من الضيوف إلى البيت، والأخت الكبرى لا تجعله حتى يلمس «الشيكات» ولا تسمح له باتخاذ أي قرار مهم، ولكن إذا وقعتا في مشكلة فما تقومان بإيقاعه فيما يخجله، وتحملانه المسؤولية..

«ضمير» اذهب إلى «خالة حميدة» وأخبرها أننا لا يمكن أن نقرضها مبلغ عشرين ألف روبية.. فمن هنا بعد أبينا يكسب لنا رزقنا؟!».

«يا أختاه، أخبريها أنت بذلك الأمر» ويتلعثم «ضمير» وهو يرد على أخته الكبرى.

«يـا أخي.. أنت الرجل الوحيد في البيت.. وجميع القرارات المهمة يجب أن تكون عليك.. متى تتحمل المسؤولية؟! في أي يوم ستصبح رب العائلة؟! اذهب وأخبرها بذلك في حزم، وإلا جاءت لتطلب المبلغ..».

كان «ضميـر» يحب خالته حميدة كثيراً، وطـوال الطريق كان يفور بالغضـب من داخله مـن جراء ما به مـن صراع.. فمشاعـر الكراهية تتصـارع بداخلـه مـع مشاعر الحـب، ويظل يفكـر في العبـارات التي ستساعـده وتعينه؛ حتى يتمكن مـن الحديث مع خالته حميدة.. فخالته - من بعد أمه - منحته حبها، فكيف يمكنه أن يخبرها بهذا الأمر بكلمات واضحة.. كانت هذه الفكرة تعتلج بداخله..

والآن الأخت الكبرى تريد منه قراراً..

بـدأ يتمشى فـي حديقة الأراجيـح حيناً، ويتجه إلـى محل شرائط «الفيديـو» ليتحدث مع صاحبه حينًـا ويمضي ليتحدث مع صاحب محل الأحذيـة يسأله عن أنواع الأحذية، بينما يذكـر له صاحب المحل أنواع الجلـد والبلاستيـك الذي نضع فيـه الأحذية، وما فـي البلاستيك من شحنات كهربائية تجعله يلتصق بالأحذية، فيصعب فصلها عنه...

كان بينه وبين حسنة مناوشات بسيطة ومناقشات.. عواطف هادئة مـن الحـب، ومشاعر بسيطـة من الكراهيـة.. كل هذا تغلغـل بداخله، وأصبـح من الصعب أن يتخلص منه، كانت رغبة «ضمير» للاستعراض

قـد زادت.. وشعـر أن علاقته بالحـارة لم تعد كما كانـت وثيقة متينة، بـل صارت هشة، وخاصة بعد ظهـور القيم المتغيرة من حوله وأساليب التعليـم والحيـاة الحديثة.. لم تعـد علاقته قوية بطريقـة الحياة التي يعيشها، وبالأفكار والعادات والتقاليد السائدة.. خرجت الضفدعة من البئر، مضت على ساحل البحر.. تحطم فيها وفاؤها للبئر.. لكن حسنة لا تزال حتى الآن الورد في العصير.. لا تزال كما هي قابعة وسط ثقافة الحارة وحضارتها، تعيش حياتها بترف ورفاهية..

«لقد تغير الوقت يا حسنة... يجب علينا أن نغير نظارتنا..».

وتعـد حسنـة جملته هذه لـوح زجاج غيـر مصقول يحـول بينهما، فتقول له:

«منذ ذهبت إلى الجامعة، ومحبتك تقل يومًا بعد يوم».

ويبـدأ «بنـدول» المحبـة داخـل «ضمير» يتجـه ناحيـة الكراهية، وتضطرب مشاعرهما معًا وتموج عواطفهما..

«الإحساس والتفكير شيئان مختلفان يا حسنة... في تفكيري سعة بلا شك، لكن إحساسي كما هو.. لم يتغير».

«وتبـدأ حسنة فـي البكاء.. منـذ طفولتها تعلمـت استخدام سلاح واحد إذا ما واجهتها مشكلة ما»..

«إذا كان التفكيـر يتغير، فإن الإحساس يتغير أيضاً... أنت تغيرت أيضاً؟!».

شعر ضمير أمام الدموع المنهمرة بالضعف والهزيمة..

«حسنة.. والله.. إن سعة الفكر لا تقضي أبدًا على ثروة الإحساس، فارتداء «الجينز «وأكل» سندويتشات الهمبرغر «لا يغير الإنسان...».

«هذا ما تقوله أنت.. لكن كلامك وأسلوبك، طريقتك.. كل هذا تغير.. فقط أنت وحدك لا تدري..».

«عزيزتي.. كل ما هنالك أن في تفكيري قليلاً من العمق، وقليلاً من السعة فقط».

«أول أمس كنت أتحدث عن الثقافة، وأنت قلت: إنها ثقافة دقيانوسية» قالت هذه العبارة، وهي تبكي.

«وعندك أن الثقافة والحضارة هي الله..؟».

«يا أخي، افتح عقلك قليلاً... الثقافة والحضارة ليست طيبة وليست سيئة، ليست سوداء وليست زرقاء الثقافة، ثقافة فقط، فنحن نعيش مع الناس ونتغير بطريقة لا شعورية أليس كذلك؟ فكيف يمكن أن أقول: إن ثقافتي ثقافة سيئة؟ لقد نشأت فيها، وتربيت على أساسها..».

جفت دموع حسنة، وبدت له كأنها مثل أخته كشور، مظهرها مظهر من يملك بزمام الأمور ومن يتحمل المسؤولية..

«الأسبوع الماضي كنت تتحدث، وتتكلم ضد الدين..».

«أنا؟! ضد الدين؟!».

«ألم تقل: إنه لا وجود للجن؟».

«أنـا لم أقل هذا.. لم أقل: إن الجن غير موجودين، كل ما قلته: إن العلم لم يثبت ذلك بالدليل المادي حتى الآن».

«هذا هو المعنى نفسه».

«ماذا..؟».

«أي أن اعتقادك ضعيف».

«العلم شيء والاعتقاد شيء آخر..».

«إن مـن يتحدث حديث العلم يقل اعتقاده تدريجياً، ولا تبقى محبة الإسلام بداخله...».

«من قال لك: إن الإسلام ضد العلم؟! ليس الإسلام.. لكنها ثقافتك المفضلة التي لا تريد أن يصل العلم إلى هذا البلد.. أتدرين أن العصر الذهبـي للإسلام هوالعصر الذي شهد مولد العديد من العلماء الكبار الذين أثروا في العالم كله..».

«لا أدري شيئاً.. منذ تغير تفكيرك تغيرت بأكملك».

ولفّـت حسنة، وهي تبكي نفسها بالشال الأسود، وبدأ صوت حذائها يدق الأرض، واتجهت عائدة إلى بيتها وتحـرك «ضمير» أيضاً.. وصل إلـى ذلك الجـدار المعلق عليه تعويـذة منع الحسد.. ثـم استدار فوقع نظـره على ذلك المـكان الذي طالما راحت تطير منـه طائرته الورقية

فــي صغره.. راح يتذكر السباق بينه وبيــن أقرانه ومعاكساتهم بعضهم بعضًــا.. راح يتذكــر جلوســه في المســاء أو ركوبه الدراجــات وتتراءى أمامــه تلــك التعويذة المعلقة فــي رقبة الخروف الذي ذبــح لتوه، وعلق في ذلك المكان.. ثم خطا خطوات تجاه ذلك القدر الكبير.. كان دائمًا ينظر إليه يمعن النظر ناحيته، فيتخيل رأس المرأة التي تخبز من خلف القــدر رأس جــن أو عفريتًا يتجــه إلى السماء ليطيــر، بينما ينتظر هو رؤيــة يديها ورجليها، متخيلاً أنها ستخرج من القدر والدخان يتصاعد مــن تحتــه.. كم تخيل الجــن، وقد طار فــي السمــاء، وكاد يسقط على طائرته الورقيــة.. راح يتذكر تلك الموالد والاحتفالات التي كانت تعقد فــي الطابق العلوي.. وتذكر أختيــه في البيت، فراح يحاول الوصول إلى نتيجة تتعلق بهمــا وبحسنة أيضًا.. كان يود أن يصل إلى نتيجة إيجابية فيما يتعلق بثقافته.. نتيجة تجعله لا يخجل من هذه الثقافة إذا ما عاش فيهــا ومارسهــا وتعامل معها... ويريد أن يمســك بزمام دينه في يده لا يفلت منه..

لكــن لم يكــن بداخله الحماســة، ولم تكن بداخلــه العاطفة القوية لتحقيق ما يريد..

وحين اتجه إلى ذلك المكان الذي اعتاد منذ صغره خامره الإحساس بالكراهية والمحبة معًا، وحين اتجه إلى تلك المنطقة التي طالما أقيمت فيها الاحتفالات في الماضي هاجمته الوساوس والشكوك..

وفي «حديقة الأراجيح» وحين أخرج الخطاب من جيبه لآخر مرة.. قــرأه، فانكشفت أمامه فجأة حقيقة أن الذنب كله ذنب اتخاذ القرار..

إيجابياً كان أم سلبياً.. فحين يصل الإنسان في أي لحظة إلى قرار، فإن بقية المراحل سوف تتحدد من تلقاء نفسها... لم تعد هناك ضرورة عنده لرؤية مسافة أخرى.. لقد ترك الاستعانة بالمنظار المكبر الذي يقرب له البعيد، وكذا ترك الاستعانة «بالميكر وسكوب» ووصل بنفسه إلى نتيجة حتمية.

وخطا «ضمير» خطوات بطيئة بين ممرات «حديقة الأراجيح» واتجه إلى الشارع الذي يقع فيه بيته.. وصل إلى البيت، كان يريد أن يحدث أخته الكبرى فيما يتعلق بتحديد موعد الزواج.. في الطريق ألقى السلام على دين محمد الخياط، فهو منذ مدة يحوك ملابس أختيه..

«السلام عليكم..»

نظر «ضمير» إلى دين محمد، وكأنه يشاهده لأول مرة.. رأى فوق جبهته غدة كبيرة وتعرجات كثيرة..

«يا أسطى! هل تؤدي لي خدمة؟».

«بسم الله.. سمعاً وطاعة».

«انظر..» وأخرج «ضمير» من جيبه مظروفاً أراه لدين محمد، وهو يقول..

«لقد وجدت وظيفة طيبة في كراتشي.. اذهب إلى أختي الكبرى، وأخبرها بألا تقلق علي..».

واضطرب دين محمد الخياط لحظات..

«يـا أخي.. لم يبقَ علـى بيتك سوى خطوات أربـع.. اذهب بنفسك وأخبرها» قال دين محمد هذه العبارة وقد بدت عليه علامات الخوف.

«حـاول أن تفهم.. لو ذهبت إلى البيت، فلن أتمكن من الذهاب إلى كراتشي».

«على رسلك، لكن لماذا هذه العجلة؟».

«طبعًـا أنا فـي عجلة.. فمعي صديق.. والطائـرة ستقلع بعد نصف ساعة، ولعله اشترى تذكرتي الآن.. تذكر أخبر أختي بألا تقلق».

«يا للعجـب!..» ورفع دين محمد الخياط يـده، وكأنه يسحب خيطاً «لضمـه» فـي إبرة... هـذا بينما أعطـى «ضمير» ظهـره لدين محمد، ومضـى يرفـع رجليـه الطويلتين، وانطلق إلـى الشارع، وهـو ينظر إلى يمامة وقفت على عمود النور الكهربائي أمامه دون أن تحرك ساكنًا.

كان «ضميـر» كمـا هو دائمًـا على استعـداد للتفكير فـي أن ما قد يصدر عنه قد يكون فيه ظلم لشقيقتيه، ولحسنة أيضًا، لكنه ولأول مرة ظل يمشي.. لم يلتفت خلفه.

كان فـي قراره هذا قـوة تمكنه من أن ينهي النـزاع القائم بداخله بيـن الحب والكراهية.. وحتى لو كان هـذا القرار قراراً بالهجرة، لكنه بدأ يشعر أن فيه تحريراً له من حياته تلك.. تحريراً له من النفاق الذي يسيطـر على مشاعره.. تحريـراً له من تلك المسؤوليـة التي لم تجعله

يتخذ قراراته بنفسه.. تحريرًا له من غموض ذاته.. فهو لا يريد – بعد اليوم – أن يظل في مفترق واسع بين مشاعر الحب ومشاعر الكراهية.. وبعد مدة لم يعد ينظر خلفه.. ناحية الحارة.. كان على يقين من أنه لو نظر خلفه مرة واحدة لتحول إلى حجر.

# وخز

للأديب: أحمد نديم قاسمي

أحمد نديم قاسمي أديب باكستاني قضى طفولته وصباه في ريف منطقة البنجاب، فشاهد عن قرب حياة أهل الريف بجميع طبقاتهم، ومن هنا وجدت شخصية الريف طريقًا إلى قصصه التي صاغها بأسلوب معبر يمتاز بالسهولة والبساطة.

ويمكن القول باختصار شديد: إن أحمد نديم قاسمي أوجد مكانًا رحبًا للريف في القصة الأردية، يذكرنا بمكانة الريف في كتابات الأديب العربي محمد عبد الحليم عبدالله مثلاً مع الفارق في المعالجة لاختلاف البيئة والظروف. وتشهد على ذلك مجموعته القصصية الأردية التي نشرها بعنوان «الحجر الأزرق» عام ١٩٨٠م ومجموعته الأخرى بعنوان «زهرة القطن» أونوار القطن إن صح التعبير، وبسبب هذه القصص الرائعة نال أحمد نديم قاسمي شهرة واسعة في الأوساط الأدبية؛ ذلك لأن أسلوبه في معالجة قضاياه وطريقته في عرض شخوصه مختلف عن أدباء الأردية الآخرين ممن عالجوا أيضاً موضوعات الريف في قصصهم من أمثال الأديب غلام الثقلين نقوي والأديبة جميلة هاشمي، والأديب صادق حسين، وغيرهم.

وقصته «وخز» يعالج فيها هوس جمع المال في أوساط «المستشيخين» الذين اتخذوا من المزارات والأضرحة وسيلة لنهب الناس البسطاء واستغلالهم، يفسدون عليهم عقيدتهم ويوقعونهم في حبائل الشرك بعد أن يكونوا قد أبعدوهم عن صفاء عقيدة التوحيد ونقائها، التي هي أساس الدين الحنيف.

وتعد هذه القصة التي ننقلها عن الأردية إلى العربية - بأمانة ودقة ومراعاة عامة للنص الأردي - من الروائع الأدبية للأديب أحمد نديم قاسمي.

## وخز:

لم يفهم أحد كيف ظهر هذا الحب الإلهي في قلب شمشاد علي وفي هذا العمر؟! ذلك الشاب الوجيه الذي كانت أنظار الناس تتعلق به حيثما مضى... كانت شعرات ذهبية متفرقة تلمع وتبرق في لحيته التي نبتت حديثاً وفي شاربه أيضاً، أما إنسان عينيه فكان يبدو أحياناً للناظرين بلون اللوز الداكن وأحياناً يبدو بلون يميل إلى الزرقة، كان الناس قد اعتادوا مشاهدته، حين كان يخرج من بيته ذاهباً إلى المسجد، وحين كان يعود إلى بيته قادمًا من المسجد، ولم يحدث أن وقع نظرهم عليه في أي مكان آخر علاوة على ذلك. كان شمشاد علي يجلس في المسجد مددًا طويلة، ويستغرق في تلاوة القرآن الكريم.

وفي البيت كان يجلس مفترشًا سجادة الصلاة، يردد الأدعية والأذكار ساعات طويلة، فساور الخوف إخوته الكبار؛ ظنًّا منهم أن يكون أخوهم الأصغر شمشاد علي قد «انجذب» وأخذه الوجد، وسيظل هكذا «مجذوبًا»، فزوجوه...

وصـار شمشاد أبًا، إلا أن حبه لأهله كان من نوع عجيب، فكان بعد أن يتـم قـراءة الأدعية والأذكار ينهض وينفخ فـي وجه طفله القابع في حضـن أمه حينًا أو يقوم بتمرير أنفاسه بامتداد جسم طفله النائم في مهـده حينًا آخـر، وكأنه ينقل ثواب جميع الأدعيـة والأذكار التي قرأها إلـى وليده، ومن ثم يأخـذ طريقه إلى المسجد. وكم مـن مرة أجلسوه وأفهمـوه أن تـلاوة الأدعيـة والأذكار شيء طيـب، إلا أن الإنسان الحي عليه واجبـات أخرى كثيرة، فهو رجل لزوجة كمـا أنه والد لابن، وعليه بعض الواجبات لا بد أن يقوم بها، ولكنه كان يجلس، وقد ازدانت شفتاه بابتسامـة لم تكتمل، وحين يبـدأ الجميع في التفـرق، ينهض هو أيضًا ويتجه إلى المسجد...

فـي فصـل الشتـاء كان يعاند فيتوضـأ بالماء البـارد، معتبرا هذا جـزءًا من العبادة أيضاً، ومن ثـم كان يضع جانباً إبريق الماء الساخن الـذي كانـت زوجه تحمله إليـه، حتى ظهرت الشقوق فـي كعبيه وتسلخ جلد أصابع يديه وتحول إلى قشور، وبرغم هذا ظلت الابتسامة التي لم تكتمل بعد تزين شفتيه، واستمرت حياته على هذا المنوال.

كان شمشـاد علـي ينتمـي إلـى أسـرة اشتهـر أفرادها بيـن الناس بالانقطـاع إلى عبادة الله، أسـرة ورث أفرادها المشيخة أبا عن جد، إلا أن مـزار شيوخ هـذه الأسرة كان بعيـدًا عن القرية في موضـع يقال له: «ونـدي شيخـان» وكان الأخ الأكبر، ويدعى أمجد علـي هو «الخليفة» بين أفراد هـذه الأسرة، وكان كلما رجع من «ونـدي شيخان «إلى قريته يظل قلقًـا وهو يشاهد أخاه فـي حالة الطرب هذه، منتشيًـا بذكر الله، ويظل يفكر ويفكر وفـي النهاية وذات يوم، وبعد التشاور مع إخوته قرر ضرورة

أخـذ شمشاد علي إلى «وندي شيخان» إلـى «المزار» فإذا لم يتراجع بأي شكل من الأشكال عن هذا الاستغراق المستمر في تلاوة أدعيته وأذكاره وقـراءة أوراده، وجب إبقاؤه في المزار، حيث (خانقاه) الآباء والأجداد، فمـن الممكن أن يفيق قليلاً مما هو فيه، ويكـون بشكل أو بآخر ذا فائدة لأخيـه الأكبـر أمجد علـي، وحين أخبـر شمشاد علـي بأن أخـاه الأكبر سيأخذه إلى المزار قال: «حسنًا... ليأخذني إلى هناك، فالله هو الله في كل مكان، والقرآن هو القرآن في كل مكان، لا يفرق الأمر معي شيئًا».

وفي «وندي شيخـان» أجلس شمشاد علي في جانب من المزار على مسند المشيخة، وظل جالساً منشغلاً بما هو فيه كعادته كل يوم، وحين علـم المريدون أنه هو الشيخ الصغير، تدفقوا عليه جماعات جماعات؛ نظـرًا لاعتقادهـم في ولايته، وراحـوا يقبلون يديه حتـى ابتلتا، وراحوا يتمسحـون بركبتيـه حتى اتسخ سرواله مـن أوله إلى آخـره، ومع هذا استمـر شمشاد علي فـي تلاوة أوراده وأذكاره وترديـد أدعيته، دون أن يعيـر هؤلاء المريدين المتمسحين به أدنى اهتمام، وربما قال لهم مرة أومرتيـن: «هاكم أخـي، إنه يجلس هناك: ولما لـم يهتم المريدون بما يقول تراجع وانكمش على نفسه واستمر فيما هو عليه، وفي تلك الأثناء شاهد أحد المريدين يرفع طرف «المسند» الذي يجلس عليه، ثم يعيده ثانيـة إلى وضعـه الأول، فظن شمشاد علي أن هـذه الحركة مظهر من مظاهـر التكريـم والتبجيل، لكـن حين جاء أخـوه؛ ليأخـذه بعد حلول الظـلام، قـام خادمه مبارك خـان برفع جميع أطـراف المسند وجمع «رزما» من الأوراق المالية، في تلك اللحظة ابتسم شمشاد علي – ولأول مرة – ابتسامة عريضة واحدة، وقال:

«ظننت أن الناس يتلمسون البركة من المسند أيضاً، كما يتلمسونها من يدي وركبتي، الآن فقط عرفت أنهم كانوا يقدمون لي النذور».

فنبهه أخوه، قائلاً: «شمشاد! هذه النذور لم تقدم لك، هذا مال المزار، هذا ملك «المقام الشريف» افهم! هذا المال وصل المزار عن طريقك وبواسطتك، وسوف تنال عن ذلك ثوابًا عظيماً».

فقال شمشاد علي: «حتى لو حصلت على هذا المال كله، فماذا أفعل به؟! إن ربي يرزقني بما أحتاج... غدًا سوف أقول للمريدين: لا تتلمسوا البركة من مسندي، وإذا كان عليكم أن تقدموا النذور، فلتذهبوا بها إلى أخي...».

فقال أخوه من فوره: «لا.. لا.. لا تفعل هذا أبداً.. أبداً.. فاهم.. إن النذور التي ترد عن طريقي شيء، والنذور التي ترد عن طريقك شيء آخر.. لماذا تقول هذا، فترتكب جريمة خفض إيراد المزار؟!».

قال شمشاد علي: «حسناً.. حسناً.. لكن إيراد المزار كله يؤول إليك أليس كذلك؟».

فرد الأخ، وقد ضاق ذرعًا بكلام شمشاد: «افعل ما قلته لك، ولا تدخل في جدال حول هذه النذور والأموال؛ حتى لا يفسد إيمانك».

فقال شمشاد علي، متظاهراً بالخوف: «حاضر.. حاضر».

وحين رجع المريدون من المزار إلى قراهم، ذكروا لذويهم وأهليهم أن الأخ الأصغر للشيخ الكبير قد شرف المزار بحضوره، وأن على وجهه نورًا عظيمًا، فكأنه ملاك يجلس على مسند المشيخة،

وهكـذا اصطف النـاس طوابير طويلة أمام المزار، أما أمجد علي فكان بعـد تقديم النذور يأتي من فوره إلى شمشاد علي، فينظر إليه ويحدق، وكأن بصـره قد عشـي، كان المريدون لا يضعـون الأوراق المالية فقط تحـت أطـراف المسند، بـل كان الحريصـون منهم يعمـدون من باب الاحتياط إلى حشو جيوب قميصـ شمشاد علي بالأوراق المالية.. وفي المسـاء يتولى مبارك خان، وهو من حاشية أمجد علي جمع النذور من تحت المسنـد وإفراغ جيب شمشاد من كل ما به، ثم يتوجه الاثنان معًا إلى حجرة جانبية، حيث ينهمكان في عد وإحصاء النقود، ويغرقان في الضحك، فببركـة شمشاد علي تضاعف إيراد المـزار، وتزايدت كمية النذور المقدمة للمقام الشريف.

بعـد موسم حصاد القمح مباشرة، ينعقد «المولد» السنوي للمزار، فيتجـه المريـدون مـن طول المنطقـة وعرضهـا إلى المـزار محملين بأمـوال النـذور، فيشحـن كل مـن أمجد علـي وشمشاد علي بـالأوراق الماليـة وكأنهمـا خزانتان مكتظتان، وبمناسبـة «المولد» وبسبب تدفق المريديـن، وتزاحمهـم تمزق جيب شمشاد علي مـن كثرة ما وضع فيه مـن نقود؛ نظرًا لأنه لم يكن فيه متسـع للمزيد من أموال النذور، فقام أحد المريدين وأراد أن يضع النذور في يد شمشاد علي، فسحب شمشاد علي يده، وانتفضـ، وكأن صاعقة أصابته، ثم نظر إلى المريد باستياء جعلـه يرتعد من الخوف، فنهض شمشاد علي، ومسح بيديه على رأسه، ثم وضع يده على صدره، قائلاً:

«اعذرني يا أخي، فقد ظننت أنك تعطيني هذا المال، وأنا لا حاجة لـي بـه، إن الله يعطيني ما أحتاج، هذا المال هو مـال المزار، هو ملك

هذا المقام الشريف، لهذا لا تضعه في يدي، ولا تضعه في يد أي إنسان آخر؛ لأن صاحب اليد الذي يأخذ هذا المال يصبح نجسًا».

وهكذا أثبتت هذه الواقعة صدق «ولاية» شمشاد علي وعظمته، فراح الناس يتزاحمون عليه، حتى إن القلق ساور أمجد علي أحيانًا، فقد يلعب الزهر (النرد) لعبته، وينكشف الملعوب، ويخسر كل شيء، ولكنه كان حين يرى مبارك خان وقد جمع «رزم» الأوراق المالية من تحت المسند الذي يجلس عليه شمشاد علي، ومن جيب شمشاد علي الواسع الذي خيط بالقميص بدلاً من ذلك الجيب الذي تمزق من قبل كان يلتزم الصمت، ولا ينطق بكلمة.

وذات ليلة حين غادر مبارك خان المزار بعد أن جمع النذور، رأى شمشاد ورقة بمئة روبية، وقد برز منها طرفها من تحت المسند الذي يجلس عليه، فتناول المنديل الموضوع على كتفه، ولفه على يده، ورفع بيده ورقة المئة روبية واتجه إلى حيث يجلس أخوه، ففتح الباب فوجد أمام أخيه أمجد علي أكوامًا مكدسة من الأوراق المالية فئة مئة الروبية وفئة خمسين الروبية وفئة عشر الروبيات وخمس الروبيات والروبية والواحدة، ومبارك خان يقوم بترتيبها وعدّها، واستاء أمجد علي من دخول شمشاد علي المفاجئ، فقال:

«شمشاد.. حجرتك هناك في الناحية الأخرى، ماذا جاء بك هنا؟!».

أما مبارك خان فظل جالساً، حيث كان لم يغير من وجهته، فقال شمشاد علي:

«مبارك خان نسي هذه الورقة، هناك تحت المسند، ففكرت أن آتي لأعطيكما إياها».

فهدأت ثائرة أمجد علي وقال: «ضعها هنا».

فأسكن شمشاد علي مئة الروبية يد مبارك خان، وجلس بجوار أكوام الأوراق المالية، وراح يدقق النظر فيها، ثم قال: «هذا المبلغ كله ملك للمزار! أليس كذلك يا أخي العزيز؟».

«نعم.. نعم..» أجاب أمجد علي.

كان هذا بمنزلة هجوم آخر مفاجئ على أمجد علي، وراح شمشاد علي يتساءل كطفل يستفسر عن شيء لا يعرفه:

«لكن في أي شيء تنفقون هذه الأموال يا أخي؟».

فقال أمجد علي: «هذا المطبخ الذي يعمل ليل نهار، وما نقدمه من أجل تكريم الضيوف الأعزاء القادمين من أماكن بعيدة، وتلك الرواتب التي قررناها للمساكين واليتامى والأرامل، والمولد الذي يعقد كل سنة والذي ننفق عليه تقريبًا مئة ألف روبية، و...».

فقاطعه شمشاد علي، وهو ينهض من مكانه: «أخي، أنا لا أعرف الحساب لكن أقول بالتقريب: إن ما يجمع فقط في وقت المولد من نذور هو بالتأكيد يعني أكثر من مئتين وخمسين ألف روبية».

فقال له أمجد علي، وهو يحدق في وجهه: «ألم أقل لك: ألا تتدخل في مثل هذا الجدال حول النذور والأموال؛ لئلا يفسد إيمانك؟!».

فانسل شمشاد علي من الغرفة كطفل علت وجهه مسحة من ندم، بعد أن انكشف ما وقع فيه من خطأ.

في فصل الشتاء وذات يوم، دهش أمجد علي، وتحير حين رأى بعض المريدين يتهامسون فيما بينهم أمام المسند الذي خلا لأول مرة من الشيخ، وراح أحدهم يتساءل:

«يبدو أن شيخنا الفاضل بعافية؟!».

فرد عليه آخر:

«لقد نهض الآن، وذهب إلى حجرته، لكنه كان يتعثر وكأن الأرض تميد به، وراح يتلوى منحنيًا على ركبتيه..».

وصل أمجد إلى حجرة أخيه، فوجده يتلوى من شدة الألم، ويسعل ويلهث بشدة، وقد تقطعت أنفاسه، فراح أمجد علي يتأمل حالة أخيه، وعرف أنه قد ابتلي بداء «ذات الجنب»، فأخذ بعض الأدوية من أحد (الحكماء) وقرر في الوقت نفسه أن يعيد شمشاد علي فورًا إلى قريته مسقط رأسه، إنه الالتهاب الكلوي الذي يحمل رسالة الموت، لهذا أراد أن يبقي شمشاد علي في لحظاته الأخيرة مع زوجته وابنه؛ حتى لا يتهم بأنه كان سببًا في موت أخيه غريبًا عن أهله.

وحمل شمشاد علي، ووضع على السرير المفتول من حبال قائمة على أربع أرجل خشبية داخل بيته، وأرقدوه على جنبه الأيمن، فانتفض من فوره، قائمًا، وقال:

«وخز.. وخز شديد يؤلمني.. وخز آه، وخز».

قال أمجد علي:

«في الالتهاب الكلوي يحدث وخز، بل ألم فظيع.. يرحمنا الله!».

وفي صباح اليوم المقبل حين قدم أمجد علي؛ ليسأل عن حال أخيه. قال له شمشاد علي: إنه حين أراد أن يرقد على جنبه الأيمن شعر في داخل تجويف الحوض في جسمه كأن وخز سكين حاد يمزق داخله. وجاء الطبيب ففحص بدقة الجنب الأيمن من جسم شمشاد علي، فلم يجد أي بثور أو دمامل أو أورام ولم يجد حتى أي علامة تدل على ذلك، فطلب الطبيب من شمشاد علي أن يرقد أمامه على جنبه الأيمن إلا أنه صرخ، قائلاً:

«ليس هناك أي تغيير في حدة الألم الشديد الناتج عن هذا الوخز الذي يمزق داخلي».

نظر الطبيب ناحية أمجد علي، وكأنه يقول له: إن المرض الذي أصيب به شمشاد علي قد عرف سببه، ثم انتحى به جانبًا، وهمس في أذنه، قائلاً:

«لا يمكنني سوى القول: إن هذا هو وخز الموت».

قال أمجد علي:

«لكن.. حضرة الطبيب.. لماذا لا يشعر بهذا الوخز، وهو على جنبه الأيسر؟!».

وفجـأة تحول الطبيب إلـى فقيه، فقال: «إن الميت يوضع في القبر على جنبه الأيمن، حتى تكـون رأسه في اتجاه القبلة.. والشيخ الصغير يشعـر بهذا الوخز حين يكون على جنبه الأيمن؛ لأنه غير مستعد ذهنيًّا للموت... وإلا فما عساه يكون السبب؟!».

وفي اليوم المقبل حين رأى واحدًا من كبار العائلة المعمرين أن آخر لحظات شمشاد علي قد قربت وروحه سوف تنتقل إلى بارئها بين لحظة وأخرى، قرر أن يبدأ الحضور في ترتيل سورة «يس»،وأن يديروا شمشاد علـي إلى ناحية القبلة، وعلى جنبـه الأيمن. وحين أداروا جسم شمشاد علي على جنبه الأيمن إذا به ينهض مضطربًا منزعجًا، ويقول:

«وخز.. وخز.. وخز».

فوضـع فقيـه القريـة يده تحـت الجانـب الأيمن من جسمـه وراح يحركها هنا وهناك، وفجأة أشار عليهم بأن يجعلوه يستلقي على ظهره، ثـم راح يخرج من جيب شمشاد علي أعـدادًا كبيرة من الأوراق المالية التـي أصبحت طياتها من كثرة تحركه يمينًا وشمالاً مدورة كالحصيات ذات الأطـراف المدببة.. وحينئذ فتح شمشاد علـي فمه، وقال بصوت خافت:

آه.. إنهـا تلـك الروبيـات مـن نذور المـزار هي التـي تخزني هذا الوخز.

# منشورات رابطة الأدب

# الإسلامي العالمية

١- من الشعر الإسلامي الحديث، لشعراء الرابطة.

٢- نظرات في الأدب، أبو الحسن الندوي.

٣- ديوان «رياحين الجنة» عمر بهاء الدين الأميري.

٤- دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث، د. عبدالباسط بدر.

٥- النص الأدبي للأطفال، د. سعد أبو الرضا.

٦- ديوان «البوسنة والهرسك»، مختارات من شعراء الرابطة.

٧- لن أموت سدى «رواية»، الكاتبة جهاد الرجبي.

٨- ديوان «يا إلهي»، محمد التهامي.

٩- يوم الكرة الأرضية «مجموعة قصصية» د. عودة الله القيسي.

١٠- ديوان «مدائن الفجر» د. صابر عبدالدايم.

١١- العائدة «رواية»، سلام أحمد إدريسو.

١٢- محكمة الأبرياء «مسرحية شعرية» د. غازي مختار طليمات.

١٣- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، د. حلمي القاعود.

١٤- ديوان «حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري» د. جابر قميحة.

١٥- ديوان «في ظلال الرضا»، أحمد محمود مبارك.

١٦- في النقد التطبيقي، د. عماد الدين خليل.

١٧- الشيخ أبو الحسن الندوي، دراسات وبحوث، مجموعة من الكتاب.

١٨- القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر، حليمة الحمد.

١٩- د. محمد مصطفى هدارة، دراسات وبحوث، مجموعة من الكتاب.

٢٠- معسكر الأرامل «رواية مترجمة عن الأفغانية» تأليف مرال معروف، ترجمة د. ماجدة مخلوف.

٢١- قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم «دراسة أدبية»، محمد رشدي عبيد.

٢٢- قصص من الأدب الإسلامي «القصص الفائزة في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة».

٢٣- أدب المرأة .. دراسات نقدية من بحوث الملتقى الدولي الأول للأديبات الإسلاميات.

٢٤- الآمال صارت آلاماً، رواية من الأدب التركي، تأليف د. نور الله كنج، ترجمة د. عوني لطفي أوغلو.

٢٥- نحو كوكب الحرية - رواية من الأدب الفارسي، تأليف محمود حكيمي، ترجمة عثمان أيزدبناه.

٢٦- مملكة النحل - رواية من الأدب التركي - تأليف علي نار، ترجمة كمال أحمد خوجه.

٢٧- أقباس - ديوان شعر - طاهر العتباني.

٢٨- الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة - د. كمال سعد خليفة.

٢٩ - عقد الروح - ديوان شعر - نبيلة الخطيب.

٣٠- المفسدون في الأرض - مجموعة قصصية - فاطمة محمد شنون.

٣١- فوهة الجرح - مجموعة قصصية - سكينة قدور.

٣٢- الأرض الجريحة - مجموعة قصصية - صورية مروشي.

٣٣- نوبة قلبية - قصص قصيرة - من الأدب الأردي - ترجمة: سمير عبدالحميد إبراهيم.

# صدر في سلسلة أدب الأطفال

١- غرد يا شبل الإسلام - شعر - محمود مفلح.

٢- قصص من التاريخ الإسلامي - أبو الحسن الندوي.

٣- تغريد البلابل - شعر - يحيى الحاج يحيى.

٤- مذكرات فيل مغرور - د. حسين علي محمد.

٥- أشجار الشارع أخواتي - شعر - أحمد فضل شبلول.

٦- أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب - فوزي خضر.

٧- باقة ياسمين - قصص للأديب التركي علي نار - ترجمة شمس الدين درمش.

٨- أغنية للغيمة البعيدة - شعر - أحمد زرزور.

٩- مغامرات عصفور - قصص - عبدالجواد الحمزاوي.

١٠- شيماء - قصص - حسن القشتول.

١١- مدينة الرحمة - مسرحية - محمود عبدالله محمد.

١٢- بيض من ذهب - مسرحية - لطفي عبدالمعطي مطاوع.

١٣- سجين الهاء والواو - مسرحية - محمد عبدالحافظ ناصف.

● تطلب من رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

المملكة العربية السعودية: الرياض ١١٥٣٤- ص.ب ٥٥٤٤٦

هاتف: ٤٦٣٤٣٨٨-٤٦٢٧٤٨٢ فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦

web page adress: www.Adabislami.org

E-mail: info@adabislami.org

## المؤلف في سطور

● د. سمير عبد الحميد إبراهيم.

- ولد في محافظة الشرقية بمصر عام ١٩٤٦م.
- حصل على الليسانس من آداب القاهرة ١٩٦٧م، وعلى الماجستير في اللغات الشرقية ١٩٧١م، وعلى الدكتوراه في اللغة الأردية وآدابها من جامعة البنجاب ١٩٧٨م.
- عمل في الهيئة التدريسية في جامعة القاهرة من ١٩٦٧- ١٩٧٨م، ثم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض من ١٩٩٤- ٢٠٠٦م.
- أستاذ اللغات الشرقية وآدابها بجامعة دوشيشا باليابان.

● له عدد من المؤلفات من أهمها:

- إقبال وأرمغان حجاز (رسالة الماجستير).
- الأسرار والموز لإقبال.
- الأدب الأردي الإسلامي.
- الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي.
- معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية.
- إقبال والعرب.
- الإسلام والأديان في اليابان.

● وقد فازت مجموعته القصصية (نوبة قلبية ..) بالجائزة الثانية في مسابقة الرابطة في ترجمة الإبداع من آداب الشعوب الإسلامية. وله مشاركات مستمرة في الكتابة عن الأدب الأردي في مجلة الأدب الإسلامي وغيرها من المجلات العربية.